

كتاب
وأدباء من الامارات
«١»

سالم بن علي العويس

وثائق ودراسات وأبحاث
١٨٨٧م - ١٩٥٩م

جمع واعداد
عبد الاله عبد القادر



سالم بن علي العويس

تصميم الغلاف والاخراج

محمد فهمي

الصور الفوتوغرافية

بعدسة : عبدالله ربيع

كتاب
وأدباء من الامارات
«١»

سالم بن علي العويس

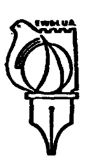
وثائق ودراسات وأبحاث

١٣٠٧هـ ـ ١٣٧٩ هـ

١٨٨٧م ـ ١٩٥٩ م

بمناسبة الاحتفاء بمئوية الشاعر سالم بن علي العويس

جمع وإعداد
عبدالاله عبدالقادر



منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات
الطبعة الاولى
١٩٨٨



سالم بن علي العويس

تقديم

رغم ان الشاعر سالم بن علي العويس قد ولد في النصف الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي وتوفي في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، الا ان احداً من جيلنا المعاصر لم يطلع على شعره الا في عام ١٩٧٩ حيث جمع شعره وطبع ضمن ديوان سمي «نداء الخليج». ظهور هذا الديوان لفت نظر الكثيرين ممن يهتمون بالشعر والادب، وسرعان ما بدأ هاجس البحث والتقصي عن هذا الشاعر الذي عاش ضمن عزلة المنطقة وانقطاعها عن سبل الحياة العصرية في فترة ما قبل ظهور النفط الا ان الامر لم يأخذ الجدية قبل مبادرة اتحاد كتاب وادباء الامارات للاحتفاء بمئويته، واعتبار عام ١٩٨٧ «عام سالم بن علي العويس الثقافي» لمرور مئة عام على ولادته في الحيرة عام ١٨٨٧م. وبهذه المبادرة تحركت الاقلام تبحث في قصائد ديوانه، مثلما راحت تبحث عن حياته، وتسأل ذويه واولاده واخوانه واحفاده، واصطدمت كل هذه الاقلام بندرة المصادر والمراجع حيث أن الموضوع لازال بكراً لم يكتب حوله ولا فيه. وان الذي يريد ان يتصدى للكتابة عنه عليه أن يسبر البحر وحده، وتعددت الكتابات، لكن رغم تعدديتها، والمحاولات الجادة لشموليتها الا انها وبالضرورة لم تكن كاملة. غير ان الاسبوع الثقافي الذي حمل اسم الاحتفاء بمئوية الشاعر سالم بن علي العويس افرز عدة دراسات ومقالات كانت هي بواكير الدراسة والبحث، مثلما اضافت الصحف المحلية والمجلات دراسات اخرى كانت متممة لتلك ومكملة، الامر الذي جعل جمع هذه الدراسات في كتاب واحد أمراً ضرورياً وتأتي الضرورة في ايجاد اساس بحثي لاي باحث أو دارس لشعر سالم بن علي العويس الى جانب الحفاظ على ما كتب من الضياع، وليكون هذا الكتاب مادة اولية لمشروع الكتابة عن شعر سالم بن علي العويس من جوانبه المتعددة الفنية، والسياسية، والاجتماعية، واللغوية، والانسانية.

لا ترتبط اهمية الشاعر سالم بن علي العويس بما انجزه من قصائد فحسب بل لانه شكل ظاهرة متميزة بين قرنين من الزمن، لقد ظهر في وقت عصيب في منطقة كانت تعاني من كافة صنوف الجدب، منطقة مهملة ومعزولة ومقطوعة عن الحياة، يصارع اهلها البحر والصحراء من اجل الاستمرار في الحياة، ووسط هذا اللهيب الحارق، يولد الشاعر ووسط هذه العزلة يتسلح بوعي وادراك كاملين، تميز عن كل جيله على طول الساحل الخليجي بموهبته الشعرية وحسه المرهف، وادراكه الواعي فجمع بين لآلىء الكلمات ولآلىء البحر، وزاوج بين صياغة الكلم وحبات اللؤلؤ.

حينما ظهر ديوانه عام ١٩٧٩، راقبه الكثيرون وهم بين الريبة واليقين، بين ان يكون او لا يكون، لكن الشاعر حقق ظهوره وتميزه من خلال قصائده التي عرفت متأخرة، وجدناه حياً نابضاً لكن لم يتلمس جسده احد. بل تلمسناه شعراً، وهذا ما يؤكد سر بقاء النص الادبي وخلوده، وقد ادرك الذين تلمسوا هذا الشعر انهم امام حالة ينبغي التوقف عندها.

لذا وجد اتحاد كتاب وأدباء الامارات ضرورة الاحتفاء والاعتزاز بشاعر كسالم العويس، ووجد بعد ذلك ضرورة ان يجمع كل ما قيل فيه وعنه في كتاب، وكلٌ قال كلمته من وجهة نظره التي قد تبتعد أو تقترب منها، لكنها بالضرورة والحتمية تشكل كافة الزوايا التي حاولنا ان نستعيد بها صورته. لكننا ندرك تماماً اننا لم نستكمل ابعاد هذه الصورة، ولا زال كثير من ملامحها لم يستكشف ولم يبن مع عدم استهانتنا بما كتب.

اننا في هذا الكتاب الذي يحمل مقالات لعدد من الكتاب عن الشاعر نفتح باب البحث، ونضع اساساً للتنقيب والاكتشاف. فالموضوع ثري، والمسافة بين الشاعر والبحر والصحراء ونحن . . . هي المسافة التي اختزلت من مئة عام الى لحظات الاحتفاء، هي الزمن المنحرف لقراءات غير منحرفة وجديدة، انها دعوة للقراءة الجدية لشعر الراحل سالم بن علي العويس، من اجل الوصول الى مسافة جديدة في عمق الماضي الذي امتد حتى تخوم البحر في زمننا الحاضر.

اتحاد كتاب وأدباء الامارات

سالم بن علي العويس

الصوت القادم من صحراء الجمر وحرقة العطش

عبدالاله عبدالقادر

احتفلت الاوساط الادبية في دولة الامارات العربية المتحدة، بمئوية الشاعر سالم بن علي العويس، المولود في الحيرة بالشارقة في عام ١٣٠٧ هـ ـ الموافق لعام ١٨٨٧م، ووافاه الاجل عام ١٣٧٩ هـ ـ الموافق عام ١٩٥٩م.

والسؤال الذي ظل يدور في الاذهان. لماذا يظل شاعر رغم كل سنوات النسيان باقياً، بل لماذا انتهى جسده منذ سنوات سحيقة وظل النص الشعري خالداً لتتناقله الاجيال بعد رحيله، ويزال عنه الغبار والاتربة لينطق مجدداً، وكأنه ولد بالامس أو اليوم ؟ !

اذن لا بد ان الشاعر المحتفى بمئويته ليس شاعراً عادياً . . وإلا لانتهى مثل الكثيرين الذين مارسوا كتابة الشعر وسافروا مع بحوره. ولكنهم لم يغوصوا بأغوار الكلم، ولم يستكشفوا عوالم الشعر، ولم يتجلوا بفنه وبموسيقاه.

من هنا كان لابد ان يحتفى بسالم العويس شاعراً، يمثل جيله، ويؤكد ان المنطقة رغم مامر بها من جفاف زاد من حرقة الصحراء، وما عانته من عزلة، وما سادها من جهل واهمال، ظلت منطقة حضارية ترتبط بتراث عميق يمتد عشرات السنين بالارض الام في كل مساراتها وامصارها واتجاهاتها . . وتتوثق كثيراً لا بمواثيق سياسية ومعاهدات، انما يأتي هذا التوثيق والتواصل من خلال الشعر الذي صاغه سالم بن علي العويس عبر سنوات عاشها مخضرماً بين نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، تلك الفترة التي عاشت كثيراً من التحولات الفكرية والسياسية والعلمية والصناعية وشهد العالم خلالها حربين طاحنتين، افرزت فلسفات واتجاهات فكرية، ومدارس، ومناهج، واخلاقية جديدة، امتدت لتشمل كل بقاع الكرة الارضية. في نفس الوقت شهد العالم أيضاً حركات تحرر عديدة للشعوب المقهورة المضطهدة، وانتفاضات شعبية كانت بنفس العنف والقوة التي ظهر بها.

الاستعمار باشكاله المتعددة واساليبه المتنوعة وارهابه واسلحته الفتاكة. وعلى الصعيد القومي، عاش الوطن العربي ثورتين قوميتين كبيرتين في فترة زمنية متقاربة وهما ثورتا ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر و١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، وقد اثرت الاولى بالشاعر كثيراً وظهر هذا التأثر في شعره واضحاً ولكنه لم يمتد به الاجل كثيراً بعد ثورة العراق. كذلك سجلت هذه الفترة قيام ما يسمى دولة اسرائيل بعد اغتصاب فلسطين، والاعتداء الثلاثي على مصر اثر تأميم قناة السويس واحداثاً أخرى في شتى بقاع الوطن العربي.

ورغم الحصار اللامرئي، والعزلة لهذه البقعة، يمتلك العويس وعياً يؤهله لان يتميز بين أبناء قومه، هذا الوعي لا يتناسب وحالة هذه السواحل المهملة والمعزولة والمستهانة أحياناً بل المستباحة من قبل أساطيل البرتغاليين والاستعماريين الجدد حينذاك، الذين أرادوا تأمين خطهم التجاري بين البصرة وبومباي. والسيطرة على الملاحة في الخليج.

بعد مئة عام من الاختفاء يظهر الشاعر سالم بن علي العويس قوياً ليحتل مكانة كبيرة في ادب المنطقة، وليشكل شعره بعد ذلك جزءا من مرحلة الشعر العربي، ومن اجل القاء الضوء عليه كشاعر فقد أقام اتحاد كتاب وادباء الامارات وجهات ثقافية اخرى ممثلة باللجنة الوطنية للاحتفاء بمئويته اسبوعاً مكرساً له، ليدرس الشاعر من الجوانب المختلفة شعراً وفكراً ونشأة وتأثراً.

شمل الاحتفاء بمئوية العويس الذي نظم من ١٢ ــ ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ دراسات متعددة، وامسية شعرية، وفيلماً وثائقياً عن حياة الشاعر وآثاره ومقتنياته.

وقد القت هذه الدراسات الضوء على شعر العويس وميزات الشاعر واثارت في نفس الوقت اهتماماً من جانب آخر في البحث عما خفي من تراث شعري وأدبي قد تكون سنين العزلة سبباً في عدم ظهوره في الوقت المناسب.

يقول عبدالله عبدالرحمن نقلا عن الدكتور أحمد أمين المدني عن نشأة سالم ابن علي العويس «ان الشاعر ولد في عصر الشيخ صقر بن خالد القاسمي جد حاكم الشارقة الحالي في بلدة الحيرة، وكان العصر عصر عز وسؤدد». أما الباحث فالح حنظل فقد أشار اليه في «حوليات المفصل من تاريخ الامارات» واعتبره من البارزين في الشعر في تلك الفترة.

عمل الشاعر في حياته «طواشاً» اي تاجر لؤلؤ.. فكان يجمع بين لآلىء الكلمات ولآلىء البحر.

اهتم بالعلم وشغف في طلبه،وكما يقول بلال البدور في بحث عن الشاعر «انه تتلمذ على يدي الشيخين عبدالصمد وعبدالرحمن ولدي عبدالعزيز بن عبدالله التميمي اللذين افتتحا مدرسة لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والقراءة والكتابة والحساب حيث التحق بهذه المدرسة وكان من طلابها المبرزين».

ثم تخرج في هذه المدرسة . . ومارس التعليم الى جانب تجارة اللؤلؤ، والتجارة العامة حيث كانت له صلات تجارية مع تجار البصرة أمثال عبدالعزيز الذكير من منطقة الزبير.

ويقول بلال البدور أيضاً في نفس الدراسة السابقة:ان الشاعر انتقل الى ساحل الباطنة في عمان وعمل بالزراعة هناك بعد أن اشترى أرضاً زراعية، «وبعد مضي عامين على عمله في الزراعة بسلطنة عمان اشار عليه الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة آنذاك بان ينتقل الى بلدة كلباء المشهورة بخصوبة ارضها ووفرة المياه فيها، وانتقل اليها وعمل بالزراعة فيها».

ثم تشير سيرة الشاعر الى انه انتقل الى «الذيد» وظل هناك حتى ضعف بصره ووهن عظمه . . ثم سافر الى الهند للعلاج، وبعد عودته من رحلة العلاج آثر البقاء في الشارقة حتى وافاه الاجل المحتوم عام ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩ م كما ذكر بلال بدور في الحديث عن سيرة الشاعر.

هذه الحياة المتشعبة الممتدة بين قرنين من الزمن والمتنوعة ما بين اعمال البحر والبر . . ما بين طواشة اللؤلؤ والزراعة اكسبته خبرة وحساسية مرهفة بل تجاوزت اهتماماته وثقافته ماساد في مجتمع عصره بل اصبح مجلسه كما يروي عبدالله عبدالرحمن «بمثابة ناد أدبي حافل».

كتب العويس سالم بن علي عدداً كبيراً من الشعر الفصيح يقدر بحوالي ١٨٥ قصيدة جمعها ديوانه «نداء الخليج» الذي طبع بعد وفاته بفترة طويلة جداً. كذلك مارس الشعر النبطي وأبدع فيه مثلما أبدع بالفصيح كما طرح عدة محاور وقضايا . . أهمها الهم الوطني والقومي الذي يمكن للدارس ان يتلمس هذا الهم الذي يرتبط بوعي نادر في تلك الفترة وفي مثل هذه البيئة المنقطعة المعزولة:

حرية القول بعد البين زورينا
لعل نفحك بعد الموت يحيينا

باتت ضمائرنا في طيّها ألم
نخشى عليها إذا صُدّت تناجينا
هل في الزمان زمان نستطيع به
قولا وألا يَضِلّ الدهرُ محزونا
الا اسمعونا ولاة الامر سادتنا
ولا علينا جناح يوم تعصونا
المجد أصبح دون العلم مهزلة
والخسف أصبح بالجهال مفتونا

وسالم بن علي العويس بدأ منذ بواكير حياته في نظم الشعر، فيذكر عبدالله عبدالرحمن مثلا «كان سالم العويس في السادسة عشر من عمره حينما تفجر من ينابيع حاسته القوية وخياله الواسع، الشعر، فجادت قريحته مع الايام والسنين لمختلف القوافي والبحور».

تستهويه أولا قوافي الشعر النبطي . . فيبحر معها متنقلا بين أغراض الشعر المتعددة بما فيها الغزل:

من العام يا زينات الاوصاف
قلبي .شرى ذهن القطامي
ياما قعدت في رأس مشراف
مرة وكم حلق وحام
لو طاف به من الخلق ما طاف
يختال جنحات الحمام

ولعلنا من خلال مراجعات لقصائد سالم بن علي العويس نتلمس تأثره بالقصيدة العربية القديمة وهيكلها وبنيتها وفي طريقة تناولها :

عفا الرسم من دار قديما نزورها
ألا قل لها مَن اهلها مَن سميرها ؟
ومن بعدنا فيها يقيم وهل لها
دموع كما فينا دموع تثيرها؟ !

أغراض شعر العويس

الاتجاه القومي :

يقول عبداللطيف الزبيدي في دراسة عن الشاعر: «يقيناً اننا لا نجد شاعراً خليجياً في النصف الاول من القرن العشرين تناول القضايا القومية العربية بالغزارة التي تناولها بها شاعر الامارات سالم بن علي العويس، اذ تكاد لا تخلو اية قصيدة من قصائده من هذه المضامين بنحو أو آخر».

وفي دراسة اخرى عن الشاعر يقول عبدالغفار حسين : «لو تتبعنا الشاعر سالم ابن علي العويس في ديوانه الذي يتكون من جزأين والذي طبع بعد عشرين سنة تقريباً من وفاته . . لو تتبعنا كل قصائده الوطنية والقومية لضاق بنا المقام، لأن اكثر شعره يتكون من هذا النوع من الشعر ولانه لم يترك مناسبة الا وتغنى فيها بالوحدة العربية والقومية».

اما عبدالمنعم عواد يوسف فيذهب الى القول : «لم أجد شاعراً كان الهم القومي شاغله الاساسي، وهاجسه الذي لا يطاوله هاجس كما وجدت ذلك عند شاعرنا».

وفي دراسة مطولة عن البعد القومي والناصري في شعر سالم بن علي العويس يقول رأفت السويركي : «كان العويس صوتاً عربياً من الخليج لا يضارع، أدرك أهمية أن يكون صوت أمته المشارك في التأكيد على الانهاض للاتحاد».

ويقول ايضاً في مكان آخر من الدراسة : «ان اهتمام سالم بن علي العويس بمصر وعبد الناصر في اطار همه القومي لا يأتي من فراغ، بل يستند الى طموحه القومي النهضوي الذي يبدو في شعره المطبوع».

ان الاستشهاد بايمان الشاعر سالم بن علي العويس بالاتجاه القومي الذي ساد في تلك الفترة التي عاشها الشاعر إثر النهضة القومية التي قادها عبدالناصر والاحزاب القومية العربية الاخرى إثر ثورتي مصر والعراق أقول، هذا الاستشهاد يستند على ما جاء من نصوص واضحة لهذا الوعي القومي المبكر، والذي يشكل علامة متميزة في تلك الفترة وفق ظروف ساحل الامارات المتصالحة كما كان يسمى أو «الساحل العماني» :

والقوم من جذم العروبة فاتئد

ومتى رأوا علم المحجة ساروا

والوحدة الكبرى مصر وسوريا

لأولي البصائر ليلهن نهار

واشهد بنا هذا السباق فانه

لسباق مجد ماعليه غبار

وقوله عن الوحدة العربية أيضاً في قصيدة اخرى نستكشف بها وعي الشاعر وموقفه الواضح من الاستعمار الغربي، اضافة الى انبهاره بشخصية عبدالناصر واعتباره الزعيم القومي:

ووحدتنا الكبرى أثارت وساوساً

لدى الغرب ان الغرب أظلم غالب

رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة

اذا مارمى زهر النجوم الثواقب

ولكن سنمضي في الصراع وعندنا

جمال سبيل الرشد احدى العجائب

يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى

وضاق بأشباح الليالي الشواحب

ولعلنا من خلال الموقف القومي للشاعر نستخلص عدة محاور في هذا الاتجاه، فقد اعتبر كما مر بنا عبدالناصر رمزاً للزعيم القومي وصورة بعدة صور حتى جعله «احدى العجائب»:

ولكن سنمضِي في الصراع وعندنا

جمال سبيل الرشد أحدى العجائب

ثم كتب كثيرا في الوحدة العربية التي ظلت مفاهيمها ملاصقة لعبدالناصر باعتبارهما صنوان:

حيوا جمال كثيراً ايها العرب

لم يجدكم مثله مال ولا نسب

كنتم غثاء السيل يحملكم

الى المفاوز لاذنب ولا سبب

وقوله في مكان آخر وهو يكتب عن الوحدة العربية الكبرى ويذكر فيها عبدالناصر مشيراً له «بالزعيم» ومن ثم «بزعيمنا»:

هي الوحدة الكبرى «تراث الاكابر»

وقل لي هل آمنت ام غير قادر

ولولا «زعيم» لا يجادل رأيه

حكمت على احلامنا بالخسائر

ولكنني ما تبينت لا أرى

سوى النجح ان النجح حظ المصابر

ومما علمنا من سلوك «زعيمنا»

هو الصبر حتى اليأس من كل صابر

والشاعر سالم بن علي العويس يطرح قضية فلسطين واغتصابها والمطالبة بعودتها الى أصحابها الشرعيين كمحور آخر من محاوره، ظل يؤكد فيه ويصوغ قصائده عنه:

فلا اعتراف ولا سلم وإن سقطت

بعد النشوب ليوم الحرب تيجان

وفي قصيدة أخرى يتهم الغرب عن وعي كامل بصنع ما يسمى دولة اسرائيل على ارض فلسطين:

والغرب جاء باسرائيل ميتة

أو أغبياء أسارى كي يميتونا

ماذا فعلتم رجال العرب نحوهم
أيقظتموها أحاسيسا ملايينا

وهو في خضم همه القومي وانشغاله في الكتابة عن شتى المحاور في بعدها القومي، سواء في الوحدة العربية، او الزعامة القومية المتمثلة بجمال عبدالناصر أو ضياع فلسطين ودور الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية في اقامة اسرائيل، إضافة الى شتى المحاور في عموم الوطن العربي فإنه لا ينسى بعد الخليج القومي، فيؤكد على عروبة الخليج، وانتماء هذه البقعة الى الوطن الاكبر الممتد من الماء الى الماء . . واصفاً اهل الخليج بانهم ليسوا بليدي الاحساس . . انما ثورتهم داخل نفوسهم وفي اعماق ذواتهم:

يباديك من أهل الخليج ركود
وما هو منهم غفلة وجمود
منازع في اهل الخليج صحيحة
وما من مقيم في الخليج بليد
تميد بهم اعطافهم في دمائهم
ليوم تبدى للنفوس جديد

أغراض ومحاور أخرى في شعر سالم بن علي العويس

يؤكد كل من درس شعر سالم بن علي العويس انه يختلف عن شعراء عصره، فهو ليس مداحاً يقصد قصور الامراء فيمدحهم مسترزقاً، فقد منح من الإباء والترفع والوعي ما منعه من طرق ابواب القصور والتزلف عند الحكام والامراء، كما لم يعرف عنه أيضاً الهجاء. انه صوت يختلف تماماً عما كان يدور بين ــ المتعلمين ــ أو حتى مايدور بين أوساط الشعر حتى عهد قريب. ولعلنا في استرجاع بعض الابيات من قصائده نؤكد هذا الاتجاه اذ يقول :

والشعب إن قلّت مرافق يومه
دبّ الخراب بكل بيت عالي

ولم يتورع شاعرنا من نقد الساسة والانتصار للفقراء رغم انه بورجوازي المنشأ يمارس العمل التجاري. فهو صاحب قضية اساسية وليس الشعر لديه بذخاً او شكلانياً:

فقر الرعية ركن في سياستكم
وعندكم شر من لاقاكم الفِطن

بل يذهب به القول فيربط الشعر بالناس وبالعامة، يجعل منه اساس الحياة المترابطة، بجدلية غير طبيعية بين الشعر والحياة، بين الشعر الميت الذي لا يعبر عن هموم الناس وبين الشعر عندما يكون الحياة نفسها بدلا من ان يكون القبر والموت والنهاية:

اذا جاء منك الشعر حياً فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وان جاء منك الشعر ميتاً فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور

والعويس ايضاً يقرأ التراث العربي الاسلامي فيتأثر به وينقل جزءاً منه الى اهله وشعبه وذويه . . صورة اخرى من صور القيادة يجسدها في الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويجعله مثلا وحجة ومن افعاله عبرة للحكام والساسة:

جاءت الى عمر الفاروق سيدة
تقول أين من الاجداد والينا
فصاخ يسمع لا كبر ولا غضب
وراح يخطب منصوراً وممنونا
لم تستلب منه يوم الرد منصبه
بل ظل بالحق والايمان مفتونا

ومن الطبيعي ان يتأثر الشاعر بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية، فهو اولا وأخيراً مسلم، تعلم في الكتاتيب أولا وحفظ القرآن، وتتلمذ على يد شيخين جليلين هما

عبدالصمد وعبدالرحمن ولدا عبدالعزيز بن عبدالله التميمي، فقرأ سيرة الرسول محمد (ص) والاحاديث النبوية الشريفة الى جانب العلوم الاخرى. لذا تجد تلك الثقافة الدينية الاسلامية واضحة في شعره :

كلام الله مرفوع البيان
ومرفوع الهداية والمعاني

أو لنقرأ قوله التالي :

فاذهب كما شئت إنا ذاهبون الى
ما قد رأينا وبالاسلام نفتخر

أو كما يقول في مكان آخر :

فإذا الحياة لقيتها بمحمد
جبت الحياة بقارح وثاب
وإذا اهتديت الى رشاد محمد
لا فضل في الايجاز والاطناب

وفي قصيدة أخرى يبرز وعيه الديني وايمانه بقوله:

هذا هو الدين القويم وجنده
نص الكتاب وصادق الصلوات
والله قد خلق العباد فكيف لا
يرضاه بعض الناس في الآيات
لا يستوي من يعلمون وإنما
يتخبط الجهال بالشبهات

بل ان سالم بن علي العويس لا يجد في غير الاسلام علماً يمكن للانسان ان يتمسك به، وبدون احاديث رسول الله محمد (ص) لا يمكن ان يكون الانسان سوياً. انما «أخرق» كما وصفه في البيت التالي من احدى قصائده:

ولا علم من غير الرسول محمد
فان شئت فاستمسك.. وان شئت فاخرق

إن وعيه الديني، القومي، الانساني، جعله يرتبط بكثير من الرؤى السياسية التي حاول ان يطرحها ضمن اغراضه الشعرية التي ظلت تدور بين هذه الهموم الانسانية وان اتخذت شكلا دينياً احياناً، وآخر قومياً . . وبعداً عاماً . . فالدين والقومية جانبان من جوانب الانسانية. اننا يمكن ان نطلق عليه مجازاً انه شاعر انساني حاول ان يعبر عن هموم الانسان من خلال مفاهيمه الدينية وارتباطه القومي دون التفريط بالوطن وبالاهل. ان جدلية الارتباط العضوي بين كل هذه الاتجاهات ترسمها الاغراض الشعرية عند العويس ليس قسراً انما انسيابياً وابداعياً وتوجهاً ووعياً ومعايشة . .

قال عن امريكا :

قل ما تشا (ايزنهور)
واذهب ذهابك في الهذر
ان اليهود وان صدد
ت هم الضمير المستتر

وفي قصيدة أخرى :

ان «الولايات» في جد وفي لهف
تهوى على الشرق والسكان ماكانوا
تلكم سياسة امريكا وساستها
ان يتبع الحرب اذلال وبهتان

وينتصر في قصائد اخرى الى الشعب الهندي في صراعه مع الاستعمار البريطاني، فيهاجم (مستر أتلي) رئيس وزراء بريطانيا، ويحذر الهنود وغيرهم من الشعوب المسحوقة من اميركا ووعودها الكاذبة :

يا ويح أتلي كيف طابت نفسه
فجرى على الهند الضياع الاول

ويقول أيضاً :

واليوم هذا الحق خيم ظله
بسماء واشنطن لا يتأمل
والقوم تكذب والكذاب يزيدها
دركاً فتبتلع الكذاب فتنزل

وفي خضم هذا الهم الواعي لكثير من قضايا الامة العربية والاسلامية، والتوجه نحو السياسة العالمية وانتقاد الدول الاستعمارية ورموزها فهو لا ينسى ارتباطه العضوي بالارض والبحر والسفن والغوص، مجسداً ارتباطه الانساني الوطني :

لمن السفين تلوح كالأطلال
بعد الزعامة والمقام العالي

في هذه القصيدة يستعرض اهمية السفن في حياة المنطقة، وانتقاص هذه التجارة، اذ يجعل الظلم والاستبداد وعدم مراعاة حقوق الناس من اسباب ضياع ثروة البحر، والعزوف عنها:

هيهات أيتها السفين فانما
وضح النهار ولات حين خيال
للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال

ان الحديث عن الشاعر سالم بن علي العويس قد لا تستوعبه هذه الصفحات، فامتداد زمنه ضمن قرنين من الزمن كفيل بأن يعطي حياته الشعرية مساحة اوسع، وتحتاج الى دراسة اعمق، فلا زالت الدراسات التي قدمت خلال الاحتفاء بمئويته لم تشمل كثيرا من ابداعه وانجازه خاصة في اتجاه بناء قصيدته، وارتباطها بالقصيدة العمودية القديمة، وقيمتها الشعرية، واتجاهات متعددة تتحملها قصيدة العويس الشعرية وفق ظروفه المعاشية والزمانية والبيئية التي عاشها الشاعر بين دفتي الربع الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين.

المراجع

لأن البحث في شعر سالم بن علي العويس لازال بكراً، فلا تتوفر مراجع لدراسته، ماعدا عدد من المقالات والدراسات اعدت خصيصاً للاحتفاء بمئوية الشاعر. وبعض المقالات المنشورة في المجلات والصحف المحلية.وادرج في ادناه بعضاً منها، راجعتها عند كتابتي لهذا المحور. واستندت على بعض ما جاء فيها من آراء وأحكام:

الدراسات التي قدمت خلال اسبوع الاحتفاء بمئوية الشاعر.

ـ سيرة حياة الشاعر سالم بن علي العويس	عبدالله عبدالرحمن
ـ سالم بن علي العويس ـ حياته ـ تكوينه الثقافي	بلال البدور
ـ سالم بن علي العويس	عبداللطيف الزبيدي
ـ البعد القومي في شعر سالم بن علي العويس	عبدالمنعم عواد يوسف
ـ عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس	رأفت السويركي

المقالات المنشورة في الصحف والمجلات المحلية:

ـ شاعر الوطنية والقومية ـ عبدالغفار حسين ـ جريدة الخليج ـ الشارقة الخميس ٩ يناير ١٩٨٦.

ـ مع شاعرين من عمان ـ عبدالغفار حسين ـ جريدة الخليج/ الشارقة ٧ يناير ١٩٨٨

ـ شعر العويس ـ رؤية للحياة من منظور اسلامي ـ د. نجيب الكيلاني. مجلة المنتدى ـ العدد ٥٤ يناير ١٩٨٨ ـ دبي.

ـ الرؤية الاسلامية في شعر سالم بن علي العويس ـ سعيد حارب ـ جريدة البيان ـ ٢٨ يناير ١٩٨٨ ـ دبي.

ديوان «نداء الخليج» مجموعة شعر سالم بن علي العويس.

كلمة حق . . .

ابراهيم سعفان

الاحتفال بالشاعر سالم بن علي بن ناصر العويس ١٨٨٧ ـ ١٩٥٩م بمناسبة مرور مئة عام على مولده خطوة هامة على طريق الاحتفال بالرواد الذين عبدوا طريق الحضارة الفكرية والثقافية في مجتمعنا وتحملوا في سبيل ذلك الجهد المادي والمعنوي ايماناً بأنهم يبذرون بذوراً ستؤتي أكلها طيبة في المستقبل . . فمن حق هؤلاء الرواد علينا ان نتذكرهم ليكونوا رموزا للشباب يقتدي بها ويعرف وفاء مجتمعه للذين يبذلون العطاء باخلاص لبناء صرح حضارة المجتمع.

وسالم العويس واحد من هؤلاء الرواد الذين اشعلوا سراج المعرفة بشعره الذي ساح به في جميع الاغراض الاجتماعية والوطنية والغزلية.

انه رمز لاصرار الانسان الباحث عن المعرفة لبناء نفسه ثقافيا في وقت كان الحصول فيه على الثقافة صعبا لما يتطلبه هذا من بحث دائب للحصول على صحيفة يومية أو كتاب من بلاد قريبة أو بعيدة. لقد كان شاعرنا يشارك أساتذته في قراءة الصحف التي تصل اليهم ولنقرأ ما قاله عبدالله عبدالرحمن عن شاعرنا سالم بن علي العويس «لأن الطالب سالم بن علي العويس كان حاد الذكاء وبالغ الحرص والاجتهاد والشغف على التعليم فقد كان الاول دائما على أقرانه وعريفا عليهم في الفصل ومقربا الى قلب أستاذيه وبالتالي فقد كان يشاركهما في مطالعة الصحف التي تصلهما في تلك الفترة».

ان حضارة الأمم لا تقاس بالتقدم الحضاري فقط بل تقاس ايضا، وهو الأهم، بالتقدم الثقافي وبما أخرجته الأمم من مشاهير في مجالات العلم والمعرفة.

ان الحضارة المادية تزول ولكن الحضارة الثقافية باقية تحمل تاريخ وعراقة المجتمع . . فمازلنا نذكر شكسبير . . واليوت. وشو. هؤلاء وغيرهم الذين ساهموا في بناء الحضارة الغربية ولا نذكر مصنعا أقيم في عصرهم. ومازلنا نذكر المتنبي وأبا

العلاء المعري وشوقي وحافظ وايليا أبا ماضي وغيرهم ممن اضاءوا لنا شعلة المعرفة مما يضيق بذكرهم مجلدات.

ولكن . . يجب الا ننسى تكريم الأحياء ايضا فهذا أكبر الوفاء لهم مما يجعلهم يشعرون بتقدير الدولة والناس لهم مما يدفعهم الى البذل والعطاء.

الماضي أساس الحاضر فيجب الا ننساه. والحاضر انطلاق للمستقبل فيجب ان نعمل بجد لتطويره لنحقق المستقبل الزاهر المنشود.

لم يكن سالم بن علي العويس، شاعراً سلبياً لا يشارك في الأحداث التي مرت به عربيا وعالميا ولكنه كان يشارك فيها بشعره ويعلن رأيه في جرأة موجهاً اللوم حيناً ومنذراً حيناً آخر.

ويتميز شعر شاعرنا بالسمات التالية :

١ ـ امتزاج الموهبة والثقافة.

٢ ـ اتصال الشاعر بالأحداث العربية والعالمية نتيجة اطلاعه المستمر على المطبوعات التي كان يحصل عليها.

٣ ـ امتلاك شاعرنا رؤية تنبئيه ويتضح ذلك في قصائده السياسية.

٤ ـ قوة ايمانه وعقيدته مما أعطاه قوة في المواجهة وثباتاً في الرأي.

٥ ـ العقيدة الاسلامية كرؤية شمولية ومنهج للحياة.

٦ ـ اهتمامه بالحكمة النابعة من تجاربه الحياتية.

٧ ـ ايمانه بأن تقدم البلاد لا يتم الا بقوة الارادة، قوة العقيدة، قوة العلم .

كما نرى أن الشاعر سالم العويس، حدد في الأبيات التالية مفهومة للشعر فهو يرى ان الشاعر مرآة عصره، فاذا كان عصره قوياً جاء الشعر قوياً واذا كان ضعيفاً جاء الشعر ضعيفاً، فالشاعر يربط بين الشعر وظروف المجتمع، فالمجتمع القوي ينتج شعراً قوياً والمجتمع الضعيف ينتج شعراً ضعيفاً، ولكننا نرى شاعرنا يمثل بالنسبة لمجتمعه الشاعر الرائد فجاء شعره قوياً . . . وهذا رأي يحتاج الى المناقشة بالتفصيل لا تتسع هذه المساحة لمناقشته. ويقول الشاعر :

وان تنتقد مني ركاكة مقولي
فقولي لفهم السامعين أسير
وما الشعر الا نفحة من محيطه
فكيف وما بالسامعين شعور

ولو أن قومي مرتقون وجدتني
مجيداً وهم لي جذوة ونشور
ولكن لي منهم جناحي مكسر
يرف ولكن لا يطيق يطير
اذا أنت حادثت السميع تفجرت
عليك من القول المتين صخور
وان انت حادثت البليد تبادرت
اليك معان كالبلادة بور

● منشورة في مجلة المنتدى العددين ٤٦، ٤٨، الصادرين في مايو ويوليو ١٩٨٧م.

القسم الاول
الاحتفاء بمئوية الشاعر سالم بن علي العويس

ترتيب الدراسات تخضع لاعتبارات فنية فقط

منذ بداية عام ١٩٨٧ بادر اتحاد كتاب وادباء الامارات ودعا لتشكيل لجنة وطنية للاحتفاء بمئوية شاعر الامارات سالم بن علي العويس، من عدد من الدوائر الثقافية والاعلامية والتربوية، واعتبار عام ١٩٨٧ «عام سالم بن علي العويس الثقافي». وفي هذا الاتجاه نظمت حملة اعلامية وثقافية وطنية خلال العام كله، ساهمت فيها الصحف والمجلات واجهزة الاعلام المرئية والمسموعة، وانتهت باقامة اسبوع ختامي امتد للفترة من ١٢ ــ ١٧ ديسمبر ١٩٨٧. شمل هذا الاسبوع عددا من الانشطة المكثفة من اجل احياء ذكرى الشاعر، منها عدد من الابحاث والدراسات ضمها هذا الكتاب، ومساهمات من شعراء معاصرين أيضاً، وعرض فيلم وثائقي عن حياته اعده تلفزيون الامارات العربية من أبوظبي.

وكان الاتحاد قد بادر واقترح على وزارة التربية والتعليم لادخال عدد من قصائد الشاعر وموجز عن حياته ونشأته وشعره ضمن المنهج الدراسي للمرحلة الاعدادية، لتتعرف الاجيال عليه وليتهدم جدار العزلة من حوله.

وكانت الهيئة العامة للبريد وباقتراح من الاتحاد أيضاً قد ساهمت في هذه التظاهرة الثقافية الوطنية، واصدرت طابعاً بريدياً بهذه المناسبة يحمل صورة الشاعر وتاريخ ولادته ووفاته، مثلما ساهمت جمعية الامارات للفنون التشكيلية بتصميم ملصق جداري عن هذه المناسبة. كما اطلق النادي الثقافي العربي في الشارقة اسم الشاعر على قاعة المحاضرات اعتزازاً بدوره الثقافي واحياء لذكراه.

وقد شمل حفل الافتتاح عددا من الكلمات، كما انتهى الاحتفال بجملة من التوصيات. نثبتها جميعها هنا كوثائق لاول احتفال بشاعر يأتي من عمق التراث ليشكل نقطة استقطاب ابداعي في الواقع اليومي.

كلمة الاستاذ عبدالغفار حسين رئيس اتحاد كتاب وادباء الامارات في افتتاح الاسبوع الثقافي لمئوية سالم بن علي العويس

ايها الاخوة ــ والاخوات . . .
مرحبا بكم في اتحاد كتاب وادباء الامارات . . .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

بهذه الامسية التي نجتمع فيها اليوم، نفتتح معا نشاطا ثقافيا يمتد على مدى اسبوع نحيي فيه ذكرى مرور مئة عام على ولادة اديب وشاعر كبير يأتي في المقدمة من ادبائنا وروادنا، هو المرحوم سالم بن علي العويس.

ولسنا نريد في هذه الكلمة المختصرة، تركيز الحديث على الشاعر وحياته وشعره، فقد تناول ذلك عدد من الاخوة الادباء في مناسبات مختلفة وخاصة خلال العام الحالي الذي اعتبر عام الشاعر . . كما يتحدث عنه عدد آخر من الادباء في البرنامج الثقافي في هذا الاسبوع الذي نحن في مستهله ابتداء من هذه الليلة.

والحقيقة ان سالم العويس عرّفنا بنفسه قبل أن نبحث عنه . . فهو قد ترك لنا أثرا من المآثر الرائعة التي تدل عليه والتي تجعل منه في تاريخ بلادنا الثقافي علما بارزا . . ومآثر الرجال هي ما يحكم عليها التاريخ وتجعل لها الايام صدى في الاسماع . .

كما يقول امير الشعراء احمد شوقي :

وآثار الرجال اذا تناهت
الى التاريخ خير الحاكمينا
واخذك من فم الدنيا ثناء
وتركك في مسامعها طنينا

لكن في احياء ذكرى هذا الشاعر الذي يعتبر أنموذجاً فذاً وفريداً في تاريخ الشعر والادب في الامارات بل في القطر العماني بأسره . . الشيء الكثير الذي نستلهم منه ونتدارسه فيكون لنا نحن المهتمين بالادب هديا نسير عليه . . اذ يعطينا هذا الشاعر مثالا حيا على ان الشعر ليس كما عرفه الكثيرون من

معاصريه من الشعراء في المنطقة، وكما يعرفه الكثيرون عندنا اليوم، مجرد زخارف في القول المنسق لا يخرج عن المديح والهجاء واستجداء ذوي السطوة والنفوذ . . بل الشعر عند سالم العويس هو . . غاية وهدف وتفاعل مع الناس في افراحها واتراحها وفي آلامها وجراحها. الشعر عند سالم العويس من طراز لم يعودنا على سماعه شعراء المنطقة في الخمسين والستين سنة الماضية . . لم نسمع كلاما من احد يقول لنا كما يقول سالم العويس كهذا الكلام الرائع:

والشعب ان قلت مرافق يومه
دب الخراب بكل بيت عالي!

ولم يقل احد للساسة كما قال سالم العويس:

فقر الرعية ركن في سياستكم
وعندكم شر من لاقاكم الفطن!
اللفقير حقوق في جبايتكم
إذاً فما باله مستجمع ضغن!

وكان سالم العويس يتكلم بالشعر الحي كما يصفه هو . . والشعر الحي عنده هو الذي يتعايش مع العامة، يحيا بها ويموت معها:

اذا جاء منك الشعر حيا فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وان جاء منك الشعر ميتا فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور

ان شاعرا متميزا على الساحة الخليجية بل من الشعراء المتميزين على الساحة العربية، كسالم العويس الذي يعتبر شعره سجلا لحياة الامارات في ماضيها بكل ما في هذا الماضي من شؤون وشجون . . .

من حقه علينا ان ينال كل اهتمام . . واتحاد الكتاب عندما اخذ على عاتقه احياء ذكرى هذا الشاعر الكبير يؤمن ايمانا عميقا بأهمية البحث في الجذور الثقافية لمجتمعنا، والاشادة بمن كان لهم دورهم في سقي هذه الجذور ورعايتها،

واعترافا بما لهؤلاء من المآثر وما خلفوه لنا من تراث نعتز به.

وقد عمل اتحاد الكتاب على جعل عام ١٩٨٧ الذي اشرفنا على انقضائه، عام سالم بن علي العويس، حيث اشرف على فعاليات وانشطة تم تنفيذ بعضها، ومازال البعض الآخر قيد التنفيذ . . .

ومن هذه الانشطة : ــ

١ ــ مخاطبة وزارة التربية والتعليم لتضمين المراحل الاعدادية شيئا من شعر وحياة الشاعر.

٢ ــ مخاطبة البلديات لاطلاق اسم الشاعر على بعض الدوارات والشوارع والمدارس.

وكلمة اخيرة . . . وهي انه اذا كان لكل بلد ان يتباهى بمفكريه وادبائه، فاننا في الامارات يحق لنا ان نتباهى بأديب ومفكر كسالم بن علي العويس ولعل في فكرة احياء ذكراه شيئا من العرفان ببعض ما له من حق.

كلمة اللجنة الوطنية للاحتفاء بمئوية سالم بن علي العويس القاها الاستاذ احمد سالم.

أيها الاخوة والاخوات . . .

تحتفل الامارات اليوم بالشاعر سالم بن علي العويس، وتلتف حول الذكرى المئوية لميلاده، محتفية «بالبصيرة التي هي في ارواحنا بصر».

ومثل هذا التكريم للعويس مفخرة للامارات وللمبدعين فيها، فقد عرفت الحياة في الامارات العويس شاعرا متفاعلا مع كل مجريات الامور السياسية والاجتماعية والاسلامية، محليا وعلى المستوى القومي، ومؤثرا، وسائرا إلى الاصلاح والتغيير، فكان بحق صوت شعبه وامته، وضمير مستقبل يتشكل بفعل الرجال الميامين، من المحيط الى الخليج، والعويس بهذا النحو هو الأنموذج الايجابي للشاعر المنغمس في حياة أهله، ومثله في الامارات كثر، وتكريمه وتكريمهم علامة عافية في المجال الثقافي الاجتماعي، في دولة تتضافر جهود الآباء والابناء والاحفاد فيها لصياغة حياة كريمة. وبهذا الفهم يكون تكريم الراحل سالم بن علي العويس تكريما للمبدعين المرتبطين بالحياة وقيمتها الخيرة وغير المنعزلين عن هموم اهلهم وامتهم . . وفي هذا تأكيد على دور أهل الابداع ها هنا وفي كل زمان ومكان.

وإنه لمما يثلج الصدر أن تكون مئوية العويس سانحة للتأكيد على النمو المتعاظم للابداع المحلي وتلاحمه الفاعل مع الابداع العربي في مجالات شتى.

أيها الاخوة والاخوات . . .

نحتفل بالشاعر الراحل جسدا، الباقي روحا في الزمان، ونكرم سالم بن علي العويس فخر جيل أصيل في «يوم المستقبل» والذي نحتفل فيه بفلذات أكبادنا ونكرم حفدة الابداع الشامخ، وباجتماع السلف والخلف في الحاضر الذي يسعد فيه اتحاد أدباء وكتاب الامارات بتكريم رائد من رعيل النهضة هو الشاعر سلطان بن علي العويس سليل ذات المجد الشعري، وبهذا التلاقي تتشكل امارة ابداع يسري في شرايين الوطن يدفع عنه الجهالة في زمن العلم ويدفع به الى العلياء في اوج مسيرة نحتاج فيها لضياء المخيلة التي ترى الغداة وتصوغ الافق الاجمل للحياة ومعناها.

أليس العويس هو القائل :

وان يك من مجد فإنا وراءه
اذا أحرقت فينا حبال الحواطب

أيها الاخوة والاخوات . . .

ان الاحتفاء بالعويس لابد ان يكون لنا ايضا مدخلا مشروعا للتأكيد على اهمية ان يحظى المبدع في الامارات بحقه من الاهتمام الرسمي والرعاية، والتشجيع، والدعم المعنوي. ولابد من توفر فرص للنشر الثقافي المخطط له بعناية، ولابد من توفر جوائز الابداع في كافة المجالات، ولابد من توفر مسابقات وحوافز للمبدعين الشباب من الجنسين . . وكل هذا ممكن اذا ساد الايمان والاقتناع به، وبأهميته في رفع مستوى الحياة الفكرية والثقافية والعلمية والادبية في الدولة واذا ما كانت الجهات الشعبية سابقة الى هذا الشرف الاثيل، فاننا لنطمح الى رعاية الجهات الرسمية المعنية بهذه الطاقات المبدعة الخلاقة في دولتنا، فقد طال ابتعادها عن هذه المهمة الضرورية تنمويا.

أيها الاخوة والاخوات . . .

لقد قضى سالم بن علي العويس عمره لاجل غاياتنا النبيلة . . ولهذا ونحن نحتفل به لا يخالجنا شك في انه يحتفي بنا في مخيلة الشعر الذي ينتمي الى الحياة قائلا :

ان البصيرة في ارواحنا بصر

ولهذا لا يسعني في الختام الا أن اشكر، باسم اللجنة الوطنية لمئوية سالم بن علي العويس، وأن اقدر كثيرا الجهات التي استجابت لاهداف هذا المهرجان ومقاصده، وان اشير بأسف الى انصراف جهات معنية عن هذا المقصد السامي، مما يعني اننا مانزال نحيا الزمان الذي يتخافت فيه البعض بتهميش الابداع، وما هذا الموقف الا مصيدة للطموح لابد لنا من مواجهتها بالمزيد من العمل الابداعي والمزيد من التوقير للمبدعين واحلامهم ومكانتهم الرفيعة.

ولهذا نأمل كثيرا في عمل متصل لترسيخ دور الثقافة بالمعنى الشامل في مجتمعنا وفي ادائها لدورها في حياتنا المحفوفة بالكثير من السائد الرديء . . .

قال تعالى في كتابه الكريم :

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان الاستاذ عبدالحميد أحمد نائب رئيس أتحاد كتاب وأدباء الامارات قد القى كلمة بهذه المناسبة:

عودة الصوت

يجيء من هناك، مطرزاً بالبحر، موشى بالنخيل، له رائحة التراب أول المطر، ونعرف أن الذي جاء هو صوتنا.

كانت الصحراء قطعة من جمر، والبحر حرقة من عطش، في زمان انتهكه الجهل، عاث فيه المرض، وأكله الجوع بأسنانه الحديدية. وفي سديم الفراغ شع صوته، قوياً، مضاداً للفناء، وحاملا في داخله قابلية الحياة، وها هو يجيء الينا ناصعاً كالحليب، متعالياً كالغيم، هاهو يصلنا بعد حين قريب، لنكتشف بعد ذهول: كم هو صوتنا أيضاً !.

صوتنا – الذي كدنا نفقده – يعود الينا في نقائه الاول، بعد حين من الوقت صادرته فيه آلات الهوان، وامتهنت حرمته غطرسة زمان مكابر، في خلسة من القلوب العاشقة المتشوفة الى غدها الذي . . . يأتي، ويأتي.

خلنا، وكم نخال مخطئين، أن شجرتنا التي نسقيها ماء مقطراً، ونطعمها فتات التكنولوجيا، ونضيئها بكهرباء البترول. خلنا أن شجرتنا صناعة حديثة نمت بلا جذور، ولا شروش، وأن تاريخنا بقعة معزولة في الزمان والمكان، فإذا بالصوت العائد، يقلب الطاولة علينا بقوة الشعر، ويطفىء العماء الذي أوشك على خطف الابصار والبصائر، ويعيد للشجرة جذرها الذي ما انقطع، وقطعناه غافلين. هي الشجرة اذن، لاتنمو ولن تنمو، الا لأن جذورها تشرب من زرقة البحر وتأكل من خضرة النخيل.

لم يكن فطراً نبت في خراب، ولا «رمرامة»* عجفاء تجرفها ريح. نخلة كان، تدجن الصعاب، وتألف المستحيل، توزع النجوم والاقمار للجوعى، تحضن البحر والاسماك والاصداف، نخلة كان، تتطاول بهامة خضراء الى الحياة. هل يموت النخل، اذن، هل يموت الشعر، وفي حلقه طلاوة المستقبل، وفي قلبه ارادة النماء وفي عينيه يلمع ندى الصباح ؟

---

* الرمرامة : نبات صحراوي

هو، صوتنا، الذي يعيد الى وجوهنا بعضاً من الهوية والوجود، هو جذر من جذورنا التي دفعتنا الى فضاء الحياة، ورحابة المستقبل.

ولذا، فنحن نجلس هنا اليوم لنسمع الصوت القادم من تاريخ القلب، ولنلمس النسغ الممتد في جغرافيا الروح.

وبإسمه، وبإسمه : سالم بن علي العويس نبدأ اسبوعه الثقافي . . اسبوعنا الثقافي.

* *

وقد اختتم اسبوع الاحتفاء بمئوية الشاعر سالم بن علي العويس بحفل حضره عدد كبير من الادباء والكتاب والمعنيين بالثقافة. وفي هذا الحفل الختامي القى عضو مجلس ادارة اتحاد كتاب وادباء الامارات الاستاذ نجيب الشامسي كلمة ختام الاسبوع ثم تليت التوصيات.

كلمة اللجنة الوطنية في ختام أسبوع الاحتفاء بمئوية الشاعر القاها الاستاذ نجيب الشامسي.

ايها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا نجافي الحقيقة اذا قلنا ان اسبوع سالم بن علي العويس والذي نختتم أعماله هذا المساء، قد توج توجهاً ثميناً بالترسيخ في الحياة الثقافية في مجتمع الامارات كما أننا لا نبتعد كثيراً عن أهدافه الاساسية اذا ما طالبنا وسعينا الى المزيد من مثل هذه التظاهرات التي تؤكد على معان وأسماء ومواقف كان لها أثرها الكبير فيما نحن فيه، وذلك ان تكريم المبدعين من أهل الامارات فيه تكريم للوطن وأهله وفيه توقير للابداع النافع للحياة الاجتماعية والمساعد على جعلها اكثر عافية وانتاجاً وقيمة . . فعام سالم بن علي العويس قد أكد على ضرورات ثقافية متعددة أهمها اضاءة التاريخ الثقافي وربط حلقاته وتوثيقه بما يرى الحاضر بنماذجه الاكثر بروزاً وتأثراً في سوية المعاصرة . . وأهمها ايضا احترام رموزه لحماً ودماً واحلالها سلمها الثقافي . . وأهمها أيضا تحضير شبابنا المبدعين ورعايتهم بتوفير مستلزمات انتاجيتهم في الصناعة الثقافية التي نعتبرها مثالا يعتز به في تنمية انسانية هي اعز استثماراته للمستقبل . . بكلمة ينبغي توسيع رقعة الاهتمام الفعلي وكفاية الانسان المنتج وعلى وجه الخصوص الانسان المنتج غذاء روحياً أرفع.

ومن هذا المنطلق لا تكتفي اللجنة الوطنية للاحتفاء بمئوية سالم بن علي العويس بتثمين مبادرة عبدالوهاب قتاية في لفت الانتباه الى أهمية الظاهرة أو مبادرة اتحاد كتاب وادباء الامارات في قبول التحدي والتحول به الى حيز التنفيذ فحسب. بل وتأمل في استمرار مخطط لايلاء عناية لا تحدد للقيم الثقافية في الامارات والعمل على انتزاع شرعيتها الثقافية المستحقة بإضاءتها كاملة مثلما تم مع الراحل العويس وملاحقتها في دروب الثقافة الحية وابراز فاعليتها واستجابتها للتحديات المعاصرة. على النحو الذي تأكدت فيه مصداقية رؤى وتوجهات سالم بن علي العويس على الصعيد المحلي وعلى الصعيد القومي . . هكذا يكون صوت المبدع في عصره وشعبه. هكذا يكون الابداع باعثا على العمل والانتاج وترسيخ روح مواطنة حقة كفيلة بصيانة الوجود المغاير. ثمة تجاوب

جميل دائما مع مثل هذه المبادرات الكريمة.

فلقد كان لاستجابة الهيئة العامة للبريد قيمتها المعنوية الكبيرة مثلما كان للاستجابات الصغيرة في نظر البعض هنا وهناك قيمتها الكبيرة في حساب الايمان والقناعات والتصدي للمتقاعس والهروب واللامبالاة.

ما دمنا على قناعة فإننا لابد من أن نغير ما بأنفسنا حتى نفعل التغير المنشود فانه من نافلة القول تكرار ضرورة أن نعمل نحن المؤمنين بشغل الثقافة في تكاتف وان ننتمي الى الحوار الخلاق الذي يفسح المجال للرأي والرأي الآخر والآخر وتوسيع هذا الحوار وعدم اغلاق منافذه، منافذ الكلمة الفعل المنبثق من محيطها فيما قال سالم بن علي العويس . . ان نكون ضمير الامة صوتها وسوطها.

انه التاج الذي يشتهي المبدع . . انه التاج الذي نحتفي به في سالم بن علي العويس وهو ذات التاج الذي تتأكد به ثقافة الناس وهو وحده الجدير بالخلود.

سلاما على سالم بن علي العويس

وهنيئاً لنا بالجهود التي ترسخ من قيمة الثقافة في المجتمع.

والى لقاءات مثل هذا اللقاء عامرات بالذي يوحد ويجمع ويعبىء الطاقات للفعل النبيل.

والسلام عليكم

ومن أسرة الراحل فقد ساهم الاستاذ عمران بن سالم بن عبدالله العويس بكلمة مختصرة:

السادة الافاضل اتحاد كتاب وأدباء الامارات
ايها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
ما أقسى أن يجد الانسان نفسه عاجزا عن التعبير عما يجيش به قلبه من محبة وود وعرفان بالجميل لمثل هذه النخبة الطيبة من فرسان الكلمة والبيان.

أيها الاخوة الافاضل :
ان ما قمتم به من إحياء الذكرى المئوية للمرحوم الشاعر سالم بن علي بن ناصر العويس ليدل دلالة واضحة على تقديركم العميق لرجل قد جلوتم عن جوانب كثيرة من أدبه، وعن عمق ابعاده الوطنية والقومية والانسانية، وعن احاسيسه العميقة بما يعانيه شعبه. فقد كان رحمه الله ــ رائدا من رواد هذه الارض المعطاء فترجم احاسيس شعبها نحو أمتنا العربية وزعمائها الاحرار.
وأرجو أن يسعفني البيان لأعبر لكم عن عميق شكر وتقدير اسرتنا لهذه اللفتة الكريمة من طرفكم. ونحن نعتبر إحياء ذكرى هذا الرجل تكريما لدولة الامارات العربية الفتية التي كان يحلم بها الشاعر ويتغنى لوحدتها واتحادها وان أي تكريم لمثل هؤلاء الرجال الذين هم ملك لوطنهم وأمتهم انما يعتبر تكريما لكل من ساهم في رفع راية هذا الوطن العزيز.

وختاما اكرر شكري لجهود السادة الكرام الذين قدحوا زناد فكرهم في اضاءة بعض الجوانب التي كانت خافية على كثير من الناس في حياة هذا الرجل الذي يعتبر الاهتمام به كشمعة على الطريق حول رجال كثيرين جاهدوا بصمت في هذا الوطن العزيز في مجالات اخرى مختلفة. كما وإنني اشكر صحافتنا التي لم تأل جهدا في ابراز فعاليات هذا الاسبوع لهذه الذكرى.

كما وإنني سعيد جدا أن يمتد هذا التكريم ليشمل فارسا آخر من فرسان هذا الميدان وهو الشاعر سلطان بن علي بن عبدالله العويس والذي مازال صدى شعره

يتجاوب في المحافل الادبية. ونتمنى من الله أن يمد في عمره وأترك تقدير جهوده ونشاطه الشعري لحضراتكم الكرام.

وختاما انني أحيي بكل الود والمحبة والتقدير كل من ساهم في انجاح فعاليات اسبوع الذكرى المئوية للشاعر المرحوم سالم بن علي بن ناصر العويس وفي تكريم الشاعر سلطان بن علي بن عبدالله العويس امد الله في عمره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عمران بن سالم بن عبدالله العويس.

أما كلمة الأدباء والكتاب ألقاها الاستاذ ناصر علي الظاهري

«نكتب بالوطن . . . نكتب للوطن»

ثلاثة عقود تمرّ . . و«المحمل اليأزي» ما تزال تودعه الدموع المتصلبة، المتدثرة خلف البراقع، والخطى الخجلى على سيف البحر تسافر مع الموج. اغاني الصبا، تباشير النخيل تطارح الاشرعة هوى السنين . . ولهفة الابواب الموارِبة على الحزن بين الحين والحين.

ثلاثة عقود تمرّ . . تجرّ وطناً من رؤى الاحلام . . والمحمل المتخطي سنوات الصبر . . العابر لجج البحر . . الباحث عن اندر الاصداف . . عن أثمن اللآلىء، ليطرز للعرش الآتي عقداً يزين جيد الفتاة . . فتاة البحر والرمل . . فتاة البدو والحضر . . فتاة النخل والجبل.

يا أيها المسافر الغائب، الآيب، هبوب رياح السنين، إنتوت «محملنا اليازي» انتقت سيد «البحور» والسواعد الثكلى تجرّ نواح المجاديف، تتشبث بـ «زنابيل المحار» . . والنهام يختصر الليالي . . يطوي المسافات، والموج . . يسري الموج بأحلام الغائصين في الاعماق . . والمهر كل المهر للفتاة . . للامارات.

* * *

يتضوع القلب . . يتوهج باللظى . . يمارس طقوس الشعر . . ينعيك يا ابن القصيد، الراحل عنا، المسافر فينا بلا حدود، وها نحن نقف في ذكراك على كل الاشياء، العابقة بثرى المطر . . المبللة بتسابيح الفجر . . الموشاة بخوص النخل . . نقف على الاشياء ونسميها باسمك : بحراً . . سيفاً . . رملا . . خنجراً وقصيداً ها نحن نقف نقرأ السطور . . وتدعونا الى قراءة ما بين السطور . . تدعونا الى التوشح بكل طاقات الايحاء في بيت القصيد . . وتعلمنا ان الرمل قابل للاخضرار، قابل للوهج، وقدح الشرر . . تحذرنا من الركض عند المنحدر . . وتسمى الحفر . . وتسمى الضمائر، وتشحذ الهمم، وتعلن ان اتحادنا قدر . . وان خندقنا العلم، وان الوطن حادينا . . تسمى الاشياء بأسمائها، فكلنا في الوحدة شيء . . وكلنا في غيرها لا شيء.

وعندما تمضي يبقى القصيد منك وفينا . . تصعد تعانق الذرى . . تلمس الثريا . . وتهيئنا لاحتضان، البحر . . ولثم الرمل . . واحتواء المستحيل.

نحن اذن على اعتابك اليوم نقف ونسأل : هل غادرنا الحلم . . والمكان ؟ ونسأل:

هل غادرتنا سيرورة الزمان؟ ونسأل: هل بقيت فينا هبّة البدوي . . وصبر البحّار ؟ !
أم نمضي كما سيل الزبد . . نجتر تباريح ذكريات عن «هيرات اللؤلؤ والمحار» . . عن الاسفار في غب البحار . . عن ضراوة رجال رؤوس الجبال.

ليس حسبنا ذلك . . ليس يكفينا قصيد النخيل، القابع في المزهريات . . مقطوع الجذور.

ليس يكفينا مجلس الرمل في الدور العاشر . . والشقة المصبوبة بحجم القامة . . لا ، ليس يكفينا الغلام القادم من خلف المآسي، لنعلمه الرمس، ويعلمنا التسبيح بحمد الاشياء.

هو الخيط الرفيع اذن أيها الصحب : بين الفنار . . والنيون.

بين الرمل والاسمنت . . بين الوفاء والرياء . . بين الرجال وهرط الرجال . . بين القصيد . . والهذر بالادعاء.

أخوتي . . كان سالم العويس وما يزال . . وسيبقى رمزاً للعطاء المتدفق في ذلك الزمن المقفر. وتبقى الذكرى أمامنا بحراً يتسع . . ونخلا يرتفع . . وأرضاً غير هشيمة.

وها هو من آل العويس آخر، ابن قصيد آخر . . ينبري من ظل هذه الرمال . . يحدو بقوافل الشعراء . . يتوكأ على فيض الكلمات . . يكسو الصحارى خضاراً . . يغزل لشواطئنا دثاراً . . يسكننا بالحب والدفء والاشعار.

شجرة اخرى قد أينعت وأعطت . . شمعة اخرى قد اضاءت وأسفرت . . فيا أيها الفارس غير المترجل، أنت شاهد فلتشهد . . هاهم الاحبة يقطعون العهد . . يحتفون بالوعد . . ويحيون عطاء القلم . . فحيوا معي سلطان العويس، فقد زاد عيدنا عيداً آخر . . وأضفى على مهرجاننا بريقاً آخر . . فلتشهدوا أنه همزة الوصل فينا، وحبل الود بيننا.

وإن كنا نقف اليوم . . نرتجل الكلمات، ترحماً على العويس الغائب، فعزاؤنا في العويس الحاضر، الذي ننيط به اشعال فتيل المواقد، لكي نقرأ ما هو كائن . . ونكتب ما يجب ان يكون . . فقد آن لنا ذلك . . بعزيمة الماضي التليد، والحاضر المنعم والمستقبل الجديد. حين يقطب «المحمل اليازي» أشرعته . . بعد مئة عام من الابحار . . تهب القلوب من ليل الانتظار وتكون الفرحة بحرارة الدمعة التي رافقت الجميع . . تصبح الضحكة تسابق الخطى المتعثرة للقيا . . ترش العيون كلمات الشوق للآتي من بعيد . . وتكبر الفتاة . . تكبر الامارات . . ويليق بها عقد غزلناه . . وكتاب سطرناه . . ونشيد غنيناه . . لنكتب بالوطن . . ولنكتب للوطن.

توصيات أسبوع سالم بن علي العويس الثقافي

عاش الوسط الثقافي في الامارات طوال الفترة من السبت الموافق ١٢ ديسمبر الجاري وحتى هذا المساء من يوم الخميس الموافق ١٧ ديسمبر فعاليات اسبوع سالم بن علي العويس والتي تتوج عامه الاحتفالي الذي اعلنته اللجنة الوطنية للاحتفاء بمئوية سالم بن علي العويس بمبادرة من اتحاد كتاب وادباء الامارات.

وقد اشتمل الاسبوع الثقافي على اربع كلمات رسمية ومحاضرة وست مداخلات نقدية وقراءة من شعر الراحل وثلاث امسيات شعرية ومعرض فوتوغرافي توثيقي وشريط برامجي تلفزيوني حول العويس الى جانب جهود اجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة طوال الفترة المذكورة، وقد اقيمت فعاليات في مقر اتحاد كتاب وادباء الامارات في كل من الشارقة وأبوظبي، وفي النادي الثقافي العربي بالشارقة وحظيت بحضور جيد.

وتم تداول كثير من القضايا الثقافية والادبية من خلال ماطرح حول الشاعر الراحل. ولأهمية الكثير من الطروحات كان من الضروري ان تتبنى اللجنة الوطنية للاحتفاء بمئوية سالم بن علي العويس المقترحات والتوصيات والآراء التي يمكن أن تعمم وتعود بنفع اكيد على الحياة الثقافية . .

وفيما يلي نضع امام الجهات المعنية بالعمل الثقافي توصيات ومقترحات وآراء جديرة بالتبني والعمل على تنفيذها بالحد الذي يجعلها رافدا ايجابيا للتطوير والارتقاء بالثقافة في الامارات :

أولا : جمع دراسات وبحوث الاسبوع الثقافي وكل ماكتب حول ادب وسيرة الشاعر سالم بن علي العويس وطبعها في كتاب.

ثانياً : تشكيل لجنة تكون مهمتها جمع الآثار المفقودة للشاعر وتدقيق قصائده واعادة نشرها بشكل علمي لتكون مادة للدارسين والمهتمين.

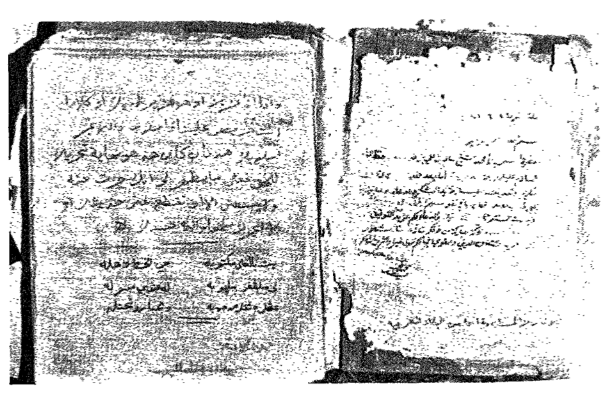
ثالثاً : حث الباحثين والدارسين، خاصة طلاب الجامعة وطلاب الدراسات العليا للاهتمام بدراسة وبحث نتاجات الرعيل الاول من الكتاب والادباء والمؤرخين بمن فيهم سالم بن علي العويس.

رابعاً : تضمين المناهج التعليمية في مختلف المراحل بعض نتاجات الكتاب والادباء الراحلين والمعاصرين لكي تكون مادة دراسة لطلبة وطالبات الامارات بما

يتلاءم مع التوجه الوطني والقومي لهذه المناهج والسياسات التعليمية في الدولة.
خامساً : تكريم الادباء والكتاب والمفكرين والمؤرخين بما يليق بمكانتهم الثقافية والفكرية ودورهم التنويري الفكري واعترافا بما قدموه لمجتمعهم ووطنهم.
سادساً : تخليد اسماء الكتاب في ذاكرة الاجيال، عبر اطلاق اسمائهم على مدارس ومعالم حضارية ومراكز ثقافية وتعليمية . . ومن هنا نقترح اطلاق اسم الشاعر الراحل سالم بن علي العويس على مدرسة وقاعة ثقافة وقاعة في جامعة الامارات، مما يجدد اسمه وقيمته في الحاضر والمستقبل.
سابعاً : منح الادباء والكتاب الجوائز التقديرية والتشجيعية وانشاء مثل هذه الجوائز تقديرا للانتاج الفكري والابداع الادبي والفني والعلمي والثقافي في حياتهم.
ثامناً : ضرورة الاهتمام بالتراث والتاريخ الثقافي والادبي للمنطقة وترسيخ مبدأ احياء ذكرى الرواد الاوائل وتخليد سيرهم ومأثورهم.
تاسعاً : ان تتولى الاجهزة الرسمية المعنية بالثقافة والعلم والتراث العمل على نشر نتاجات كثيرة ما تزال حبيسة الأدراج نفعها كثير ولا تتوفر فرص الاطلاع عليها والافادة منها في شكلها الراهن.
عاشراً : حث الجهات الاهلية القادرة على دعم العمل الثقافي الاجتماعي والمشاركة فيه، ذلك ان مبدأ التنمية الشاملة يعني تكاتف الجميع لبناء المواطن والوطن.

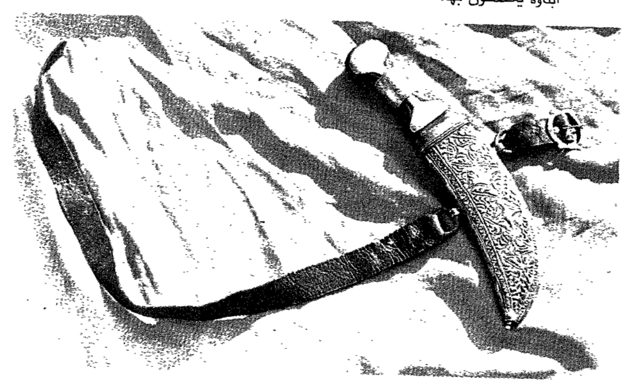
والله الموفق.

جانب من مأثورات مكتبة الشاعر وقد كانت تضم في حياته من ١٠٠ ــ ١٣٠ كتاباً دينياً وثقافياً وغير ذلك...



إلى اليمين رسالة شكر وتقدير تلقاها من أحد المعاهد الاسلامية في السعودية في ١٩٤٦/٦/٨

أدوات تجارة اللؤلؤ متكاملة والتي كان يستعملها الشاعر في حياته ولا زال أبناؤه يحتفظون بها.



الخنجر الخاص بالشاعر الذي كان ملتزماً طوال حياته بإرتداء الزي الشعبي وكان قد صمم خنجره بنفسه وأشرف على صنعه محلياً.

القسم الثاني
الدراسات والبحوث

سيرة حياة
الشاعر سالم بن علي العويس ومأثوراته

عبدالله عبدالرحمن

● هذا العرض الذي نحن بصدده هنا حول سيرة حياة ومأثورات شاعرنا المرحوم سالم بن علي بن ناصر العويس من ١٨٨٧ ـ ١٩٥٩م هو نبش في ذاكرة نخبة من معاصريه وأبناء جيله وأصدقائه وأبناء الشاعر وأحفاده وبعض من أقاربه وأفراد عائلته.

وإلى جانب روايات وذكريات تلك النخبة سعينا قدر الامكان في البحث عن بعض مأثوراته من الوثائق والمخطوطات والادوات والمقتنيات التي استعملها الشاعر خلال فعاليات حياته الادبية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية العامة والذاتية المعيشية الخاصة. وكان هذا السعي محاولة منا لجمع أكبر قدر من المعلومات عن سيرته وصفاته ومواقف وفعاليات وظروف حياته الحافلة وأيضاً لاضفاء مزيد من الدقة والمصداقية والوضوح على ماروته الذكريات.

وإذا كان الاستعراض التفصيلي اللاحق سوف يكشف لنا الكثير من الظواهر والاهتمامات والشؤون المتنوعة في حياة الشاعر منذ طفولته المبكرة وحتى قبيل وفاته بلحظات مروراً بمراحل عمره الاخرى.

فإننا قبل العرض التفصيلي المعني رأينا أن من المجدي تحديد بعض ابرز الملاحظات الاساسية الخاصة منها والعامة تلك التي رافقت حياة الشاعر فلعلنا نستشف منها مؤثرات على نتاجاته الادبية المتميزة.

● وفي هذا الصدد لابد أن نتأمل اولا ملامح الظروف والاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بيئة الشاعر ذلك الزمن.

وحيث أنه لامجال للاطالة نكتفي إذن بما أشار اليه الدكتور احمد أمين المدني في كتابه الصادر عام ١٩٦٧ حول «الشعر الشعبي في الامارات ـ نشأته وتطوره»

حيث يفيدنا . . «بأن سالم بن علي العويس ولد في عصر الشيخ صقر بن خالد القاسمي جد حاكم الشارقة الحالي في بلدة الحيرة. وكان العصر عصر عز وسؤدد. كانت فيه مدينة الشارقة تتقلب في ظلال النعيم الوارفة وبحبوحة من العيش رافهة وكانت الحيرة التي تقع في ضواحيها وهي من ملحقاتها تصن وترن بالرخاء وتزخر بالحياة الترفة النشيطة التي تفيض بالخير»، واضافة منا نشير الى أن شاعرنا خلال الاثنين وسبعين سنة من عمره رحمه الله عاصر كما ستفيدنا التفاصيل اللاحقة تقلبات ومتغيرات متنوعة في الاوضاع والظروف وعلى مختلف الاصعدة محلياً واقليمياً وعربياً وعالمياً ايجاباً وسلباً.

كما تجدر الاشارة مع هذه الوقفة الى ما أورده فالح حنظل في حوليات المفصل في تاريخ الامارات حين ذكر «انه في أواخر العقد الاول من القرن العشرين ظهر في الامارات من المفكرين عبدالله بن صالح المطوع صاحب كتاب «الجواهر واللآلىء في تاريخ عمان الشمالي» وكتاب «عقود الجمان في أيام آل سعود» بعمان. والشيخ مانع بن راشد بن مكتوم بن بطي بن سهيل صاحب أول «نالية»أي خارطة بحرية لبحر الخليج ومغاصات اللؤلؤ.

وظهر من النخبة المثقفة من رجال العلم والدين من معلمي الرعيل الاول الشيخ احمد بن الشيخ حسن الخزرجي والشيخ عبدالعزيز المبارك والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن حافظ والشيخ سليمان الجزيري والشيخ محمد نور بن سيف بن هلال.

واشتهرت من المدارس في دبي المدرسة الاحمدية لمؤسسها احمد بن دلموك والذي أقام على شؤونها ابنه محمد بن احمد بن دلموك وكان المعلمون فيها من الزبير في العراق والاحساء في السعودية. وفي الشارقة المدرسة التيمية لمؤسسها علي بن محمود وفي أبوظبي مدرسة اسسها خلف بن عبدالله بن عتيبة.

ومن الشعراء الذين برزوا في الادب والشعر محمد بن ثاني بن قطامي وخلفان بن يدعوه ومبارك بن حمد العقيلي واحمد بن سلطان بن سليم.

وفي الشارقة سالم بن علي العويس ومبارك بن سيف الناخي وفي أبوظبي سعيد الهاملي واحمد بن خصيفة وعلي بن قمبر».

وبهذه الاشارات السريعة الموجزة لبعض ملامح الظروف الاجتماعية والثقافية في الامارات خلال السنوات الاولى من عمر الشاعر سالم العويس نكتفي لنلفت الانتباه الى أهمية بحثها وتحديدها واستبيان مدى تفاعل الشاعر مع معطياتها ومآخذها بفنه الادبي.

ثم لننتقل الى الملاحظة التالية في حياة الشاعر وهي تتعلق بالوضع الاقتصادي والطبقي والثقافي لأسرة الشاعر أو بيئته العائلية حيث سيؤكد لنا العرض التفصيلي القادم . . ان الشاعر كان من عائلة ميسورة لكون أغلب رجال العائلة كانوا نواخذة لسفن الغوص أو «طواشين» أي تجار لؤلؤ.

كما سنلاحظ أن العائلة التي انجبت سالم العويس كانت تتميز بجذور موهبة الشعر والاهتمام الادبي بين بعض افرادها كوالد الشاعر وجده لأمه وجدته أم والدته.

وعند تطرقنا اللاحق لظروف المراحل المبكرة في حياة الشاعر سوف نقف على ملاحظة حرص أسرة الشاعر على دفعه للتعليم . . بل الاهم من هذه سنتعرف على تميز عقلية سالم العويس بالموهبة الجلية المبكرة ثم شغفه بالعلم والمعرفة والاطلاع وملاحظة اساتذته لتلك الموهبة وذلك الشغف واهتمامهم به وتأثر الشاعر بدوره بمعلميه.

ومن ناحية أخرى سوف تلفت تفاصيل ظروف شباب الشاعر انتباهنا الى سرعة تفاعله مع الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية من حوله محلياً وجرأته في التعبير عن رأيه شعراً في تلك الفعاليات اذ كانت احدى أولى قصائده النبطية مثلا في الخلافات والمنازعات التي اشتدت في تلك الفترة المبكرة من عمره بين طرفين في الشارقة والحمرية. كما أنه آنذاك كان خطيباً ومعلماً متطوعاً الى جانب اهتمامه الادبي والثقافي الشغوف وأيضاً تعلقه المتميز بالابل وانشغاله المبتدىء بالطواشة أي تجارة اللؤلؤ.

ثم نقف على براعة سالم العويس وتوفيقه في كل مجال تعاطاه في مراحل عمره اللاحقة تجارة أو زراعة أو طواشة تماماً كبراعته الادبية المتفوقة.

• وطبيعي أن تكون من أبرز الملاحظات في حياة شاعرنا الموهوب سالم بن علي بن ناصر العويس ايضاً هي الحساسية المرهفة في مشاعره والالتزام المبدئي في مواقفه وسلوكه وفكره.

وكان شاعرنا عاطفياً يعشق الجمال وله في الحب تجارب ومواقف وأشعار.

وسوف تكشف لنا صفات شخصية الشاعر وطباعه جوانب كثيرة من تلك الالتزامات المبدئية الواعية في حياته الاجتماعية والخاصة. وللشاعر تأملات نثرية مدونة في بعض الظواهر الانسانية والاجتماعية اليومية وغيرها.

وفي شعره النبطي والفصيح براهين كافية على همومه واهتماماته وانشغاله

الفكري والمشاعري بالقضايا والشؤون المحلية والعربية والاسلامية والانسانية.

● ومن الملاحظات التي تستحق الاشارة أيضاً هي تجاوز اهتمامات الشاعر وثقافته للوعي العام في أبناء جيله ولعلنا سنقف على هذه الملاحظة من خلال مواجهته الحكيمة لردود الفعل الاجتماعية على قصائده السياسية منها خاصة ثم مايروى عن اعتياده على قراءة تلك النوعية من القصائد على الخاصين من أصدقائه . . وهكذا.

وفي هذا الصدد تتجلى مكانة الشاعر الاجتماعية المرموقة والمحترمة حيث كان مجلسه بمثابة ناد أدبي حافل كما أن أصدقاءه المقربين من أعيان ووجهاء المجتمع على مستوى الامارات . . الى جانب المواقف والمناسبات العديدة التي كان يبرز فيها الشاعر بدعوة أو بمبادرة.

وأخيراً فإن سيرة حياة الشاعر سالم العويس المعيشية والاسرية والذاتية الخاصة بصفة عامة كانت ستبدو لنا عادية شأنه شأن غيره من أبناء جيله وذلك باستثناء تلك الظواهر والملاحظات التي أوردنا بعضها سابقاً.

واذا اكتفينا بتحديد تلك الملامح الاساسية للاهتمامات والصفات في شخصية وحياة الشاعر فإن في جولتنا الآن بين الروايات والذكريات والمأثورات والتي سنستعرض من خلالها تفاصيل سيرة حياته هناك الكثير مما يستحق التأمل والملاحظة:

جربت والدنيا تجاريب

لي تمنحه مالك يعاديك

لاول بن ادم وان درى ذيب

على حلالك ما يصافيك

ان كان قولي فيه تكذيب

جرب في حول بنابيك

تلك بضعة ابيات نموذجية من قصيدة مطولة ضمن عدد لابأس به من القصائد النبطية التي اوحت بها قريحة شاعر متواضع هو المرحوم علي بن ناصر العويس، والد الشاعر والاديب المثقف الحكيم المرحوم سالم بن علي بن ناصر العويس، المولود في الحيرة بالشارقة عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٧ ميلادية والمتوفى في عام ١٩٥٩م. أي قبل ٢٨ سنة من الآن والذي قال :

لاتلومني لي شفتني مشتبه دوم
ماود لي مايرضف الود بهيام
چه ما تباني لي خطر بي وانا احوم
خاطر شريف ماكتبه حق الايام
ياما تبليت البشر به وانا اسوم
علقت به وتغيظ به ثقل الفهام
لا تلومني مادمت عاذر ولا الوم
ولا تراني في الحرج هوب لوام
واسمع ولا تقبل ولا هوب ملزوم
تقبل ولك تظهر مع الضول لي قام
هذا ولي ماوالف القوم والنوم
واقرا ولا احاجي من الخلق طمطام

وكان تراثه ضخما يضم مئات من القصائد النبطية في الاغراض السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعاطفية والدينية والاصلاحية وغيرها.

وهو القائل ايضا عام ١٩٤٧م بالفصحى :

حرية القول بعد البين زورينا
لعل نفحك بعد الموت يحيينا
باتت ضمائرنا في طيها ألم
نخشى عليها اذا صدت تناجينا
هل في الزمان زمان نستطيع به
قولا وألا يضل الدهر محزونا
الا اسمعونا ولاة الامر سادتنا
ولا علينا جناح يوم تعصونا
المجد اصبح دون العلم مهزلة
والخسف اصبح بالجهال مفتونا

لا تنبزونا بأنا لا نعاونكم
فإن كذبنا على الرحمن فاقصونا
سلوا الجهالة هل في ارضنا ذهب
وأين نملك بترولا وبنزينا

وعلى هذا النمط من الشعر العربي الفصيح فجرت الينابع الصافية لأحاسيس الشاعر سالم بن علي العويس المئات من القصائد الوطنية والقومية والاسلامية والعالمية وعلى مختلف الاصعدة والشؤون جمع ١٨٥ قصيدة منها ديوان نداء الخليج الذي صدرت الطبعة الاولى.

اما شعر والده فلا هو مدون ولا يحفظ الاجداد والآباء منه الا القليل، بينما قلما يتذكر البعض بضعة ابيات من النتاج الشعري لجده (والد امه) سلطان وكذلك امر قصائد جدته (ام والده) التي تناقلتها الالسن قبل اكثر من مئة وخمسين الى مئتي سنة.

لكن ابناء سالم بن علي العويس وغيرهم يؤكدون على شاعرية اجداد ووالد شاعرنا ليلفتوا انتباهنا الى جذور موهبة الشعر والاهتمام الادبي في العائلة التي انجبت هذا الشاعر الفذ والمتميز من ابناء الامارات. وهو الذي تحتفل الاوساط الثقافية والادبية في الدولة بالذكرى المئوية لميلاده هذا العام تكريما لدوره الفعال وفكره المستنير وادبه المتميز.

وبعد تلك الاشارة الموجزة لاهتمامات اجداد وآباء الشاعر لنرحل مع سيرة حياة ومأثورات سالم بن علي بن ناصر العويس منذ طفولته المبكرة.

٣٥ سنة في حمرية الشارقة

فعلى مقربة من شواطيء منطقة (اللية) في الشارقة دفعت الرياح الغربية الشديدة ذات يوم بعيد جدا (سمبوكا) شراعيا كان قد قطع مسافة من رحلته باتجاه مغاصات اللؤلؤ في دلما. كانت سفينة الغوص المعنية ملكا لناصر العويس وكان ربانها هو ابنه علي بن ناصر العويس الذي اكمل عشر سنوات متواصلة تقريبا يقود بانتظام وتوفيق سفن والده في رحلات الغوص الموسمية المطولة المضنية.

وما ان استقرت السفينة في بحر اللية بانتظار هدأة الرياح حتى طلب النوخذة علي من (المجدمي) ان يسقيه كأسا من الماء، وكان علي متوزراً بكندورته والتي كان جيبها ظاهرا في الخلف وخاويا مما اثار شغف (المجدمي) لسؤاله عن المدة التي قضاها مكافحا في الغوص، فيجيبه بمبالغة وتذمر . . منذ نعومة اظفاري . . فيعلق الآخر ولكنك يا علي بالرغم من ذلك لم تغتن من الغوص ؟ ! فيرد عليه بقهر وهل تنتظر الغنى من الغوص ؟ ! ثم يطلب منه على الفور ان يناوله قدرا خاليا ويجمع حاجياته ويملأ بها القدر ويأمر (المجدمي) بأن يسبح معه الى الشاطىء ليرد القدر الى (السمبوك) وكذلك كان. ولكن ما ان يبلغ والده ناصر الخبر حتى يكتب له معاتبا إياه . . من ناصر بن عبدالله الى علي المخالف:كيف تترك السمبوك يسافر بدونك وقد صرفنا على رحلته الكثير . . الخ، الا ان عليا سرعان ما يلم اسرته وبينها الطفل الصغير (سالم) ويرحل الى بلدة الحمرية الواقعة بين إمارتي عجمان وام القيوين والتابعة لامارة الشارقة هاجرا بذلك رحلات الغوص البحرية تماما ومكتفيا بالطواشة اي تجارة اللؤلؤ محليا بينما بقي والده ناصر في الحيرة بالشارقة تاجرا معروفا في تجارة اللؤلؤ.

وفي الحمرية يترعرع سالم بن علي العويس صغيرا ويضمه والده في طفولته المبكرة الى حلقات تعليم القرآن ومبادىء العبادات والقراءة والكتابة مع زملائه من اطفال الحمرية طلبة (المطاوعة) وفي تلك الحلقات يحفظ اجزاء من القرآن الكريم ويتفتح ذهنه على مبادىء العلم وشأنه كغيره من اطفال الحمرية يتعلم الرماية وركوب الابل والتعامل معها وذلك بحكم الطابع البدوي لمجتمع الحمرية آنذاك كما كان في صغره يرافق والده وآخرين من الاهل والاقارب المشتغلين بتجارة اللؤلؤ ويتعلم منهم، وحين بلغ قرابة الثانية عشرة من العمر يصل الى الحمرية شيخان جليلان هما عبدالصمد وشقيقه عبدالوهاب ولدا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله التميمي وهما اصلا من نجد فيفتتحان مدرسة باسم (الوهيبية) والتي قدم لها علي المحمود مساعدة مالية سخية وعلى الفور يلحق علي بن ناصر ابنه (سالم) بالمدرسة الجديدة ولكون الشيخين الاستاذين كانا قد ساحا في مدن البلاد العربية طلبا للعلم والمعرفة فقد اكتسبا دراية لا بأس بها بأساليب ومناهج التعليم الحديثة في ذلك الوقت، لذلك فقد تميزت المدرسة الوهيبية عن غيرها من مدارس ذلك الزمن بأنها لم تكن تقليدية فنهل الشاعر من الشيخين العلم والمعرفة الكثير ونبغ فيها وتعلم مبادىء الحساب والفقه والنحو والصرف والسيرة

والتاريخ. كان الشيخان من ذوي الهواية في مطالعة الصحف العربية ومشتركين في بعضها ولان الطالب سالم العويس كان حاد الذكاء وبالغ الحرص والاجتهاد والشغف على التعليم فقد كان الاول دائما على اقرانه وعريفا عليهم في الفصل ومقربا الى قلب أستاذيه وبالتالي فقد كان يشاركهما في مطالعة الصحف التي تصلهما في تلك الفترة ثم اصبح بنفسه مشتركا في مجلة (الفتح) التي تصدر في القاهرة عن دار المكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب وكانت تصل الى المنطقة بعد ٣ ـ ٤ أشهر من صدورها عن طريق البصرة في العراق، كما اشترك في مجلة (أم القرى) التي كانت تصدر في مكة المكرمة. ويروى انه في صيف أوائل سنوات الدراسة كان الشاعر وأستاذه إذا ما وصلتهما الصحف ليلا يصعدان الى سطح مخزن البيت ومعهما الصحف وكمية من سعف النخيل ويشعلان النار في السعف واحدا تلو آخر ليقرأ على ضوئها محتويات تلك الصحف من الاخبار والمقالات بشغف ولهفة.

ولقد كان من زملائه الطلبة في نفس المدرسة مبارك بن سيف الناخي وعبدالله بن محمد الشيبة وعبدالله بن ثاني وآخرون.

بدايات شعره

ويذكر ان الشاعر بعد ان اكمل دراسته تطوع للتعليم وكان احد طلبته هو بطي بن مبارك الشامسي ولا يزال على قيد الحياة في دبي اطال الله عمره.

وحينما كان الطالب سالم العويس في السادسة عشرة من عمره تفجر من ينابيع حاسته القوية وخياله الواسع الشعر فجادت قريحته مع الايام والسنين بمختلف القوافي والبحور وازدانت قصائده بأبدع وصف فأخذ قلمه يتعاطى الشعر النبطي اولا ويترقى فيه من حسن الى أحسن.

ولعل اشهر ما يروى له من قصائد تلك الفترة ما قاله قبل سبعين سنة من الآن تقريباً وذلك حينما اشتدت الخلافات والمنازعات بين طرفين في الشارقة والحمرية وهي قصيدة مطولة منها :

هات بعتاب ونصل عوية رقاب

حمراً عليها شاعب ومشعاب

ومن ابياتها :

والچو والدوكرة والرتي وميزانه
واللي برزوا ماشيء غير حساب

فرد عليه جده سلطان بقوله :

يابو ناصر سلامه
من مدفع الركاس
في البيت سوى علامه
وخندقت لا تجناس

الى آخره من ابيات مطولة يقول له فيها بما معناه وكأني اراك الآن تهرب من موقع لآخر تريد ان تتخفى تحت الارض او تطير في السماء وهكذا..

ثم يرد عليه سالم بقصيدة اخرى من ابياتها :

ان طالت بل سلامه
بتشوف دورة راس
تيل وريل ونظامه
وطروى تيكيت وباس

والتيل هي البرقيات والنظام يعني به الشرطة او الجيش والتيكيت هي التذكرة الباس هو الجواز.

كما ان كثيرا من قصائد شبابه كانت في الردح اي الغزل كقوله :

من العام يازينات الاوصاف
قلبي شرى ذهن القطامي
ياما قعدت في راس مشراف
مرة وكم حلق وحام
لوطاف به من الخلق ماطاف
يختال جنحات الحمام

الفايجات العين لولاف
لأروى قصيرات الحزام
وإن برق والريش زفاف
به زامطن ريش النعام

ثم ينظم القصائد في الاوضاع والظروف والمشكلات والظواهر الاجتماعية المتنوعة وبفضل حبه للمطالعة وانتظامه في قراءة الصحف تنمو عنده ملكة الشعر وتزداد ثقافته فيبدأ بقرض الشعر العربي الفصيح ليقدم اروع القصائد.

لقد دامت اقامة الشاعر في الحمرية قرابة ٣٥ سنة من عمره وكان خلال تلك الفترة يتولى الامامة والخطابة اذا ما غاب الخطيب خاصة في ايام الجمع والاعياد وكذلك كان امره حينما انتقل الى الحيرة فيما بعد ذلك من سنوات.

الابل والطواشة

انشغل سالم بن علي العويس خلال سنوات تواجده في الحمرية الى جانب الدراسة والتفاعل مع الواقع والاحداث بشعره ومتابعة الصحف العربية، انشغل ايضا بالاعتناء بالابل والتي كان الاعتماد عليها كبيرا في حياة كل اهالي الحمرية وغيرهم اذ لم يكن يخلو بيت فيها من ناقة او بعير او اكثر وقد استمر على علاقة بالابل الى سنوات متقدمة من عمره ويذكر انه كان احيانا يثير خيال اصدقائه بان يوقف ناقته ليلا في مواجهة جدار ويطلب من احدهم الوقوف بين الناقة والجدار ممسكا بيده (الفنر) اي فانوسا مضيئا فينعكس ظل الناقة على الجدار بكامل اوصافها فيبدو الجدار وكأنه شاشة سينمائية فيقوم حينذاك باحضار صفيحة من الدبس وهو العصارة السائلة للتمر ويتولى رسم صورة الناقة على الجدار حسب المواصفات التي تعكسها الظلال وذلك من باب التسلية، كما انه في سنوات متقدمة من عمره كان يتعاطى لبن النياق بكثرة للتخفيف من آلام مرضه «الربو»الذي كان يعاني منه منذ ان كان في الثانية من العمر ولازمه طوال حياته ويقول . . ان هذا اللبن يفيده كثيرا.

لكن المهنة الاساسية التي كان الشاعر منهمكا فيها منذ ايام الصبا وفي سنوات شبابه في الحمرية فقد كانت (الطواشة) اي تجارة اللؤلؤ لكنه لم يكن

يخرج في سبيلها الى المغاصات في البحر بل كان يكتفي بالبيع والشراء مع الطواشين والغواصين في بلدة الحمرية وكذلك ام القيوين والجزيرة الحمراء ودبي والشارقة واحيانا ابوظبي حيث كانوا يقصدونها في مواسم الغوص فلقد كانت تصلها السفن من المغاصات للتزود باحتياجاتها من المياه او الاحطاب او المؤن الغذائية فيقومون ببيع ما جمعوه في الايام الماضية من رحلتهم ثم يعودون للمغاصات مرة اخرى . . كما ان هناك بيعاً وشراء داخليا بين الطواشين في أبوظبي.

وقد بدأ الشاعر في ممارسة هذه المهنة منذ ان كان طالبا في «الوهيبية» وعلى شواطىء الحمرية ومن انتاج المغاصات القريبة وهي «القحة» وقد كان اغلب رجال عائلته يعملون بالطواشة كخاله عبدالله بن سلطان وعلي بن عبدالله ابن عويس وكان في سنه وآخرون، ولقد اتخذ الطواشة مهنة اساسية له اغلب سنوات عمره وحتى دب الركود في سوق اللؤلؤ وسنأتي على المزيد من التفاصيل لاحقا.

الى ام القيوين بسبب «حصباة»

مرت سنوات حياته في الحمرية كذلك حتى اشترى ذات عام (حصباة) ثمينة فطلب منه بعض اصحاب السلطة والمكانة ان يريهم اياها فرفض فاعتبروا انفسهم شركاء معه فلم يوافق بدعوى عدم حضورهم وعدم مساهمتهم في رأس المال فكتبوا الى خاله عبدالله بن سلطان في الشارقة يدعونه للحضور للتوسط في الامر لكنه بقي على اصراره ورفضه وبعد ان فارقوه عاد اليه خاله لوحده وتمكن من شراء (الحصباة) منه وعاد الى الشارقة دون ان يمر على المعنيين من الاشخاص فكتبوا له طالبين الشراكة معه فرد عليهم كما كان رد سالم بالرفض.

وكانت تلك (الحصباة) سببا في احساسه بالتذمر والضيق. فرحل الى ام القيوين ليقيم فيها سنتين مستمرا في الطواشة الى جانب استمراريته في متابعة صحفه التي تنوعت فيما بعد وكانت تصله عن طريق دبي لكنه لم ينظم شيئا من الشعر خلال فترة تواجده في أم القيوين، وفي تلك السنة غادر والده علي بن ناصر العويس برفقة تجار من ام القيوين الى القطيف لجلب التمور وكانت عودة سفينتهم مع بداية الشتاء ففاجأهم الطوفان قرب خور ام القيوين فاضطروا الى

القاء كميات كبيرة من البضائع في البحر بينما تبلت الكميات الاخرى الباقية من التمور وحين انزلت تم البيع بخسارة فضاق والد سالم من تموره لكن الابن عرض عليه الشراء ثم قام ببيعها مقابل (اللؤلؤ) بمثقال او اثنين لكل عدة اكياس، واستمرت (طواشته) قرابة سنتين بين ام القيوين والجزيرة الحمراء ورأس الخيمة وكان صديق الشاعر في ام القيوين هو حمد بن ابراهيم رحمه الله.

١٧ سنة في الحيرة.

لقد اقام شتاء في المدينة بينما سكن في (اليزيلة) صيفا لوفرة المياه فيها ولجوها المنعش الا انه اصيب هناك بحمى شديدة اضطرته الى مغادرة ام القيوين والرحيل الى (الحيرة) في الشارقة حيث اقام عند عمه عبدالله بن ناصر وبين نخيله فعادت اليه عافيته وفيما بعد اشترى والده بيتين واحداً لكل منهما واستمرت اقامته في الحيرة ١٧ سنة متواصلة مليئة بالانشطة والتفاعلات والانشطة التجارية والثقافية والادبية يكفي ان نورد منها:

أولا : ماكتبه المؤرخ والاديب المعروف عبدالله بن صالح المطوع ابن الشارقة في مذكراته التي اطلعنا عليها بلجنة التراث والتاريخ في الشارقة يقول : زرت قرية الحيرة التابعة لحكومة الشارقة لأسأل بعض اهل الخبرة هناك فاجتمعت بحضرة الاديب والشاعر الاجتماعي سالم بن علي آل عويس ولم يعلم لماذا قصدت، وبحثت معه في مسائل عديدة فاخبرني بأنه عثر في مجلة الهلال على ثلاثة ابيات لبعض الادباء ضمنها (كل من سار على الدرب وصل) وانه شطرها فصارت ستة ابيات اتحفني منها هذه الابيات :-

حرت في امرك لم تدر الذي
جعل العيش ثقيلا كالجبل
عزمك الحزم ولما
خيب المسعى واودى بالامل
ولا تحر وانظر الى من عملوا
من رأى مستشرقا شوقا عمل

لا تقل فيما مضوا في عزمهم
كيف جازوا الصعب في نجح العمل

سر على آثارهم مقتديا
واطرح اليأس وراءً والملل

فصارت خير مشجع لي ونادانى لسان الحال قائلا :

تشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالكرام فلاح

انتقل الشاعر من حمرية الشارقة الى ام القيوين بسبب خلاف على «حصباة» ثمينة وبعد اقامته لسنتين متتاليتين في ام القيوين عاد الى مقر ولادته في الحيرة بالشارقة ليستقر بها سبع عشرة سنة متواصلة مستمرا على ممارسة مهنته الاساسية وهي «الطواشة» اي تجارة اللؤلؤ متنقلا في سبيلها بين الشارقة ودبي وابوظبي وبعض الامارات المجاورة. وكثيرا ما كان يزاول في مجلسه بالحيرة «الطواشة» حيث كان يمر عليه «الدلالون» بلؤلئهم ويفدون من مختلف الامارات فيشتري الشاعر ما يناسبه ويعرض عما لايريد ويروي الشيخ محمد المحمود انه كان من المرتادين لذلك المجلس وانه كان حينها في مستهل الشباب فيجد من الشاعر النصائح الغالية التي لا ينساها في الدنيا والدين. ويقول: «لا أنسى إفادته لي ذات يوم عن طريقة مختصرة في وزن الدانه» اللؤلؤه حيث قال: «إذا اردت ان تجد اجواء وزن دانة فاضرب نصف ألرتي في اصله تجد النتيجة وباجواء بومباي ايضا وذلك كالتالي .. دانة واحدة وزنها ستة ريتات كم جوا تساوي ؟ . . واجاب اضرب ٣ × ٦ = ١٨ جو بومباي لانهم كانوا يحولون ألرتي الى اجواء فينتج اجواء بونة ثم يحذفون من كل مائة جو بونة خمسة عشر فيصفى اجواء بومباي والسعر عليها.

وخلال سنوات اقامته في الحيرة اشتغل شاعرنا ايضا في التجارة العامة الى جانب «الطواشة» اذ انه افتتح محلات له في الحمرية وام القيوين والجزيرة وعين فيها بائعين بالاجرة وكذلك في الحيرة وامتلك في نفس الفترة سفينة شراعية من نوع «الصمعة» وكان ينقل بها البضائع من دبي الى تلك المحلات ويقودها ابناؤه كما كان يستورد «السمن» من الهند ويوزعها على تلك المحلات للبيع وهكذا.

وفي سبيل «الطواشة» سافر الشاعر عدة مرات الى البحرين كما سافر ايضا الى الهند لتصريف حصيلته من اللؤلؤ من ضمنها سفرته ذات عام برفقة ماجد بن محمد ومبارك بن سيف رحمهما الله وكانوا قد استأجروا لهم منزلا هناك وصادف ان يكون بقربهم جيران هنود يطبخون الحليب على الحطب الامر الذي كان ينشر منذ الصباح الباكر كثافة كبيرة من الدخان يضايق الشاعر واصدقاءه ثم يعود اصدقاؤه الى البلاد ويبقى الشاعر وحيدا على ان يلحقهم بالباخرة السريعة المسماة «فصل ميل» من بومباي الى كراتشي ومنها الى مسقط ثم الى الكويت فدبي . . وفي الطريق ينظم قصيدة يروي فيها ظروف ايامه في الهند منها هذه الابيات :

عفا الرسم من دار قديما نزورها
الا قل لها من اهلها من سميرها ؟
ومن بعدنا فيها يقيم وهل لها
دموع كما فينا دموع تثيرها
وسلم عليها لي ولا تُقرِ اهلها
سلاما فان القوم آذت قدورها

وهي قصيدة مطولة بعنوان (ركبت مدورا)

ولكنه في اغلب سنوات تعامله في «الطواشة» كان يشتري اللؤلؤ ويرسله لوكلاء في الهند ليقوموا بتصريفه وخلال السنوات السبع عشرة من اقامته في الحيرة. نظم العشرات من القصائد النبطية والفصحى في مختلف الاغراض والشؤون الوطنية والقومية وغيرها . . منها مثلا قصيدته بمناسبة نجاة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود من حادثة الاغتيال التي تعرض لها في صحن الحرم المكي فما ان جاءت البشائر بنجاته الى هذه الاطراف حتى قال العويس قصيدة مطولة في مطلعها . .

الله يبشر من يبشرك بالخير
يامن عطاني مثل ماريد لاخبار
لامن بني غافر ولاهناه بصير
إلا عربي صرف والزود في النار

هذا التحزب نبّنا في اليوافير
وهذا التحزب جرنا صوب قصار

الى ان قال :

الجرمني يبكي ولاهب صغير
عشرين عام ولا سلى وادي الثار

تاجراً وشاعراً في دبي

سرت الاحوال كذلك في حياة الشاعر سالم العويس في الحيرة على مدى ١٧ سنة طواشا وتاجرا وشاعرا ومثقفا واجتماعيا وحين دب الركود في تجارة اللؤلؤ وضعف سوقه رحل الشاعر ليستقر في امارة دبي بقية سنوات عمره يزاول التجارة العامة وخاصة التمور والارز وبعض انواع المواد الغذائية الاخرى، وكان رحمه الله من اوائل من اسندت اليهم وكالة تجارية كبيرة بالنسبة لظروف ذلك الزمان فقد جاء من العراق تاجر كبير من اهل الثروة من العراق يبحث عن تاجر من المنطقة ليكون وكيلا له في تسويق بضائعه ويتمتع بالرشاد والاقتصاد والخبرة وبعد بحث واستفسار وجد ان شاعرنا هو الرجل الاقتصادي المناسب وكان سالم رحمه الله اقتصاديا في انفاقه بعيدا عن شهوات النفس متقنا لكل اعماله، وظل كذلك حتى وفاته، والى جانب ذلك التاجر كان ايضا وكيلا لعبد الرحمن الذكير وهو من تجار الزبير ويقيم في البصرة وكان يرسل للشاعر التمور ليقوم بتصريفها له (بالسعي) وكذلك كان امره مع البسام في البحرين وكان ايضا يقوم بشحن ما يطلبونه من بضائع لهم من اسواق دبي ونضيف ايضا الى ان عشرات من اجمل قصائده بالنبطية والفصحى نظمها في دبي لمناسبات مختلفة ومن غير مناسبات ايضا نذكر منها قصيدة استقباله لعبدالعزيز الثعالبي (التونسي) الذي زار الامارات ونزل ضيفا على الشيخ مانع بن راشد المكتوم بدبي فطلب الشيخ مبارك بن يوسف الناخي من الشاعر انشاده قصيدة لاستقبال الضيف الكبير فقال الشاعر :

ليهن امتنا هذي ليهنيها
هذا ابنها البار هذا المرتجى فيها

هذا الكريم الذي ان حل في بلد
يوما تعانق كالاخوان اهلوها
حييت انت وحيي كل ذي كرم
يسعى لأمته فيما يرقّيها

الى آخره . . كما ان له قصيدة اخرى بعنوان «تعلو به نبهان» في زيارة الشيخ سليمان بن حمير لدبي والامارات الاخرى سنة ١٣٦٩ . . وعند فتح المدرسة الاحمدية بدبي نظم الشاعر قصيدة في العلم والتعلم ووضعها على باب المدرسة:

يا نهضة الشرق قومي علمي قومي
عليك مني تحياتي وتسليمي

مجلسه ناد أدبي

كان مجلسه بمثابة ناد ادبي الى حد كبير وهو عبارة عن غرفة ليست بالكبيرة مفروشة بالسجاد وحولها الوسائد وينتشر على الابسطة الكثير من الصحف والمجلات الادبية من البلاد العربية وتوجد في بعض جنبات المجلس طاولات خشبية صغيرة عليها المتنوع من الكتب وظل هذا المجلس ملتقى العلم والمعرفة ففيه يلتقي بأصدقائه يتجاذبون اطراف الحديث ويتبادلون الرأي ويتناقشون في كل مايعرض عليهم من المسائل والامور وكان الشاعر يزاول نشاطه التجاري ايضا في مجلسه حيث كان يمر عليه «الدلالون» بلؤلئهم وكانت هذه العادة طبيعية أن يمر الدلال على التاجر في بيته ليسوق بضاعته وكان هؤلاء الدلالون يفدون من مختلف الامارات وكان شاعرنا يشتري ما يناسبه ويعرض عما لايريد كذلك كان امر مجلسه في الحيرة وفي دبي وكان من بين رواد مجلسه الشيخ سلطان بن سالم القاسمي والشيخ مانع بن راشد والشاعر مبارك العقيلي وبن سليم والشيخ مبارك بن علي الشامسي وعلي بن عبدالله العويس ومبارك بن سيف الناخي والشيخ عبدالله بن علي المحمود والشيخ محمد نور واحمد بن خلف بن عتيبة وهؤلاء نخبة من اصدقائه حيث انه كان لا يصادق الا المهتمين بالثقافة والادب والسياسة بالرغم من انه لم يكن يفرق بين غني وفقير كما كان من اصدقائه ايضا حسين بن ناصر بن لوتاه وعبدالرحمن بن سيف الشامسي وكانت له علاقات مع

الشيخ سعيد المكتوم وجمعة المكتوم، وكان لا يطالع قصائده السياسية والخاصة الا لبعض المقربين من اصدقائه وخاصة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي ويذكر انه مر كعادته ذات يوم على حمد بن ماجد بن فطيم الذي كان يبرز امام محله مقابل العبرٰت في دبي ويمر عليه الشاعر سالم ليشرب عنده القهوة وفي ذلك اليوم تناول الشاعر فنجان القهوة وهمّ بالمسير فسأل بن فطيم الى اين الاتجاه فقال : الى فرضة دبي ـ ومن هو فرضة دبي ؟ فأجاب الشاعر بانه سلطان بن سالم الذي افرغ عنده كل ما احمل من مشاعر وافكار فهو الوحيد القادر على تحمل كل ماعندي اما غيره فلا وكان الشاعر لا يحب ان يستمع إلا إلى المفيد والمجدي من القول ولا يقبل الغيبة والنميمة لدرجة انه كان من طباعه ان يضع يديه على اذنيه اذا مادار حديث في حق احد او سمع ما لا يعجبه ويذكر انه حينما كان في كلباء ضايقته المواشي التي كانت تدخل مزرعته ولا ترتدع فاشتكى الى الامير حسن بن عبدالله وقام احدهم بذم صفات اصحاب تلك المواشي فنهره الشاعر وحينما استمر اضطر الشاعر ان يضع يديه على اذنيه لكي لا يسمع القذف في الغائبين، وفي دبي عرفت امرأة جريئة تسمى سلامة، وكثيرا ما يتردد على مجلسها معارفها من امثال احمد بن خلف وآخرون وهي تروي وتقول كل ما عندها من اخبار وعلوم وما يجول بخاطرها من افكار فحذرها احمد بن خلف ان لاتروي كل شيء امام بن عويس لذا هي التزمت الصمت حينما زارها الشاعر فتساءل عما بها وهي على غير عادتها فقالوا نحن امرناها فقال :

بلغ جيلي سلامه
وتعذر لي كثير
وانا ادوس الملامه
عندي فيها كبير
وقت ملق بأيامه
يغتر فيها الغرير
وقت مكثر كلامه
لي ما يعود بخير
ووقت فيها السلامه
قت من خط سير

ولا يشكيها الملامه
لي شد في جفير
ولا راع الحزامه
يامن سده عوير
ماله عليه علامه
ولا ندى للطير

ويعني بذلك ان من يبيح بكل اسراره ويكثر الحديث فيما يعنيه ولا يعنيه سوف يشتكي الندامة لاحقا.

وخلال سنوات اقامته في دبي كان الشاعر قد خصص لنفسه غرفة صغيرة في سطح مخزن البيت يخلو فيها بنفسه عدة ساعات في اليوم وخاصة في فصل الصيف ولكي يكون على تواصل مع عائلته وافراد اسرته في البيت فقد اخترع لنفسه (جرسا) خاصا هو عبارة عن منحاز ورشاد وهي ادوات طحن القهوة وربطهما بحبل وحينما يريد ان يستدعي احد ابنائه او من في البيت يحرك الحبل ويدق الجرس.

ومن إختراعاته ايضا هي تلك «القبعة» العجيبة التي صنعها لنفسه من سعف النخيل لتحمي رأسه من الشمس وتظلل على عينيه ووجهه اثناء تنقلاته بين ارجاء مزرعته في قرية الذيد ومن طرائف مواقف حياته التجارية ان احدهم تمكن ذات يوم من سرقة كيس من الارز من «بخاره» لم يواجهه مطلقا بل اكتفى بالقول . . لم يأخذ الارز الا لانه محتاج ولاشك.

وكان الشاعر قد مد يد العون لاحد المعاهد الاسلامية في السعودية فتلقى الرسالة التقديرية التالية :

حضرة السري الامجد الشيخ سالم بن علي العويس حفظه المولى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . اما بعد . . فقد تلقيت كتابك الكريم وهديتك النفيسة بمزيد من الشكر والدعاء وقمت بتوزيعها على طلاب المعهد فكان في نفوسهم الطف وقع واجمل تأثير وجعلت السنتهم تلهج بالثناء عليكم والدعاء لكم بالمزيد من التوفيق وكانت هذه الحركة المباركة من طرفكم مثالا حسنا للشعور الاسلامي والتعاون الديني والقومي فجزاكم المولى خيرا واكثر من امثالكم . . مدير المعهد الاسلامي السعودي ١٩٤٦/٦/٨.

مواقف وطنية

نعود الى مجلس الشاعر لنتذكر انه حين نظم مرثية سعد زغلول القاها على رواد مجلسه في الحيرة فأثار دهشتهم واستغرابهم وعاتبوه متسائلين عن علاقته واهتمامه بهذا الرجل البعيد عنهم في مصر وكذلك كان الامر حينما بدأ يكتب عن قضايا وشخصيات المغرب العربي والجزائر خاصة، لذا فانه كان يحرص ان يسمع قصائده القومية والخاصة للمهتمين والمثقفين من اصدقائه اولئك الذين يستوعبون ما يقوله ويفهمونه وكان الشاعر قد قال في رثاء سعد زغلول . .

مافقد زغلول خطب يستهان به
فابعث بكل بلاد منك زغلولا
لاحت له مصر احزابا مقطعة
فضمها قوة واستأصل القيلا
لا يوقظ الشعب الا ماجد ثقة
فتى يعدّ قرين الظلم مسؤولا

الى آخر ذلك من ابيات قصيدة مطولة رائعة وكان الشاعر وحدويا عدو الاستعمار وله في ذلك الكثير من القصائد والمواقف وبالرغم من انه كان عدو الانحراف والتعدي وغير ذلك الا انه عندما سئل ذات مرة عما اذ كان يجوز شراء «الزانات» اي الرصاص الذي كان البعض يتمكن من استخراجها خفية من محطة الانجليز بالشارقة وتباع بسعر زهيد اجاب الشاعر : لو حصلتم على انجليزي يباع اشتروه واشووه وكلوه لانهم آخذين بلادكم وحريتكم ومتعرضين فيكم . . الخ.

مكتبته ومصادر ثقافته

كان الشاعر كما عرفنا جاداً في المطالعة والثقافة والمعرفة بداية بالصحف والمجلات العربية التي كان مشتركا بها كالفتح وام القرى والاصلاح والروائع و«الاخوان المسلمون» والاخوة الاسلامية والطالب والمنتدى والمصور وآخر ساعة والرسالة لصاحبها احمد حسن الزيات وهي مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون كانت تصدر من مصر وكان الشاعر قد قام بتجليد اعدادها التي وصلته

واحتفظ بها كمرجع كما كان يكن تقديرا خاصا لمجلة المنار وصاحبها السيد رشيد رضا وقد نظم فيه مرثية بعد وفاته بعنوان مات الحبيب منها:

غرر الليالي مالهن دوام
مات الحبيب وهكذا الايام

وكانت اغلب الصحف تصل الى المشتركين فيها عن طريق البصرة مرورا ببغداد قادمة من مصر كما يصل بعضها مع المسافرين العائدين من جدة ومن مكة الى جانب وصول بعضها عن طريق الهند.

كما كان «للمذياع» دور في ثقافة الشاعر ومتابعته للاحداث بدليل ماكتبه في رسالته الى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قائلا :

سمعت في الراديو ان مصر وسوريا اتفقتا على الوحدة . . قالوا انهم سيطلقون اسم الدولة العربية المتحدة عليها فكتب في الرابع من رجب ١٣٧٧ هـ كتابا هذا نصه :

سيدي جمال . . السلام عليك سمِّ دولتكم انتم وسوريا «العرب المتحدين» اقرع اذنك بها ثم انظر اثرها وكما هي في نفسك هي في نفس كل العرب انا شاعر وقد هجوتك وسميتك «كذاب مصر» ثم اعتذرت اليك في اخرى فمدحتك ومن مدحي فيك :

وكول لأرحام الطبيعة امره
وان لم تلد أرحامها السنوات

وعن علاقة الشاعر بالمذياع يذكر عمران العويس انه حينما كان في المستشفى بالهند كان يطلب منا ان نسجل له اخبار الاذاعات ونسلمه اياها في الصباح كل يوم.

وذات سنة نظمت اذاعة لندن مسابقة شعرية وطلبت ان يوافيها مستمعوها بقصائد في مواضيع شتى ومنها الحلف الاعظم وجعلت للفائزين خمسين جنيها جائزة وذلك في اثناء الحرب الثانية ١٨ محرم ١٣٦٢هـ. فاشترك العويس في المسابقة بقصيدة.

وكانت الكتب تصله من مكتبة شرف الدين الكتبي في بومباي وعن طريقها يطلب بعض مختاراته من الكتب الجديدة من مصر.

لذلك فقد كانت للشاعر مكتبته الخاصة التي ضمت مابين مئة الى مئة وثلاثين كتابا تقريبا وكان يسهر الليل على قراءة كتبه وينكب على الجديد منها خاصة ولم يبق من مأثوراته من الكتب الا قرابة ٢٥ كتابا لايزال ابنه يحتفظ بها منها اربعة اجزاء من كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر للشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير رحمه الله.

وعلى الجزء الرابع من الكتاب نجد رسمة بقلم الرصاص رسمها الشاعر وهي عبارة عن بوصلة تبين الابراج السماوية والفصول وهذا دليل اهتمام الشاعر بالفلك.

وهناك كتاب آخر بعنوان «مغني اللبيب» للعلامة المحقق المدقق الشيخ جمال الدين بن هشام الانصاري وعليه ختم المكتبة العربية بومباي وبخط يد الشاعر تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٥٠هـ.

وكتاب آخر بعنوان «الدعاء مخ العبادة » وكتاب حماة الاسلام لمصطفى بك نجيب وكتاب «الترغيب والترهيب» مخطوطة كانت بحوزة والد الشاعر وهي بخط حزام بن عبدالله بن حزامي من نجد بتاريخ ١٢٤٨ هـ. ومخطوطة قرآن كريم ورثها عن جده ناصر بن عبدالله وهي بخط طاهر بن عبدالله بن طاهر ـ الشارقة مولدا ورأس الخيمة مسكنا سنة ١٢٤٩هـ وهناك كتاب الايمان.

ومن مأثورات مكتبة الشاعر سالم العويس ايضا جزءان من كتاب شرح ديوان المتنبي تأليف عبدالرحمن البرقوقي واربعة اجزاء من كتاب (تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول) وهناك جزءان من الشوقيات وفي احدهما الصق الشاعر قصاصات من الصحف عبارة عن صور ملونة لسعد زغلول باشا واحمد شوقي وآخرين.

وفي مكتبته ايضا كتاب التوحيد واللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة وهناك مجلد ضخم يجمع تراجم ونتاجات نخبة من الشعراء كأبي العتاهية وابن الزيات وابي تمام وابن الرومي والبحتري وابن المعتز والمتنبي والحمداني والاندلسي وغيرهم.

حياته العاطفية والاسرية

يروى انه على منزل صديق له بمنطقة الرأس في دبي كان الشاعر سالم بن على العويس كثير التردد في بعض سنوات حياته والى جانب هذه الزيارة والسلام فان مشاعر الاعجاب والمودة ألتي كان يكنها لتلك الصبية الصغيرة المنتظمة في استقباله بفنجان قهوتها في كل مرة كانت الدوافع الاكثر جاذبية لتلك الزيارات واخذت تلك المشاعر تفيق وتنمو مع الايام حتى اصبحت عشقا ومحبة اضطرته حين بلغت الفتاة الثامنة عشرة من العمر ان يتقدم لخطبتها فلا يرده الاب وتوافق الام وكذلك العروس الا ان شقيقها يقف معترضا على اتمام الزواج بحجة فارق السن بينهما فلا يبقى للشاعر بعد ذلك سوى الذكريات وعدد من القصائد التي تغنى بها بمحبوبته وعبر فيها عن مشاعره وحالته ..

يوم زمنك مينوني
ويوم سنيك ثمان
تسمر جداك عيوني
واصبح وانا ولهان
لي من بك بشروني
كان الحوي بستان
بيد الشمال تموني
وتطاول الفنجان

وكان «فيروز»مؤذنا اعمى في مسجد قريب من منزل محبوبته فخاطبه الشاعر قائلا :

باذن ولك الاجرة يافيروز
ولي غداك والك غداي
كل اللي لك ولي الفوز
الا عمى عينك برايه
ماتحيد يوم تطاول الكوز
ياك الغضي بلا وقاية

الى أخر ذلك ويذكر ان الفتاة لم تتزوج طوال حياتها، أما الشاعر سالم بن علي العويس فقد تزوج في حياته خمس مرات من الشارقة ودبي والحمرية وخلف خمسة من الاولاد وعددا من البنات، وحينما تقدم احد شباب العائلة لخطبة احدى بناته جاوبه على الفور ان يعود بعد غد ومعه المأذون وحين تم ذلك طلب من العريس العودة ليلة الجمعة فاعتقد الشاب انه سيتباحث معه بشأن المهر وتكاليف واجراءات حفل الزفاف لكنه حين عاود ليلة الجمعة سأله عما اذا كان قد احضر معه سيارة ليأخذ زوجته فكانت المفاجأة كبيرة للعريس الذي سرعان ماخرج وجاء بسيارة ونقل بها زوجته الى بيته بلا حق ولا دقيق ولا مصاريف.

وفي سياق الحديث عن حياته العائلية فلقد كان الشاعر متشددا في تربية ابنائه التربية الصالحة وحريصا على تشجيعهم للتعليم والمعرفة والاطلاع وله في التربية هذه الاقوال المختارة :

ولأ الولد لي قال ضربه
دامه صغير وغادل رباه
ولأ ان كبر به لايغلبه
هيهات مايبيه المواباه
خله عدل الايام صلبه
تجزم ولا تعرف المحاباه
واللي تقول الكذب جلبه
واخت البحر ماهوب حصباه
رقع الجدر ماهوب لعبه
ماعاد لي من ياك ما اباه

صفاته وطباعه ومرضه

ولقد كان الشاعر سالم العويس نحيف الجسم بني اللون معتدل القامة يشيع في عينيه ذكاء حاد وترتسم على وجهه امارات الحكمة وتجارب السنين كان دائم التفكير كثير الاطلاع والمعرفة مولعاً بالبحث والتنقيب في شتى الامور مدركا لما يدور حوله من احداث متفاعلا معها بأبياته البليغة المعبرة ورأيه الثاقب وكان

حر الرأي والفكر ينادي دائما بوحدة العرب ويندد بالاستعمار في كل مكان على ارض العروبة.

وطوال حياته كان ملتزما بارتداء الزي الشعبي التقليدي وهي الدشداشة والغترة والعقال والبشت والخنجر والعصا والنعال. وكان قد صمم صنع خنجره بنفسه حيث اشرف على صنعه عند خلفان العماني بسكة الخيل في دبي وآخر نجدي والشاعر حميد بن سعيد الجميري وهو مرصع بالزري وقد سرق منه هذا الخنجر حينما كان في كلباء ولما عاد الى الشارقة صنع لنفسه خنجراً بواسطة صائغ عماني في الشارقة يسمى اسماعيل.

ومنذ ان كان الشاعر في الثانية من عمره اصيب بمرض «الربو» ورافقه المرض طوال حياته ولم تتوفر له سوى الادوية الشعبية كالحرمل واليعدة والزعتر وغيره، لكن مرضه لم يؤثر على نشاطه الفكري وان كان قد اثر على نشاطه التجاري، وكان كيس «الزعتر»المجفف علامة بارزة في حياته اينما حل وارتحل يتداوى به وينصح الناس بتعاطيه ويذكر انه ايام كان موجودا في كلباء ومر عليه شخص والشاعر يصارع من اشتداد المرض عليه فوصف له ماورد في الحديث الشريف (الشفاء في ثلاث:شرطة محجم او شربة عسل او كيَّة من نار «وانهى» امتي عن الكي)، لكن الرجل روى الحديث باحلال الواو بدلا من أو فرد عليه الشاعر مازحا ومنتبها برغم مرضه هل اتعاطى كل تلك الوصفات مجتمعة ام احداها.

ويقال ان بعضهم نصحوه بالتدخين للتخلص من «الربو» لكن الشاعر يقول لقد جربت التدخين ولم استفد وله قصيدة مطولة في الربو والى جانب الزعتر كان في آخر ايام حياته يتعاطى لبن النياق بكثرة ويؤكد انه يستفيد منه، واصيب في سنوات عمره الاخيرة بمرض في احدى عينيه فسافر الى الهند للعلاج منه ومن «الربو» ايضا وله قصيدة منها قوله :

يوولي الدخاتر دوب في دوب
والدخترات وجيل لاباس
كلٍّ معه شيشة ومكتوب
وادخل وهب وشل قرطاس

اصبر وجس وكل ماجوب
سوى ورد الراس للساس
لين نصحني مايتبع طبوب
منهم ولادواي لهم راس
جبار في صوبه وغاضوب
لي غاضبوه أودى بالانفاس

بين الباطنة وكلباء والذيد مزارعاً قبل وفاته

وقبل وفاته رحمه الله بسبع سنوات الى ثمان، وحين قلت اشغاله وضعفت تجارته في دبي عاد الشاعر الى الشارقة ليرحل منهاً الى الباطنة العمانية وهناك يشتري لنفسه قطعة ارض زراعية وبقي مقيما ومنشغلا بالزراعة مدة لم تزد على سنة واحدة فقط لكنه واجه بعض المتاعب حتى مر عليه ذات يوم الشيخ صقر بن سلطان القاسمي واصطحبه الى «كلباء» ومنحه أرضاً زراعية وعلى مدى سنتين انشغل بزراعة الغليون والجح والبطيخ بهدف ان يسترجع ماصرفه من مبالغ على استصلاح تلك الارض الزراعية سريعا لكنه لم يتوفق لكونه كان كبيرا في السن ومعاونيه قلائل فانتقل من كلباء الى الذيد ليشتري مزرعة النخيل ويزرع الجح ويبقى بها سنتين مستقرا وكان في كل تلك المناطق الزراعية يشجع المزارعين على التزامهم بمهنتهم وعلى الاكثار من الزراعة وتنويعها.

ويذكر في هذا الصدد ايضا انه كان ذات مرة في زيارة لرأس الخيمة ونزل ضيفا عند صديقه الحاكم الشيخ سلطان بن سالم القاسمي وفي هذه الآونة كان الشيخ سلطان يفكر في مشروع لري قرية (الحيل) في منطقة الصالحية وهما قريتان زراعيتان وذلك عن طريق المياه الجوفية. وانتهز الحاكم فرصة وجود الشاعر سالم في رأس الخيمة واصطحبه معه الى تلك المنطقة ليبدي له مشورته في هذه الارض لكي يبدأ الحفر. وبالفعل نبعت المياه باذن الله من نفس النقطة التي حددها في الارض الشاعر بفراسته وذكائه.

وخلال مدة اقامة الشاعر في الذيد اصيب بمرض في احدى عينيه فسافر الى الهند للعلاج وبعد عودته اصابته (حمى)ساخنة ونقله ابناؤه الى الطبيب

الانجليزي المعروف في ذلك الوقت وهو ماكولي ولكن الحمى لم تفارقه وفي منزله بالشارقة كان بجانبه ابنه محمد حين اشار له الشاعر بان يأتي له بالقلم والورقة حيث صوته قد انقطع وحين جاء الابن بما اراد كتب : انه الموت . . ورسم خطين وكتب بجانبهما الوالد او الوالدة، بمعنى انه يوصي بدفنه قرب والده او والدته ثم طلب التمر والقهوة وتناولهما ثم فارق الحياة رحمه الله عام ١٩٥٩ في منزله بالشارقة.

منزلة رفيعة في الشعر

ونصل اخيرا الى مأثورات الشاعر سالم بن علي العويس من القصائد النبطية والفصحى والتي بلغت المئات من القصائد استطاع اهله واصدقاؤه جمع ١٠٥ قصائد فصيحة منها في ديوان (نداء الخليج) الذي صدر مؤخرا واسموها مجازا الاعمال الكاملة باستثناء النبطي لكن هذه النماذج من القصائد التي يضمها الديوان تظهر بوضوح المنزلة الرفيعة التي ارتقاها شاعرنا في مجال الشعر والكلمة والاهتمام الوطني والقومي والانساني فكان ممن اثروا هذا الوطن أدبياً بتراثهم الضخم الذي خلفه للاجيال القادمة فدعا الى حرية الكلمة :

حرية القول بعد البين زورينا
لعل نفحك بعد الموت يحيينا

لقد عبر في شعره بكل صدق وامانة عما يدور في نفسه تجاه وطنه ومجتمعه وامته العربية والاسلامية فانتقى الدرر من الالفاظ كما كان ينتقي الدرر من اللؤلؤ.

وكان الشاعر قد جمع مختارات من قصائده الفصحى والنبطية في حياته وارسلها الى الهند لسلطان بن علي العويس ليطبعها في ديوان هناك الا ان الظروف شاءت ان يضيع ملف قصائده في الهند واهتم ابنه محمد بعد وفاة والده الشاعر بجمع قصائده من هنا وهناك.

وصادف في العام الماضي ان حصلت لجنة التراث والتاريخ على نسخة من

نفس ديوان الشاعر الذي كان قد ارسله للهند ومخطوط بخط الكاتب الخاص للشاعر سالم بن علي العويس وهو سالم بن كنيد.

ويقول الشاعر في مقدمة ديوانه المخطوط «هذا ديوان فيه مانثرت وما نظمت وما اخذت من النظم والنثر ـ والسلام» ولا تزال قصائد سالم العويس النبطية مخطوطات بخط يده في دفتر مذكراته وكذلك بخط سالم بن كنيد ولقد اوردنا في عرضنا التفصيلي السابق لسيرة حياته بعض نماذج من شعره النبطي والفصيح ايضا رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

● من الدراسات التي قدمت خلال الاسبوع الثقافي الذي أقامه اتحاد كتاب وأدباء الامارات احتفاء بمئوية الشاعر.

سالم بن علي العويس ـ حياته وتكوينه الثقافي

بلال البدور

نسبه :

هو سالم بن علي بن ناصر بن عبدالله بن ماجد العويس الشامسي فهو من عائلة العويسات التي تنتمي الى العوابد وهم بطن من آل بوشامس الذين هم فرع من قبيلة نعيم.

وكان العوابد يقيمون في منطقة السنينة ـ وأصل العويسات من عجمان ولقب العويس هذا لايدرى له اصل حيث يرى الاستاذ عمران بن سالم العويس المؤرخ النسابة انه لم يكن في العائلة من يدعى عويس وان الكلمة ليست تصغيرا لكلمة عيسى . . ويرجح ان يكون اللقب نسبة الى نوع من السفن كانت تسمى عويسات وكانت العائلة تملك بعضا منها.

مولده :

وقد كان مولده عام ١٣٠٧ هـ الموافق لعام ١٨٨٧م ببلدة الحيرة التابعة لامارة الشارقة والتي تحدها من ناحية عجمان.

وكان ذلك في فترة حكم الشيخ صقر بن خالد القاسمي.

نشأته :

نشأ في عائلته العويسات التي انتقلت من بلدة الحيرة لتقيم ببلدة الحمرية وفيها عاش طفولته وشبابه وتلقى تعليمه فيها.

دراسته :

وكانت دراسته الاولى على يد الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل سليمان النجدي كما يذهب الى ذلك الدكتور احمد امين المدني في كتابه الشعر الشعبي في دولة الامارات العربية المتحدة نشأته وتطوره . . وان كنت استبعد ذلك لان الشيخ عبدالله آل سليمان كان من اساتذة المدرسة التي أسسها الوجيه علي بن محمود عام ١٩١٦ وكل من تعرض لتلاميذ المدرسة لم يذكر سالم العويس من بين تلاميذها علاوة على ان عمر الشاعر يومها كان ٢٩ عاما بالاضافة الى ان معظم تلاميذ تلك المدرسة اكملوا دراستهم في قطر ومنهم من اكمل دراسته في الازهر . . ولم يكن الشاعر منهم وهو الذي لو كانت امامه تلك الفرصة لما فرط فيها، والذي عليه الاجماع انه تتلمذ على يدي الشيخين عبدالصمد وعبدالرحمن ابني عبدالعزيز بن عبدالله التميمي اللذين افتتحا مدرسة لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والقراءة والكتابة والحساب حيث التحق بهذه المدرسة وكان من طلابها المبرزين، بشهادة زملائه ومعاصريه.

بعد ان اكمل دراسته على يدي شيخيه بمنطقة الحمرية عمل اماما وخطيبا بأحد المساجد ثم قام بالتدريس دون تقاضي اجر على ذلك وحيث ان عائلته كانت من العائلات المشهورة بالتجارة . . فقد اشتغل بالتجارة وكان تاجرا ناجحا حيث مارسها بالوراثة وبما اكتسبه من دراسته لعلمي القراءة والحساب واشتغل بتجارة اللؤلؤ كعادة اهل عصره.

ثم انتقل في عام ١٣٥٥ هـ الى دبي وواصل مشواره في تجارة اللؤلؤ حتى عام ١٣٦٥ هـ حيث ترك هذه التجارة واشتغل في تجارة المواد الغذائية، فكان وكيلا تجاريا لتجار من البصرة والكويت وفي عام ١٣٧٥هـ اتجه الى ساحل الباطنة بسلطنة عمان واشترى ارضا زراعية قاصدا العمل في الزراعة التي أحبها واولع بها كثيرا . . وحث الناس على الاشتغال بها في شعره النبطي.

وبعد مضي عامين على عمله في الزراعة بسلطنة عمان اشار عليه الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة آنذاك بأن ينتقل الى بلدة كلباء المشهورة بخصوبة ارضها ووفرة المياه فيها . . وانتقل اليها وعمل بالزراعة فيها . . ولما كانت هذه البلدة تبعد عن مكان تجمع ابنائه وافراد عشيرته وحيث أنه قد بلغ من العمر سنا متقدمة آثر الاقتراب فانتقل الى قرية الذيد واشترى بها مزرعة نخيل جاهزة

وظل يباشرها حتى ضعف بصره، ووهن عظمه . . ثم سافر الى الهند للعلاج وبعد عودته من رحلة العلاج آثر البقاء في الشارقة المدينة حتى وافاه الاجل المحتوم عام ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م حيث دفن قرب والديه حسب وصيته في مرض وفاته.

اخلاقه :

كان يتمتع بروح مرحة سمحة متمسكا بالاخلاق الاسلامية وكان لايجلس مجلسا فيه غيبة او نميمة فاذا ما سمعها وضع اصبعيه في اذنيه حتى يقلع المغتاب فان لم ينته غادر المجلس وكان يؤثر العزلة الا من الاختلاط بالمقربين منه . . وكان لتتلمذه على يدي اساتنته تأثير في فكره الديني وتأثره بالمنهج السلفي فكان يغشى مجلسه بعض اهل نجد والاحساء الذين كانوا مقيمين بدبي . . وكان بينه وبين العلماء المخالفين للدعوة السلفية خلاف وشجار دائم . . وكان يخرج مع المقربين منه في رحلات خلوية للنزهة والرياضة ويذكر الدكتور احمد امين انه رآه يلتف بعباءته ويتدحرج فوق كثبان الرمال كنوع من الرياضة . . ونوعا من المرح يضفيه على الجلسة التي هو فيها وكان يجمع في شخصيته رجل الدين والدنيا ورجل المال والسياسة ورجل الفكر ولذلك جاء شعره في جميع الاغراض الشعرية . . فنظم في السياسة وفي النصح والارشاد وفي الغزل والمديح والرثاء والقصائد الاخوانية والتأمل والاجتماعيات.

وكان مهتما بشعره فكان يكتبه في سجلات خاصة وقد ارسل ديوانه الى الهند لطباعته ولكنه ضاع هناك فوجد ماهو بسجلاته وفي اوراق متناثرة وما في صدر الحفظة فجمعه وخلد لنا ما تمكن به الاستاذ عبدالعزيز بن ناصر العويس حفيد الشاعر من ان يصدر له الديوان العظيم الذي يسجل لرائد من رواد الفكر والشعر بدولة الامارات العربية المتحدة ولولا ذلك الجهد لدفنت كل اشعاره وافكاره وقبرت معه . . كما هو مصير نتاج الكثيرين.

تكوينه الثقافي :

لقد كانت دراسة الشاعر على يدي شيخيه اللذين قدما من نجد مقصورة على تعلم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وكذلك الاحاديث الشريفة وسيرة الرسول صلى الله

عليه وسلم والقراءة والكتابة والحساب . . وكانت هذه العلوم آنذاك تعد قمة العلوم التي من الممكن أن يتلقاها من تتاح له فرصة التعلم.

ولكن شاعرنا الطموح حاول جاهدا ان يثقف نفسه ويزيد من رصيده العلمي بقراءة الكتب المتاحة والاشتراك في بعض المجلات والصحف التي كانت تصل الى البلاد حيث كان مشتركا في «مجلة الفتح» التي كانت تصدر في القاهرة عن المكتبة السلفية و «مجلة أم القرى» التي كانت تصدر في مكة المكرمة وقد راسل «مجلة الشورى» ونشر فيها ومما نشره قصيدته التي مطلعها :

الليل يشهد والنهار
ان الشآم قرى الفخار

وكان شغوفا بالمطالعة والقراءة ويحض عليها كثيرا.
لنقرأ له قصيدته «كرامة اهل الفضل» حيث يقول فيها :

حيي لي بعد قرون ابعدت
اهل فضل ووفاء للوفا
اخرجوا نهج الرسول مثلا
وهو في نهج الحياة المنتهى

الى أن يقول :

اكرموا كتبهم في دوركم
واجعلوها من خيار المقتنى
تبصروا الدين بها في ثوبه
جل قدرا وتعالى من كسا

ولو نظرنا الى القواعد التي وضعت كضوابط لمن يتصدى للشعر أو النثر فاننا نلحظ أن ابن الاثير في كتابه المثل السائر يقول عن آلات البيان وادواته (. . ومن أجل ذلك قيل شيئان لا نهاية لهما البيان والجمال . . فاذا ركّب الله تعالى في الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فانه يفتقر حينئذ الى ثمانية انواع من الآلات...) وعند استعراض هذه الآلات يتضح لنا كيف أن الشاعر قد اخذ بهذه الآلات وأتقنها :

أولا : علم العربية من النحو والصرف :

ويتضح التزام الشاعر بالقواعد النحوية والصرفية في الكثير الغالب من اشعاره والدليل على ذلك أنه يستعمل حرف الجر «على» بمعنى الباء في قوله :

واعلم على أن الكتاب منزل
وفق النظام وللسبيل ضياء

فقد جاءت على موافقة للباء وهو معنى من معاني على (شرح الاشموني ج ٢ ص ٢٢٢) واذا وجدت هناك بعض الاخطاء في الديوان فيمكن ردها الى الناشر ومراجع الديوان عند الطباعة . . خاصة وان الديوان طبع بعد وفاة الشاعر وكان بامكان المراجع تلافيها لانها لا تعدو أن تكون اخطاء مطبعية لنقرأ مثلا :

أ ــ في الصفحة ٤٩ من الجزء الاول

فطهى واطعم كل عبد جائع
وملامح الفرج الكبير تسود

فورد الفعل طهى بالالف الممدودة وحقه أن يكون بالالف الممددة لانه من طها يطهو . . انظر قطر المحيط ١٢٦١ ج ٢ والمعجم الوسيط ص ٥٧٥ ج ٢.
ب ــ في الصفحة ١٧ من الجزء الاول :

دخان العالمية في السماء
يصم اولي الحجا بأولي الهراء

فقد ورد الفعل يصم بفتح الياء وضم الصاد وتشديد الميم مع الضم وحقه أن يكون بفتح الياء وكسر الصاد وتخفيف الميم لانه من وصم يصم . . وقد يكون الشاعر اراد القول :
«يعم أولي الحجا وأولي الهراء» .
وهو الانسب .
ج ــ في الصفحة ٧٥ من الجزء الاول :

كي تدفعينهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال

حيث ورد الفعل «تدفعيهم» بثبوت النون مع كي الناصبة.
د ـ في الصفحة ١٣ ج ١ قوله :

بيض نواشط لا يثبط عزمها
قيض ولا يلوي بهن شتاء

حيث وردت كلمة «قيض» بالضاد والشاعر يريد قيظ ضد الشتاء، وهو فصل الصيف وشدة الحرارة وهو بالظاء (مختار الصحاح ص ٥٥٩).
هـ ـ ورود قوله :

ولكن كيف هذا العلم «جافا»
لباس البر مصدوق الثناء

بتشديد النون في «لكن» وحقها التخفيف.

ثانياً : معرفة مايحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المنكر المعيب :
ولم يرد في الديوان ماهو من عيوب الكلام الذي تنفر منه النفس ويأباه الحس . .
اما بعض الكلمات التي يحتاج فيها القارىء الى معجم لفك اعجامها فهي دليل على تمكن الشاعر من لغته العربية :

لنقرأ له في ذلك قوله :

اواه قد جرف الغرور كرامة
من دونها العيوق والجوزاء

وقوله :

فإذا الحياة لقيتها بمحمد
جبت الحياة بقارح وثاب

وقوله :

هتفوا به وساءت سبة
وهو الجراز الصيلم المنعور

وقوله :

هي الوحدة الكبرى اباحت صراعهم
واوحت لامريكا قباح المغارب

وقوله :

موتوا سريعا ان ذنبا عندكم
تبت يداكم لاقطين ارخب

فالعيوق والقارح الجراز الصيلم المنعور وقباح المغارب والقطين والارخب كلها كلمات عربية مستعملة.
كما ان الشاعر يستعمل الالفاظ المولدة والمعربة والالفاظ المنقولة من الالفاظ الاجنبية، اقرأ له قوله :

والغاديات الرائحات ومركز
«للكهرباء» يغير عنه وقوده

وقوله :

اتاني كتاب «كهرب» الجو فانبرت
تعانق ما تلقى خواطر ماعندي

وقوله :

خشب ونعل «للترام» وعدة
لتلذ في البيت الحرام وفوده

وقوله :

وقد نفذ الشطرنج واستمرا الهوى
وقد كان لهوأ في فروع الخواطر
ماثم غير «الهيدروجين» وثابت
من دونه لا ينفع التدبير

كما يضمن الشاعر قصائده الاسماء الاعجمية عند ذكر القيادات السياسية المعاصرة.

كقوله :

بلفور لم تمخض به عربية
وبنات يعرب لم يلدن بمشعل

يلي فجرهم طرد ودالاس باسم
وفي يده سيف وفي فمه عذر

قل ماتشا ايزنهور
واذهب ذهابك في الهذر

ياضيعة العمال كيف تأول
ياليت ان على الوزارة شرشل

ياويح أتلي كيف طابت نفسه
فجرى على الهند الضياع الاول

ثالثاً : معرفة امثال العرب وايامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة باقوام :

لنقرأ قوله :

قد التفت الاحرار عنه فأصبحت
«فعرفاء إن ساءوا وزهلول أرقط»

فعجز هذا البيت مثل عربي .

وقوله :

موتوا فهلا مات «زيد وجعفر»
الا لكي لا المسلمون يخوروا

فزيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة شهداء معركة مؤتة.

رابعاً : الاطلاع على تأليفات من تقدموه من ارباب هذه الصناعات المنشورة منها والمنظومة وحفظ الكثير منها :

وهذا ما تحقق لدى الشاعر حيث يبدو أن الشاعر على اطلاع على شعر من

سبقوه ومعاصريه حتى انه تأثر ببعض هذه الاشعار واستعمل معاني ابيات والفاظ منها في شعره لنقرأ له قوله :

فمن لم يمت بالسيف مات من العصا
ويستعبد الافراد الفئة الالب

فهو مأخوذ من قول ابي نصر بن نباتة

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الاسباب والموت واحد

وقوله :

ان الرسول لنور يستضاء به
وما سواه الى هدي بمعصوم

فهو من قول كعب بن زهير :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وقوله :

اذا قيل ليلى بالعراق مريضة
اطاروا بأطراف الحديث «عُمانا»

فهو من قول قيس بن الملوح :

يقولون «ليلى بالعراق مريضة»
فياليتني كنت الطبيب المداويا

وقوله :

وما هي الا من غزيّة ان غوت
تعذر عنها بالقيام وقودها

فهو من قول دريد بن الصمة

وما انا الا من غزيّة ان غوت
غويت وان ترشد غزيّة ارشد

وقوله :

لظلم ذوي القربى ارق وارحم
اذا علم الانسان من هو أظلم
بلادي وان لم تؤوِني لكريمة
وقومي وإن هم طاردوني لأكرم

فهو من قول الشاعر :

بلادي وان جارت علي عزيزة
واهلي وان ضنوا علي كرام

وقوله :

وأنت ماعشت محتاجا لكل يد
فلا انقطاع متى استكبرت احجاما

من قول المعري :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

خامساً : معرفة الاحكام السلطانية في الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك . .

ونجد ذلك جليا في شعره لنقرأ قوله :

واذا الناس غوت قادتهم
سمهم بعد الأناسي ذبابا
واذا القادة في أهدافهم
عمريون فلا تحدو الركابا

وقوله :

جاءت الى عمر الفاروق سيدة
تقول اين من الاجداد والينا

فصاخ يسمع لاكِبْرٌ ولا غضبٌ
وراح يخطب منصورا وممنونا
لم تستلب منه يوم الرد منصبه
بل ظل بالحق والايمان مفتونا

وقوله :

ان الخلافة لا ترضاه طاغية
والحق ابلج والاسلام جمهوري

وقوله :

لا الشعب ان دان النزال مؤيدا
شيخا ولا للحق من أطلال
والشعب ان عز النفير باهله
بات المقاتل فيه غير مبال
والشعب ان قلت مرافق يومه
دب الخراب بكل بيت عالي

وقوله :

فان الله لا يرضى اميرا
اميرا ليس يغضبه الفساد
فان لم تنصروا لله حقا
فليس لكم على الله اعتماد
وأرض الله ان لم تصلحوها
يحاسبكم ويصلحها عباد

* * *

آية الملك بأنْ ذا
يخلع الملك العنانا

واذا العدل اختفى
فقد الملك الضمانا
واذا العدل اختفى
رضي الناس الهوانا

سادساً : حفظ القرآن الكريم والتدريب باستعماله وادراجه في مطاوي الكلام : وحيث أن القرآن الكريم كان مصدر دراسته الاولى فان الشاعر متأثر به تأثرا كبيرا واستقى منه مفرداته ومعانيه التي ضمنها الكثير من اشعاره . . وقد نظم قصيدة اسماها القرآن الكريم يقول فيها :

كلام الله مرفوع البيان
ومرفوع الهداية والمعاني
تلونا ما تلونا من كتاب
لكل مهذب يقظ الجنان
وان انت استعنت الذكر يوما
كانت تستعين بترجمان

واقرأ قوله :

ولن تضل وكيف الله يضلل من
أمَّ الكتاب بصدرٍ منه ملهوم

واذا استعرضنا مفرداته نجد انها تدور حول :
التكبير ــ الحمد ــ الشكر ــ الثواب ــ العقاب ــ القضاء والقدر ــ الحول والقوة ــ الصبر ــ طلب العفو ــ الاجر ــ الوزر.
وما الى ذلك من الفاظ تبرز بوضوح في الديوان لنقرأ له قوله :

الله اكبر ليس فيه مراء
فالكون حمد كله وثناء
هو الحمد ان الحمد واجبه الشكر
ولا الشكر سفساف ولا هبة نزر

ما ارى الدنيا المدى الا حسابا
وثوابا عن جميل وعقابا
لاتجزعن لما يأتي به القدر
فالفوز يكتب في الدنيا لمن صبروا
وما على المرء الا ما استطاع له
حولاً وان جاء اهل الارض في الحفر
والصبر من كرم العقول ومن يكن
عَجِلَ الخطى يبدو لديك عثور
الدين بين يديك اكبر رتبة
فالطف بعبدك إنه خطاء
تكبر باتيان الفضائل انها
لعز وفوق العز ماكبر الأجر
ولا تقترب حيث السفاسف انها
لذل وفوق الذل ماكبر الوزر

كما ان الشاعر يقتبس المعاني القرآنية ويضمنها شعره اقرأ له قوله :

ولك الجواري المنشآت اذا جرت
تحت السماء يقلهن الماء

فهو من قوله تعالى في سورة الرحمن الآية ٢٤ :
«وله الجواري المنشآت في البحر كالاعلام» .

فبدل عبدالناصر الوضع فانجلت
معالم منها قائم وحصيد

من قوله تعالى في سورة هود الآية ١٠٠ :
«ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد» .

ماقوم هود او شعيب وصالح
منهم ببعيد والخراب الحالي

من قوله تعالى في سورة هود الآية ٨٩ :

«وما قوم لوط منكم ببعيد» .

١٠كل نفس الى الرحمن راجعة

وسوف يأزف ماقالت به السُّوَرُ

من قوله تعالى في سورة الانبياء الآية ٣٥ :

«كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» .

لا يستوي من يعلمون وانما

يتخبط الجهال بالشبهات

من قوله تعالى في سورة الزمر الآية ٩ :

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

اذا مكروا من مكر ابليس مكرهم

وابليس عند الله أصغر صاغر

من قوله تعالى في سورة الاعراف الآية ١٣ :

«فاخرج انك من الصاغرين».

او لم نُقَطّع امرنا كصنيعهم

زبرا لكل كتابة علّام

من قوله تعالى في سورة «المؤمنون» الآية ٥٣ :

«فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب لديهم فرحون».

حتى اتى ملك حاشاه من بشر

هذا وتعرفه لو تنطق السحب

من قوله تعالى في سورة يوسف الآية ٣١ :

«فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم».

سابعاً : حفظ مايحتاج اليه من الاخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال :

وحيث ان دراسة الشاعر كانت في الحديث كذلك فانه نظم قصيدة عن الرسول اسماها صلى المليك على الرسول محمد التي يقول فيها :

صلى المليك على الرسول محمد
وأثابه بالفيض من آلائه
قطع المجاز ثلاث عشرة حجة
لقي العنا والجهد في اثنائه
فمن استساغ الى المكارم سلما
فليقبس الآراء من آرائه

وحث على التمسك بنهج الرسول واتباع سنته حيث يقول :

فاذا الحياة لقيتها بمحمد
جبت الحياة بقارح وثاب
واذا اهتديت الى رشاد محمد
لا فضل في الايجاز والاطناب
ولا علم من غير الرسول محمد
فإن شئت فاستمسك وإن شئت فاخرق

هذا وقد ضمن قصائده بعض المعاني الواردة في الاحاديث لنقرأ له :

ولا تحسبن المسلمين اذا انتموا
هم النور في الاسلام لاكل حاسب

من الحديث الذي مامعناه :
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

وانت إن كان في جنبيك إمّعة
فكن مع الناس ماعمّرت ذا حذر

من الحديث الذي ما معناه :

لا يكن احدكم إمعة يقول انا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا

اسأت وطّنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا ان تتجنبوا اساءتهم.

ثامناً : معرفة علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر والشاعر ملتزم بهذا العلم في قصائده.

كما أن الشاعر على علم واطلاع على علم البيان والبديع فلا تخلو قصيدة من طباق أو جناس أو مقابلة دقيقة أو تشبيه بليغ أو استعاره جميلة . . اقرأ له قوله :

احسنت للكون الكبير دليله
والمنتمون الى الدليل اساءوا

المسلمون الاولون كلامهم
وقلوبهم للعالمين سواء

والمسلمون الآخرون ظواهر
مكذوبة وضمائر لكعاء

هي الارض ميدان الغواية والهدى
وخضرة مغلوب ومنبر غالب

ففي هذه الابيات مقابله :

ويستعمل الطباق كما في قوله :

يا من احاط بكل شيء علمه
وتطيعه الاشياء كيف يشاء

إنا نعارك في الحياة وبيننا
تتراوح الآلاء والارزاء

كما يستعمل الاستعاره كما في قوله :

ومجلبب وجه البسيطة موحش
فكأن منه الخيمة السوداء

فاذا الليالي كالاماء سواريأ
ونجومها يرفلن بالزينات

حياة سعد لاهل الشرق موعظة
ان كان فيهم لثوب الرق تبديلا
وعليه من ورق الخميلة خيمة
وشفاره منقوشة وخدوده
الجسم بيت والفؤاد مليكه
وجوارح الانسان منه عبيده

نخلص مما سبق الى ان مكونات ثقافة شاعرنا ذاتية حيث استطاع ان يشكل نفسه من قراءاته ومتابعاته الخاصة . . في حين خذله عامل مهم كان من الممكن أن يلعب دوراً اساسياً في تشكيل شخصيته الفكرية . . الا وهو المجتمع الذي يعيش فيه الاديب فيتفاعل مع المحيطين به عندما يتبادل معهم النقد فيحاول دوما ان يرقى الى مراتب بعيدة عن مستوى النقد . . ويعمل جاهداً في محاولة للتجديد والجودة في الانتاج وقد أشار الشاعر الى ذلك في قصيدته المسماة «عليم الزمان صبور» حيث يقول :

وان تنتقد مني ركاكة مِقْولي
فقولي لفهم السامعين أسير
وما الشعر الا نفحة من محيطه
فكيف وما بالسامعين شعور
ولو ان قومي مرتقون وجدتني
مجيدا وهم لي جذوة ونشور
ولكن لي منهم جناحا مكسرا
يرف وما ان يستطيع يطير
اذا انت حادثت السميع تفجرت
عليك من القول المتين صخور
وان انت حادثت البليد تبادرت
اليك معان كالبلادة بور

اذا جاء منك الشعر حيا فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وإن جاء منك الشعر ميتا فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور

ورغم ذلك فان الشاعر استطاع ان يجعل لنفسه منهجه واسلوبه اللذين بناهما لنفسه وبجهده الشخصي.

تلكم نبذة مختصرة عن مكونات ثقافته حاولت نحتها من ثنايا الديوان حيث يفتقر الحديث في هذا المجال الى المراجع التي تعين في البحث . . وبامكان المطالع والباحث ان يحصل على الكثير عند دراسة الديوان دراسة متأنية . . تعطي الشاعر حقه الذي يتناسب ومستواه الفكري مقارنة بمعاصريه وظروف عصره.

● من الدراسات التي قدمت خلال الاسبوع الثقافي الذي أقامه اتحاد كتاب وأدباء الامارات احتفاء بمئوية الشاعر.

سالم بن علي العويس وادواته الكتابية

عبداللطيف الزبيدي

لم يمت من شاد
للحق على الارض مكانا
واذا العدل اختفى
فقد الملك الضمانا
واذا العدل اختفى
رضي الناس الهوانا

سيظل هذا العام منقوشا في الذاكرة عام سالم بن علي العويس، الشاعر الذي نحتفل بمرور مئة عام على ميلاده. فهذا الشاعر علامة مميزة على طريق ادب الامارات. عاش في فترة لم يكن فيها شيء يمكن ان يسمى ادب الامارات. لا لكون الاتحاد لم يكن قائما آنذاك، ولا لكون الامارات لم تكن بهذه الملامح الواضحة، التي نراها اليوم. ولكن لكون هذه الأرض لم تكن تشهد نشاطا ادبيا او حركة ثقافية بمفهومنا اليوم.

لقد كان العويس قلبا نابضاً خفاقاً، وذهنا متوقدا، وبصيرة واعية، وعقلا متفتحا، يقظاً، يرصد جميع التحركات على الساحة المحلية والعربية والعالمية، حتى اننا نستطيع بغاية اليسر والسهولة ان نعتبره شاعراً سياسياً ملتزماً بأتم معنى الكلمة.

اهمية ظاهرة سالم العويس في تلك الفترة تكمن في انقطاع الصلات الثقافية بين الامارات والعالم الخارجي. فقد كانت تربطه بالعالم بضع صفحات من مجلات تصل اليه بطرق غير منتظمة وكان لديه مذياع يتابع من خلاله التطورات السياسية عربياً ودولياً. وكانت الاحداث التي يزخر بها المسرح السياسي تثير فيه

طاقة هائلة من ردود الفعل التي نلمس من خلالها مواقف ثابتة وفي غاية الصراحة والوضوح.

مثلا، لقد كان سالم بن علي العويس يرى في جمال عبدالناصر أملا كبيرا للامة العربية وقائدا نحو الخلاص والشاطىء الآمن للشعب العربي الواحد. فكانت مسيرة عبدالناصر واضحة المعالم في شعره. وكان من هذا المنطلق معاديا بشكل واضح لكل ماهو أو من هو معاد للمسيرة الناصرية والمواقف الناصرية.

كما كانت كتاباته الفصحى والعامية تتوقد احساسا بما يجري على الساحة الداخلية من احداث ووقائع ومشاكل. فقد تحدث مثلا اكثر من مرة عن قطاع الطرق واختلال الامن العام على هذه الارض من جراء ما يتعرض له ابناؤها من عمليات سطو ونهب وقتل على ايدي العصابات الخارجة على القانون.

كان العويس شعلة من التوق ومواكبة العصر في ظروف لم تتهيأ له فيها أية وسائل مساعدة. وهذا مما يجعله بحق ظاهرة جديرة بالاهتمام.

ولد سالم بن علي بن ناصر بن عبدالله بن ماجد العويس عام ١٨٨٧ في الحيرة. ونشأ في الحمرية التابعة لامارة الشارقة. وفيها تعلم حتى سن السابعة عشرة تقريباً ثم وفد من نجد الشيخان عبدالصمد وعبدالوهاب التميميان فتلقى علوم الدين واللغة على يديهما.

مارس تجارة اللؤلؤ بيعا وشراء بين الحمرية والشارقة ودبي. وقبيل الحرب العالمية الثانية استقر في دبي وبدأ ممارسة تصريف التمور التي كانت ترسل اليه من قبل تجار العراق.

تزوج في العشرين وانجب من الذكور ناصر ومحمد وراشد وعلي وخلف وله ثلاث بنات. وتزوج من أربع.

كان لنشأته في الحمرية أمر في شعره. فقد كان اهلها يعنون بالابل وسباق الابل وكان هو في الطليعة. وله اناشيد شعبية حماسية تسمى «رزفة البدو» و«التغاريد» و«الحدوات».

وكان اذا اختصمت قبيلتان يشجع قبيلته بأشعار حماسية ومنها قوله يستحث الناقة :

دنها ودعها تثور بك في ساعه

حمرا عليها شاهد ومشعابي

يااللي مشت زادت على الرباعه

واللي اربعت سوت عجاج اترابي

أما يوم الشاعر فكان يبدأ بفنجان قهوة قبل صلاة الفجر وحوالي السابعة كان يغادر المنزل الى اعماله.

وكان له مجلس هو في الوقت نفسه مكتبه الذي يدير منه اعماله وينظم فيه شعره ويستقبل فيه اصدقاءه الخاصين ونظرا الى انه كان طوال حياته يعاني الربو، فانه لم يكن يعاشر كل الناس. فقد كان يتخير من تسكن اليهم نفسه وينتقي من يجد ذهنه الوقاد الوفاق معهم.

لنا ان نتخيل الشاعر في مقتبل العمر. في الخامسة والعشرين وهو يحمل السلاح ويمارس تجارة اللؤلؤ. ويكتب الاشعار وكانت اشعاره النبطية خاصة، مرآة للعين التي تعشق الجمال، والقلب الخفاق بالعواطف الجياشة التي كانت تصهر قريحته فينساب النسيب والغزل :

ياريمة وادي الغابة

خاطري بك كيف اسوي به

شفتج اول مرة وصابه

صايب لج خفت اعايي به

واجتنبته لج وقرابه

ياطريجج ذاك مابيبه

عقّني بعدي في الانصابه

عند بابه عند اجاريبه

واصطدمت ودارت احرابه

داميه ماهو بتدريبه

كان كثير الترنم بشعره الغزلي، وغيره من الشعر العربي، وكان عندما يكتب قصيدة يقرأها على ابنائه شارحا لهم ما خفي من معانيها.

أما الفصيح فكان يعرضه على ابن عمه علي بن عبدالله العويس. لأنه كان ضليعا في اللغة وعلومها، كما يقول نجل الشاعر محمد، وكان يهتدي به في تصحيح بعض الجوانب ويستنير بآرائه.

أما الشعراء الذين كان يديم قراءة اشعارهم فهم ابوالطيب واحمد شوقي وابن نباتة وحافظ ابراهيم والأعشى ومن اليهم . . بل انه كان يعاتب ابناءه اذا هم لم يقرأوا الشعر أو لحنوا فيه. كما كان يأمرهم بقراءته منغما.

الالتزام

يقيناً اننا لانجد شاعرا خليجيا، في النصف الاول من القرن العشرين، تناول القضايا القومية العربية بالغزارة التي تناولها بها شاعر الامارات سالم بن علي العويس، اذ تكاد لا تخلو اية قصيدة من قصائده من هذه المضامين بنحو او بآخر.

كان سالم العويس متوقدا حماسا، وهو يرى قامة عبدالناصر تشق الطريق للامة العربية، وكان صدره مفعما املا في يقظة الشعب العربي المكبل، بأغلال الاستعمار، المغلول بقيود التخلف، المرهق بالمؤامرات والمخططات:

هي الوحدة الكبرى أباحت صراعهم
وأوحت لاميركا قباح المغارب
تُعين عصابات اليهود وتدعي
ولا قول للكذاب بعد التجارب
ووحدتنا الكبرى اثارت وساوسا
لدى الغرب، ان الغرب اظلم غالب
ولكن سنمضي في الصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد احدى العجائب

ويخاطب الغرب ثانية في نفس القصيدة :

فلا تنس من شردتهم ورددتهم
ولا تنس اكباد النساء النوادب
فما هي الا وحدة عربية
تجابهكم بالجد فوق الحواجب

كانت الخمسينات فترة عصيبة قاتمة ومليئة بالصراعات والتحديات والمآسي على طول الساحة العربية وعرضها، وكان العويس يرصد كل التحركات على الارض العربية.

المغرب الاقصى :

قال مشيرا الى الغرب :

رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة
اذا مارمى زهر النجوم الثواقب

الجزائر :

قال حين طالبت الصين بجزرها بينما كانت الجزائر العربية في حرب مع فرنسا :

جزر الصين الابيه
هي للصين الفتيه
والجزائر شمس حق
حيث صدت عربيه

تونس :

زار «امارات ساحل عمان» الشيخ عبدالعزيز الثعالبي التونسي، ونزل ضيفا على دبي فقال الشاعر سالم بن علي العويس في الترحيب به :

لِيَهْنِ امتنا هذي ليهنيها
هذا ابنها البر هذا المرتجى فيها
هذا الهمام الذي يسعى لوحدتها
اذا سعى في تجزّيها اعاديها
هذا الكريم الذي ان حل في بلد
يوما تعانق كالاخوان أهلوها

مصر :

كان الشاعر متابعا لكل ما يجري في مصر بوجه خاص، اذ كانت بالنسبة اليه الامل الكبير في نهوض الامة العربية، قال ايام كان اسماعيل صدقي رئيسا لحكومة مصر في عهد الملك فاروق عما يجري من المهازل في قضية فلسطين :

وكم دابت مصر بكل وسيلة
مزيفة بالحق يقطنها دب
اذا اخذ اسماعيل صدقي قيادكم
فاين مصر القوم يأيها العرب

مصر والسودان :

بديهي ان يكون حظ مصر هو الاوفر في هذا الديوان، حتى وان كان سالم بن علي العويس لا يعتبر جمال رجل مصر وحدها، وانما امل الامة العربية، يقول في قصيدة :
«تحية للزعيم»

حيوا جمال كثيرا ايها العرب
لم يجدكم قبله مال ولا نسب

ويختمها بقوله :

فهز مصر مع السودان وانتشرت
جندا من الشم من عاداته الغلب

مصر وسوريا :

وكان من الطبيعي ان يطير فرحا لقيام الوحدة بين سوريا ومصر :

ستسمعها الآفاق غير بعيدة
ويسمعها صهيون وهو معاد

ويسكن عبدالناصر المجد ساطعاً
مع الشمس في ارجاء كل بلاد
يوالي عليه الناس اطيب ذكرهم
تحمل عنه الشمس اروع ضاد

وفي قصيدة اخرى عبر عن امله في ان تكون الوحدة بين مصر وسوريا نواة للوحدة العربية الكبرى :

هي الوحدة الكبرى تراث الاكابر
وقل لي هل آمنت أم غير قادر
ولولا زعيم لا يجادل رأيه
حكمت على احلامنا بالخسائر
ولكنني مما تبينت لا ارى
سوى النجح ان النجح حظ المصابر

لبنان :

في قصيدة تحت عنوان «لبنان والوحدة العربية» يقول :

قد أخجلتنا بطول المطل لبنان
كان من سكن الفيحاء طليان
غسان منكم وفي الفيحاء قد عبثت
فيكم فرنسا فدنتم مثلما دانوا
تأتي الشماتة فيكم من مجالسكم
كأن فيكم لاسرائيل اعوان

وفي قصيدة وحدة سوريا ومصر يقول عن الوحدة :

ويسمعها لبنان وهو مفرق
فيبهت من لبنان كل فؤاد

العراق والاردن وعمان :

هذا العراق يرى ما لاتراه لها
وقوم لبنان والاردن تشجينا
ولا الجزائر في سلم وان قتلت
في حربها بشرا خمسين مليونا
من ذاك اصلب عودا من جزائرنا
ان العروبة عود يأنف اللينا

قال ذلك في قصيدة الحرب الصليبية الجديدة، وقد تحدث فيها عن الغرب ونظرته الى الشرق ومساعدته لاسرائيل في احتلال فلسطين وتشريد اهلها.

وفي قصيدة صقر الجزيرة يؤكد على انه لافرق بين بلد عربي وآخر قائلا :

فما فلسطين الا سوريا وهما
الا العراق بلا لبس ولا دلس
هم الاحبة في نجد وفي يمن
وفي عمان وفي اقصى طرابلس

المملكة العربية السعودية :

عندما دخل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مكة قال سالم بن علي العويس قصيدة طويلة مطلعها :

الطير ماد وهزنا غريده
ونشيده عبدالعزيز وعيده

وفيما يشيد بالتطور الذي شهدته المملكة :

المُلْكُ شيد فلا مناص لجاحد
واليك طياراته وبريده
المسجدان مرفهان من الهنا
ورصيف بين المروتين شهيده

والغانيات الرائحات ومركز
للكهرباء يغير عنه وقوده
ومنضد فوق الرصيف له الفضا
والباخرات الماخرات تزيده

اليمن :

• كان شاعرنا يتابع الاحداث والوقائع متابعة دقيقة ويتفاعل معها ومواقفه واضحة للغاية فحين دب الخلاف بين الملك عبدالعزيز آل سعود والامام يحيى امام اليمن حول مسألة نجران وزيارة الاسطول الايطالي لموانىء اليمن قال :

من لي الى اليمن الحبيب رسولا
أبناء يعرب والملوك الاولى

وفي هذه القصيدة نفس خاص متفجر بالصدق والألم، وللاسف نرى هذا البيت منطبقا على اوضاعنا العربية اليوم اكثر من انطباقه عليها بالامس الذي عاشه الشاعر :

مالي ارى كل الشعوب تآزرت
وشجارنا لا يقبل التعديلا
اتقاتلون ابن السعود وما رأت
ابصاركم لابن السعود مثيلا
أنحى لكم رسل السلام محبة
فظننتموه بزعمكم تضليلا

ويخاطب امام اليمن لائماً :

عجبا تنام مع الاسود ولا ترى
الا أخاك من الهواجس غولا
هل لي الومك يا امام ام انقضى
زمن الملام فما يفيد فتيلا

عروبة الخليج

والى جانب هذه الرحلة الممتعة مع شعر شاعر الامارات سالم بن علي العويس في رحاب العالم العربي ومشاكله ومآسيه وتطلعاته وتحدياته للمؤامرات والخطط الاستعمارية الجهنمية، نرى بصيرة الشاعر نافذة في المستقبل ونافذة عليه، فكان كأنه يستشف الغد الذي ينتظر البلدان الخليجية وتنتظره في قصيدة تحت عنوان عروبة الخليج يقول :

يباديك من اهل الخليج ركود
وما هو منهم غفلة وجمود

ومنها :

وقد كانت الاحلام قبل بعيدة
فدارت ولا في الظن ثمّ بعيد

وهنا يستحث الغد :

فلو قيل في ساعات يوم وليلة
هم العرب التقوا ولات حدود
لما كان من شيء غريب وانما
هو الشعب يبني بيته ويشيد

لا بد لنا في هذه الجولة في ديوان شاعر الامارات سالم بن علي العويس نداء الخليج من وقفة على الجوانب السلبية في لغة العويس الشعرية فبقدر ما تألق في المواضيع ومتابعة الاحداث والوقائع، تعثرت لغته وعلى القارىء ان يتأمل صراع هذا الشاعر مع الكلمات التي كانت تبدي له عنادا كبيرا في بعض الاحيان وهذا امر سهل ويسير ادراكه اذ اننا نعلم ان الشاعر نشأ في بيئة لم تكن الاجواء الادبية والثقافية امرا رائعاً فيها والامانة الادبية في النقد تفرض القاء الضوء على سائر الجوانب وذكر الهنات لا يحدث ثلماً في صرح هذه المئوية.

بادىء ذي بدء، هناك ملاحظات عامة عن طبعة نداء الخليج التي ضمت الاعمال الكاملة كما تقول الطبعة نفسها.

الاعمال غير الكاملة

لقد اصرت الطبعة على ان نداء الخليج هو الاعمال الكاملة للشاعر سالم بن علي العويس وعبدالعزيز بن ناصر العويس سفير الدولة في النمسا هو حفيد الشاعر وهو المقدم للديوان والمبادر الى نشره. وهذه الصلة بالشاعر تحتم ولا شك ان يكون على علم بأن لسالم بن علي العويس العديد من الاشعار غير الواردة في هذا الديوان وغير المنشورة من قبل.

كان من الضروري التنبه الى هذه النقطة المهمة خاصة والشاعر في مئويته ومناسبة كهذه لا تتكرر على الاقل ونحن احياء.

وقد علمت من مصدرين اكيدين وثيقين ووثيقي الصلة بالشاعر، وهما نجل الشاعر نفسه محمد بن سالم بن علي العويس، وابن عمه الشاعر سلطان العويس، ان هناك اشعارا كثيرة اخرى لم تنشر، ولا شك ان لنا وقفة مع غير المنشور.

اهمية هذه المسألة تكمن في ان المنشور اصبح نسبيا جداً اذ بالامكان العثور على اجمل اعماله ضمن غير المنشور شكلا ومضمونا فكل المنشور غدا مجرد نماذج عديدة من شعر الشاعر ولم يعد امرا قابلا للقطع الجزم والبت في امره من قبل الناقد.

يضاف الى ذلك ان «المخزون» قد يلقي اضواء مهمة وربما بالغة الاهمية على حياة الشاعر.

من فيينا الى عمان

ملاحظة عابرة، وهي أنه كان أحرى بآل العويس نشر نداء الخليج في الامارات بمناسبة مئوية شاعر الامارات خاصة وان في هذه الدولة مؤسسات تملك أرقى وسائل الطباعة وبديهي ان طبعة دار المهد الاردنية دون المستوى بكثير ونستطيع ان نقول بايجاز ان هذه الطبعة متواضعة للغاية في اخراجها منذ الغلاف.

اما عن الاخطاء المطبعية فحدث ولا حرج.

غياب التصحيح

جاءت هذه الطبعة حافلة بالاخطاء المطبعية من جراء غياب التصحيح وكان على حفيد الشاعر ودار النشر، كليهما ان يهتما بهذه الناحية وبديهي ان دور النشر ذات الشأن والتي تحرص على سمعتها وكذلك التي تريد ان تشق لها طريقا في عالم النشر الموثوق به، تحرص على ان تكون منشوراتها خالية من الاخطاء التي لا تحتاج الى دليل :

والنوم ياخذ كل صاحب «يقضة»
والليث وهو يغط ذو المخلاب

ولكن كيف هذا العلم «جافا»
لباس البر مصدوق الثناء

بيض نواشط لا يثبط عزمها
« قيض » ولا يلوي بهن شتاء

كان على المصححين ان يفطنوا الى هذه الامور الصغيرة التي تنال كثيرا من قيمة الطبعة، مثل (يقظة، جافى، قيظ).

بأي ذنب بعثرت ؟

من الواضح ان نداء الخليج لم يحظ بأيه عناية فقد بعثرت فيه القصائد كما اتفق فأتى خاليا من اي ترتيب يذكر، فلا هو مرتب حسب القافية كما يفعل القدامى، ولا هو مقسم طبقا للمضامين والاغراض ولا هو بالخاضع للترتيب الزمني.

ورغم ان الصفحات الاولى تظهر ترتيبا ابجديا للقوافي الهمزة الباء، التاء فالدال فالراء . . الا ان ذلك سرعان ما يتبخر ويضطرب الترتيب الابجدي للقوافي فهو عملية بسيطة للغاية.

الم يكن من الضروري الاهتمام بهذا الشاعر في مئويته بأن تقدم اليه مجموعة اعماله متكاملة متناسقة بعد فحصها وتحقيقها وتوثيقها من قبل شخص او اشخاص يعتدّ بهم في هذا المجال.

المئوية ليست بالشيء الهين لسبب بسيط وهو انه قد لا يشهد احد من الاحياء الآن مئويته الثانية.

كبوات الشاعر

كبوات العروض والقوافي : من هذه الكبوات ما مرده الى المطبعة والتصحيح النص الاصلي.

كنتم غثاء السِيل يحملكم
الى المفاوز لاذنب ولا سبب

والبحر بسيط والصدر ناقص يستقيم بشيء من قبيل :

«كنتم غثاء وكان السيل يحملكم»

ولكن للشاعر كبوات حقيقية في العروض والقوافي :

فان كانت الارزاء عندك تلتبس

ولا يجوز سكون السين هنا في صدر بيت من البحر الطويل.

وهذه النماذج تشكل عدداً كبيراً في الطبعة الحالية.

كبوات التعبير

ليس غريباً ان نرى في شعر سالم بن علي العويس معضلات شتى على مستوى المعاني والتعبير فالمضامين جيدة ولكن الحوامل اللغوية في شعره كانت في الكثير من الاحيان غير قادرة على الوفاء بما كان يجيش في صدره. ولذلك نراه يحاول اختراق هذا السد وتجاوز هذه القيود بترصيع لغته بغريب اللفظ وهذه ظاهرة نراها لدى حديثي العهد بالكتابة، حين يتفتحون على التراث وما به من لغة كلاسيكية. ومن الغريب اقتران البلاغة بالاغراب اللفظي في الكثير من اجيالنا العربية الماضية.

ولكن هذا الاغراب مقترن لدى سالم بن علي العويس في الكثير من الابيات والقصائد بعدم القدرة على بلوغ المعنى وقد لا اكون بعيدا عن الحقيقة اذا قلت ان هذه الحالات تكون عادة نتيجة لارادة الكتابة دون دافع تلقائي، اي عندما يتكلف القلم كتابة الشعر.

يقول تحت عنوان وفاء :

اليفك ياذات الامانة والتقى
وقد صدقت منك العزيمة وامق
وما انا بالنكد الغليظ فؤاده
على البين لا يحنن من يفارق
وما الجَلد من يسلو الصديق وانما
كذلك يلهو بالصديق المنافق
يريدون من يحيا صلابة عوده
تكابر في كيد العدى وتخارق

قال الابيات السابقة في حافظة نقود تسمى هنا «بشتخته» وقد احتاج الى نقلها الى الدكان فعز عليه فراقها في البيت، كما تقول مقدمة القصيدة والوسيلة اللغوية هنا قاصرة كما هو واضح وهذا نموذج آخر وفيه ايضا كبوات عروضية ولغوية.

دع الحزم لا تحزم ولا تتملق
فلا حزم عن مستعمر متدفق
دع الحزم واسدد كل ارض بالحصى
واذنيك الا مسمع المترفق
ولا تدخلن ارض العدو ولا يرى
ترابك الا قائما غير مشرق
فان يد التوفيق لست وليها
وانت بأثواب المُجدّ المدقق
ولو ان خرقا واحدا لرقعته
ولكنه صرف الزمان المخرق
فَسُمْ للعلا واهلك فذاك هو المنى
وذاك العلا فليسم ان شاء من بقي

ولا علم من غير الرسول محمد
فان شئت فاستمسك وان شئت فاخرق

ولك ان تتساءل عما يريده من هذا البيت الغريب الذي نرى صدره واضحا كل الوضوح.

نعم والحق ليس بذي التباس
اذا ضاق المضل عن الجلاء

انه يريد ان يقول شيئا ولكن اللغة تخونه.

لك ما استطعت فما تلوك هو الحصى
والهدم ان مضغ الحصى في الناب

وهنا يقع في مشكلة المعادلة بين ما يتطلبه المعنى وبين مساحة البيت.
انه يريد ان يقول ببساطة «هلا علمت بأن الفلاسفة تخشى صولة العرب» وهو معنى غير ذي بال اساسا ولكن اللغة لا تطيعه فيأتي البيت هكذا :

هلا علمت بأنها العرب التي
يخشى الفلاسف صولة الاعراب

وتهجره السلاسة احيانا وموسيقى اللفظ :

يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى
وضاق بأشباح الليالي الشواحب

وتضطرب اللغة والمعاني في بعض الاحيان :

فاستقم لا تلتفت في اجد
لست مسؤولا عن الخلق جوابا
ولهم في عنق المرء وان
لم يرد ما هديه هديا صوابا

في ختام هذه الجولة في حياة شاعر الامارات سالم بن علي العويس نتوقف قليلا عند نثر الشاعر. وهو موضوع لم يطرق حتى الآن، ففي الصفحات النثرية

التي تركها العويس مخطوطة نكتشف جوانب اخرى من شخصية هذا الرجل جوانب طريفة وربما غريبة احيانا.

نثريات سالم بن علي ليست كثيرة من حيث الكم، فهي عبارة عن كراس يقع في قرابة مئة وعشرين صفحة. جانب كبير منها هو عبارة عن حكم ومواعظ وقصص طريفة من التراث نقلها الشاعر لاعجابه بها، وهي مما نجده بغزارة في امهات الكتب كمحاضرات الادباء والعقد الفريد وصبح الاعشى والمستطرف.

ولكن هذا الدفتر كان مهد بعض مذكراته ويومياته.

ونرى الشاعر سالم بن علي العويس في بعض هذه اليوميات يعلق على بعض الاقوال الطريفة مما كان يروج في تلك السنوات من اصداء المعارك الادبية امتداداتها وما يجري على هامشها :

«انظر كيف تكون نفوس النوابغ الكبرى والعبقريين هذا احمد حسن الزيات يصف مصطفى صادق الرافعي : ذكر عنه انه يقول له ولمن يأنس اليه غيره، ان حالا تشبه حالات الوحي تقوم به في بعض ساعات الليل حين يكتب في اعجاز القرآن او في الدفاع عن ادب القرآن فلا يكون فيما ينشىء الا وسيطا ينقل عن قوة من وراء الغيب ثم قال وكان من شذوذ العبقرية في الرافعي اعتداده بنفسه الى حد الصلب واعتقاده بالغيبيات الى حد السذاجة».

والنصوص مختلفة من حيث الكم هذا مثلا نص مطول، نجد فيه السرد القصصي والموعظة واستخلاص العبر :

«التقيت برجل اعمى، وقد انفلت منه قائده، وهو ولد له، عمره في خمس سنوات، انفلت الولد يريد ان يلهو ويلعب على وجهه والاب يريد من ولده الصغير ان يقوده فيدله الطريق والاب يعلم انه في يوم الخميس ويعلم ان اصحاب الدكاكين في السوق يتصدقون هذا اليوم، فهو يمشي مستعجلا في سمت ولده ويكلمه من بعيد، ليسمع من ولده صوتا فيتجه اليه ومرامه ان يقترب منه فيمسكه ثم يأخذ بخاطره ليقوده اقترب الوالد من ولده في مشية فيها هرولة فساهمت انا في القضية وقفت اكلم الصغير يساعد اباه رافعا صوتي قليلا ليتجه الاب الاعمى الينا اقترب الاب وامسك بيد ولده امساك الظافر المغتبط . . ياترى هل هذا الولد الصغير في مقدوره ان يساعدني ام ان المستقبل يخبىء لي ان امشي وحيدا معتمدا على ما تدلني عليه عصاي. ياربّاه . . السالك في اثر عصاه تعب ومعرض للاخطار، ربما يصدمني ما يقعد بي عن السعي، وتلك والله قاصمة الظهر والمقيد ارحم اليه الناس من السالك وحده ذلك يدعوهم الى مساعدته

عماه وصغر ابنه والثاني يرونه مبتورا فتقول انفسهم وان لم يقولوا هذا معذب دعوه يستكمل عذابه ليذهب به الى الابد عن اعين الناس.

هكذا رأيت الحديث على وجه الاب امسكه امساك الظافر وأخذ يلاطفه في رغبة فيها يأس وفيها شجاعة، جعل الولد الضعيف يتململ في يد أبيه الغليظة. زادت الوساوس والحديث في المستقبل مشيا قليلا والولد يتثاقل متأخرا . . والاب في شبه الساحب لولده رافعا صوته يطلب ما تسمح به الايدي مد احد الناس اليه بأردى . . التقفه الولد فوضعه في يد ابيه وهو باسم جذل واشرق وجهه فجعل يخاطب اباه بألين العبارات فانبسط الامل في نفس الوالد ومشيا جميعا في امل واحد».

«رأيت كلمة ونسبت قائلها ونسيت لفظها وانما الخص معناها وهي ان الرجل متى باشر أي عمل فانه يجعل عليه مسحة من روحه ونستفيد من هذا الرجل الكبير كبير المرام، اذا تولى عملا في نفس الآن صغيرا، الا انك ترى ذلك العمل في يد ذلك الرجل الكبير كبيرا وترى الرجل الصغير صغيرا للغاية حتى حين يتولى امرا عظيما وترى ذلك الامر في يده صغير الشأن».

هناك ظاهرة طريفة للغاية في هذا الكراس، فالشاعر سالم بن علي العويس، يقدم الينا قيما عجيبة يقيس الناس بمقاييسها دون تردد، وان كان يدع للشك في صحة هذه المعايير بعض المجال، اذ يقول : «حسب ما رأيت غالبا».

لنتأمل هذه المقاييس والقيم :

- بدن جميل ووجه لابأس به يكثر في اهل المهن.
- وجه جميل وبدن لابأس به، يكثر في الاذكياء
- وجه جميل وبدن جميل يغلب في اهل الاقدام.
- وجه جميل وبدن قبيح، يغلب في اهل البلادة.
- وجه لابأس به وبدن لابأس به، يغلب في اهل الثروة.
- وجه لابأس به وبدن لابأس به، ان اعدم من الحكمة لم يعدم من الثروة وان اعدم من الثروة لم يعدم من الحكمة.
- وجه قبيح وبدن قبيح في العلماء البلداء ويغلب فيهم عدم النسيان وعدم الغضب.

شخصيتك من لحيتك

ثم ينتقل بنا سالم بن علي العويس الى القيم المستمدة من اللحى ، وهي امور

غريبة عجيبة ولكنها لاتخلو من الطرافة والفكاهة.

● من لحيته في ذقنه وليست قليلة وعارض ليس كثيفا ثم تتلوه شعيرات متفرقة فمهذار وجبان.

● ومن اعلى عوارضه متوسط الشعر ثم يخف قليلا الى الذقن ثم اللحية خفيفة ايضا في الذقن فمقدام لايدخل الرعب قلبه وطرف من طروف الدهاء وفصيح اللسان ومستقل الرأي فان وجد اميرا نفع وضر.

● ومن لحيته غليظة جدا في العوارض وفي الذقن فقلبه اغلظ من الصخر لايتأثر بتقلبات الايام حتى يموت وحتى وهو في النزع الاخير لا يوسوس بالموت فان وجد اميرا اتسع ملكه واحبته رعيته وكان مضرب المثل في العدل وفي العفو وشديدا على اعدائه ولا يمل الحرب.

القلم حتى الموت

في ختام هذه الجولة، جدير بنا ان نذرف عبرة تحية صادقة الى هذا الشاعر.. الى هذا الانسان . . نذرف عبرة رغم انه رجل صلب المراس صعب المراس . . صارم صامد أمام الموت حتى اللحظة الاخيرة، مصمم على ان يكون آخر شيء يمسك به هو القلم، ولا شيء غير القلم لكي يخط آخر حرف وآخر كلمة ففي بدء سالم بن علي العويس كانت الكلمة وفي نهاية جسد شاعر الامارات كانت الكلمة ايضا.

عندما حضرته المنية، أومأ الى ابنه محمد بأنه آن أوان الرحيل فلم تسعفه شفتاه . . فأشار اليه بأن يحضر قلما وورقة . . وكتب آخر ما خطت يده، وآخر ماسطرت يراعه :

«آن الموت»

وكأنه كان يريد ان يقول له انني سألتقي بالوالد او الوالدة في الدار الآخرة، فلم يسعفه الوقت فكتب او الوالدة.

قفوا احتراما لهذا القلم الذي تحدى الموت . . وخط بسريالية رائعة.

«آن الموت . . آن الموت . . آن الموت . . أو الوالدة».

سلاما شاعر الامارات. سلاما ايها الشهم.

● من الدراسات التي قدمت خلال الاسبوع الثقافي الذي أقامه اتحاد كتاب وأدباء الامارات احتفاء بمئوية الشاعر.

مع شاعرين من عمان
سالم العويس وابن شيخان

كلاهما من بيئة واحدة ولكنهما تغايرا في النزعة والمنزع

عبدالغفار حسين

ليس من غريب القول اعتبار سالم بن علي العويس شاعر الامارات الذي احتفلت الاوساط الادبية والثقافية قبل ايام بمرور مئة عام على ولادته . . ليس من الغريب اعتباره شاعرا من البيئة العمانية، كنظيره محمد بن شيخان السالمي الشاعر العماني المشهور.

فالعويس وان كان من الامارات، الا انه ينتمي الى بقعة كان يطلق عليها اسم ساحل عمان، وهكذا عرفه أهله الذين عاشوا على ترابه وتوارثوه عن الآباء والاجداد. والعويس نفسه يردد لنا اسم عمان، في اكثر من موضع من شعره . . ويؤكد لنا اعتبارها موطنه ومرابع صباه . .

عمان بنا عمرانها وخرابها
فحيي عليها شيبها وشبابها
بلاد بها حل الشباب تمائمي
وأول ارض مس جلدي ترابها

ويقول شاعر آخر من الامارات هو احمد سلطان بن سليم في قصيدة يدعو العمانيين فيها الى نبذ التعصب القبلي ويؤكد مشاعره نحو عمان :

تلك المصيبة لا مصيبة مثلها
تركت عمان بذلة وهوان
تلك التي ذهبت عمان فريسة في
غيها رفقا بشعب عمان

هذه نصيحة مخلص لا يبتغي، غير
القبول لها من الاحسان
جاشت بها انفاسه من لوعة
بهوى المزون تشف عن وجدان

وهناك شاعر آخر وهو صقر بن سلطان القاسمي الذي يتردد اسم عمان في شعره في اكثر من مناسبة . . ومن قصيدة له عن عمان يقول.

عمان، وهل لي سامع فأقول
فقد هدني بعد الرجاء نكول
وآلمني منك القعود وقد دعا اله
ـنادي، فهل مس الفخار أفول
فيا حزني ان لم اجدك موحدا
الى المجد تمشي سيدا وتقول
اذا ما دعاك الحق لبيت صوته
كأنك سيف للنزال صقيل
تعيد لنا الماضي بأجلى صفاته
وطرفك عن رؤيا الهوان كليل

والحقيقة ان الاحساس بالانتماء العماني، والتعبير عن هذا الاحساس كثيرا ما يجده المرء عند الادباء والشعراء الاوائل من الامارات.

واذا عدنا الى تناول شخصية الشاعرين ابن شيخان وسالم العويس، فإن هناك واقعا لابد من التأكيد عليه، وهو أن دراسة الشاعرين والمقارنة بينهما، ثم تحليل منزعيهما واتجاههما الشعري امر عسير على مقال كمقالي هذا ان يحتويه، فمثل هذا العمل بحاجة الى دراسة شاملة قد تملأ كتابا كاملا يتولى كتابته باحث ذو باع طويل في التحليل والنقد الادبيين، وما انا الا متتبع لبعض الاصداء الادبية في المنطقة، معتقدا أن تسجيل اي انطباع عن هذه الاصداء قد يكون نافعا لمن يريد القيام بدراسة اوفى واكثر تفصيلا.

والحقيقة ايضا ان هذا الحديث اريد به التطرق الى لمحات عن الشاعرين ابن

شيخان وسالم العويس، وما بينهما من مفارقات في جانب واحد من جوانب اتجاههما الادبي وهو الجانب المتعلق بتسخير الشعر للتكسب والاستجداء الذي هو الجانب السائد في شعر ابن شيخان . . ناهيك عن المفارقات الاخرى بين الشاعرين في المواقف والتفاعل مع قضايا المجتمع، تلك المواقف والتفاعل التي يتميز فيها العويس عن معاصريه من الشعراء في المنطقة . . وقد ظهرت لنا هذه الميزة واضحة في المحاضرات والبحوث القيمة التي تقدم بها جملة من الادباء في الامارات في الاحتفال بمئوية سالم العويس، ومن هؤلاء الادباء الاساتذة عبدالوهاب قتاية، عبداللطيف الزبيدي، رأفت السويركي، عبدالمنعم عواد يوسف، بلال البدور وعبدالله عبدالرحمن.

ابن شيخان : الاستجداء والتكسب بالشعر

ليس هناك شاعر عماني اشتهر على ألسنة العامة في عمان وساحل عمان، كما اشتهر ابن شيخان ـ محمد بن شيخان السالمي ـ وبسبب هذه الشهرة لا يستغرب المرء ان يجد لشعر ابن شيخان صدى على الالسنة . . اذ ليس هناك مخضرم له شيء من الاهتمام بالادب والثقافة لا يحفظ بيتا او اثنين او اكثر من ذلك . . وهذه الشهرة تعود بالدرجة الاولى الى كثرة التجوال في عمان وساحل عمان، الذي كان يقوم به ابن شيخان من منطقته التي عاش فيها في عمان الداخلية بالقرب من مدينة الرستاق العمانية التي تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ١٥٠ كيلومترا، وكان ابن شيخان في هذا التجوال يحمل على كتفيه بضاعة شعره، ويمر بها على بيوت اهل النعمة واليسار في الخليج، ابتداء من مسقط وانتهاء بالكويت في الغرب، يعرض عليهم بضاعته التي انحصرت في المدائح، واضفاء النعوت والصفات الغارقة في المبالغة على الممدوحين، في صورة خنوع واستجداء . . حتى أنه يمكن ان نسميه شاعر المدح والاستجداء، إذ لا ينحى منحى غيرهما الا فيما ندر . . !

يقول الشيخ محمد بن عبدالله حميد السالمي قريب الشاعر، والذي كان ابن شيخان ملازما لأبيه المؤرخ والفقيه العماني المعروف الشيخ عبدالله السالمي . . يصف الشيخ محمد الشاعر ابن شيخان . . !

كان طامحا طامعا يحب المال كما يحبه غيره، فلا تكاد تخلو قصيدة له من

الاستجداء وطلب العطاء . . وقد تأثر بالمبالغات التي يلجأ اليه الشعراء في الثناء والاستجداء وتوجيه المدائح لغير أهلها، ولو بقينا ننقب عن عذر له، لما وجدنا سوى ان نفسيه الشيخ طغت عليه فتسامح اليها.

ولا نلوم الشيخ محمد السالمي في نقده الذي مر للشاعر، رغم انه كان شديد الاعجاب به، اذا سمعنا الشاعر نفسه يقول لاحد ممدوحيه . .

عبد اتاك يقوده
حسن الرجا والانتظار
حاشا جميلك ان يرد
يدي عنك باصفرار
وندى يديك همى ورو
ض وانتهى في كل دار

وفي استجداء مماثل لبعض ممدوحيه يطلب فيه بندقية . . يقول ابن شيخان :

أيا بهجة العصر غيث البلاد
ويالجة الفضل غوث العباد
لقد كان لي «تُفقٌ» بعته
خشيت عليه طروق الفساد
وهذا الذي في يدي ليس لي
فهب لي ذا رمية مستجار

وهذا مدح آخر يرصف فيه الكلام رصفا بلا روح وبتكلف شديد . .

فوجهه مثل القمر
وكفه بحر زخر
وسيفه مثل القدر
يسطو على الساعي بِشَرّ
كجبل اذا جلس
كأسد اذا افترس

ليس بعرضه دنس
ولا بورده كدر
لما علمت فضله
شاع ومد بذله
اهديت من مدحي له
سمطاً تحلى بالدرر

ويمضي في جل اشعاره على هذا المنوال من الركض وراء الزخارف اللفظية الثقيلة على السمع وهاهو يسمعنا وصفا طريفا ولكنه ساذج للعملة التي كان العمانيون يتداولونها في الماضي وهي عملة (القرش) :

ان القروش تجلب القروشا
وتقنص الاسود والوحوشا
وتملأ البطون والكروشا
تبعث الجنود والجيوشا
وتعقل الديات والاروشا
وتدخل القصور والحشوشا
وترغم الانوف والخشوشا
وتكرم الضيوف والطروشا
وتخصب الفروض والقشوشا
وتطعم الكباش والجحوشا !

ولابد من الاعتراف، بأن الاستشهاد بهذه الاشكال من الشعر السفساف، لايعني ان ابن شيخان ليس له كلام جيد لفظا ومعنى، بل له كثير من الكلام البديع، وقد تمت الاشارة الى هذا النوع من الجودة، في مقال كتبته في مجلة شؤون ادبية ــ العدد الرابع ــ بعنوان ابن شيخان ــ شيخ البيان . . كما ان ابن شيخان يتميز عن سالم العويس بأنه اكثر تمكنا من اللغة وامتلاكا لزمامها . . ولكن اكثر معانيه تقليدية وليس فيها ومضات من فكر عميق أو رأي سديد.

ومن المعروف أنه لاقيمة حقيقية لأي عمل أدبي سواء كان شعرا أو نثرا، الا

اذا كان هذا العمل صادرا عن عاطفة صادقة، ويتخلله التفاعل بقضايا الانسان، وما يحيط به من افراح الحياة واتراحها، وان التزام الصدق في التعبير هو المحور الذي يجعل العمل الادبي شيئا ذا قيمة ونفع . . وهذه العناصر المطلوبة في العمل الادبي نجد نورها مشعا هنا وهناك في قصائد سالم بن علي العويس، بينما نفتقد هذا النور في اماكن كثيرة من ديوان ابن شيخان الذي يكتفي بالصنعة اللغوية والمحسنات اللفظية واستعمال البديع المزخرف من الكلام، الذي اعتقد انه لايضفي أية جودة على العمل الادبي . .

وكأني بسالم العويس وقد عرف قيمة الكلام الصادق الجيد . . حيث يقول . .

ماذا أقول وخير القول اصدقه
والقول لغو اذا طارت حرارته
طول القصائد شيء غير نافعها
والقول ماسددت نهجا اشارته

العويس . . المنزع المغاير

قضى ابن شيخان نحبه قبل سالم العويس بنيف وثلاثين عاما. وكان أسن من صاحبه العويس بحوالي واحد وعشرين عاما اذ ولد ابن شيخان حوالى ١٨٦٨ وتوفي ١٩٢٧، بينما ولد العويس حوالي عام ١٨٨٧ وتوفي عام ١٩٥٩ . . وهذا الفارق في السن ليس فارقا كبيرا، فهما متقاربان في العمر تقريبا، ولعلهما التقيا ايضا اكثر من مرة، نظرا للزيارات المتكررة التي كان يقوم بها ابن شيخان الى ساحل عمان، يمدح امراءه واعيانه، كما تدل على ذلك جملة من قصائده، المعنونة الى هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات المرموقة في المنطقة . . ولاشك أن كلاً منهما عرف صاحبه معرفة وطيدة فهما من اقليم واحد وبيئة متقاربة، وابن شيخان كان من الشهرة والصيت في المنطقة بمكان كبير كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل.

ولكن لا اعتقد ان صداقة جمعت بينهما، اذ ليس بين ايدينا مايدل على ذلك من رواية او خبر او شعر مدون في ديوانيهما . . وابن شيخان نفسه كان على نقيض العويس، لم يكن يهتم الا بالصداقات التي تجلب المنفعة كالتعرف على ذوي الجاه للاستفادة نظير مايغدق عليهم من مدائحه . . بينما كان سالم

العويس شاعرا شعبيا وعاديا في بيئته وحياته، لم يهتم بجاه او ثراء كما عرفناه من حياته ومن شعره . . بل انتقد العويس هذا النوع من الحياة ووصفها بأوصاف دلت على امتعاضه منها، رغم انه كان يتعاطى التجارة، وهذه المهنة اقتضت منه الاختلاط بأهل النعمة واليسار . . لكن شعره يعطينا انطباعا مغايرا اذ نراه يميل نحو النزعة الاشتراكية ويكره جمع المال ويدافع عن قضايا المعسرين ويعطف عليهم . . يقول للمكيافيليين الذين يلجأون الى أية وسيلة للسيطرة :

فما اعتبروا المروءة غير غبن
يجيء بها الضعاف من الاماء
ونقض العهد والميثاق امر
يبلور في رؤوس الاقوياء
وكل وسيلة امر مباح
اذا كانت لادراك الثراء !
في سبيل الدرهم الناس
لقد ذاقوا الهوانا
انما الدرهم ` أمر فيه
ما نحن عسانا
ملتقى كل نفاق
وشقاق منذ كانا !

وفي قصيدة اخرى نجد فيها ومضات من النزعة الاشتراكية ويوجهها الشاعر الى اسماعيل صدقي رئيس وزراء مصر قبل الثورة المصرية . . بعنوان «عوّل على خمص البطون» ! !

لقد ضل من اصغى الى رأي تاجر
فقل انت في بطنين قد قسم الحب
فعوّل على خمص البطون اذا بدا
أصحاب نور الحق والاسد الغلب
وحسبك ان الارض في كل بقعة
مع الظلم ماسارت ولم تكتب الكتب

ولا عيش الا بعد حرب اليمة
ولا ظلم الا في عواقبه حرب

ويهاجم بعين بصيرة من يجمعون المال حبا في المال فقط ولا يسخرون هذا المال للمنفعة العامة . .

وما رأيت كمثل المال ذا جنف
عن السبيل وفي المنهاج ذا اثر
يؤمل الضر من كل الجهات متى
اكببت حبا على مال بلا بصر
والمال فانٍ واهل المجد باقية
لا يدركون وحب المال من وطر

واذا تتبعنا قصائد سالم العويس بالفصحى في ديوانه، ناهيك عن شعره النبطي الذي لم يطبع، فلا نجد قصيدة لم يحض فيها العويس على العون للمستضعفين كالغواصين والارقاء وغيرهم . .

حجب الزكاة وارهاق الضعيف رِباً
جرم تلبس بالارواح والهمم
تجارة الرق في الاسلام حرمها
رب العباد ومكر الناس في الامم

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتزداد مشاكل اهالي الخليج تعقيدا بعد المحن والويلات التي اصابت تجارة اللؤلؤ الطبيعي على إثر اختراع اللآلىء الصناعية، وعانت منطقة الخليج من هذه المحن والويلات الشيء الكثير الذي مازال المخضرمون من الناس يتذكرونها.

ولم يكن أمام المشتغلين بالغوص الا ترك مهنتهم والبحث عن عمل آخر لتسيير أمور حياتهم ومعيشتهم.

ومازال الناس يتذكرون كيف كانت المعدات التي كان يستعملها الغواصون مرمية على طول ساحل البحر في الامارات من سفن وغيرها، تركها اصحابها بعد

ان انتفت حاجتهم اليها، واصبحت هياكلها كالاطلال، تذكر الناس بما آل اليه أمر الغوص . .

والشاعر سالم العويس يقف ليلقي نظرة على سفن الغوص المرمية على الساحل والتي شبهها بالاطلال، وفي نظرته هذه تبدو لنا مشاعره الانسانية واضحة جلية، اذ لم يتباك كغيره من الذين كتبوا عن الغوص والغواصين على ضياع ثروة وزوالها ولكنه أرجع الكوارث التي اصابت الغوص الى المآسي والمظالم وانتهاك الحقوق التي كان الغواصون او عمال الغوص يتعرضون لها على يد اصحاب السفن والتجار . .

يقول لنا العويس في عفوية صادقة . .

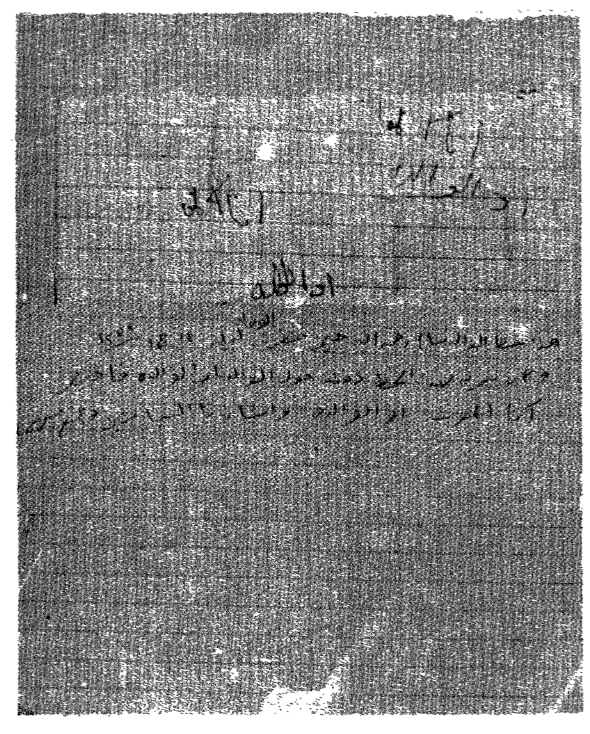
لمن السفين تلوح كالاطلال
بعد الزعامة والمقام العالي
تلك التي رفعت لواء رجالها
في المهمه القتال عند الآل
تلك التي بنيت لتجني لؤلؤاً
الله اكبر من حصاد . . لآلي
رفعت لواء المسرفين .:وانبتت
داء السلال بكل من ذي مال
عصفت رياح السوء في اعطافهم
فلووا رؤوسا في رقاب جمال
ما قوم هود او شعيب وصالح
منهم بعيد والخراب الحالي
الجود والتقوى الكذوب تزعزعت
من فتنة في مخنق قتال
لا الشعب إن دان النزال مؤيداً
شيخاً ولا للحق من اطلال
والشعب إن عز النفير بأهله
بات المقاتل فيه غير مبال

والشعب إن قلت مرافق يومه
دب الخراب بكل بيت عالي
وهناك تلتبس الامور وينطوي
ذاك البساط بزاجر الامثال
هيهات ايتها السفين فانما
وضح النهار ولات حين خيال
للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال
كي تدفعيهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال
اين الشريعة من صنيعك فانكري
يوميك عند زعيمك المختال
وسليه هل في فيه بعد بقية
من انيب الايام والامثال
اعيا الزمان غدوه ورواحه
وأقامه للبغي كالتمثال
واثابه بالبخس عما قدمت
اعماله ورماه بالاسمال
وابتز من عينيه لفح شواظها
وأعادها فيه عيون كسال
عهدي بأرباب السفينة انهم
كرماء يوم الصد والاقبال
واليوم تلقى من لقيت كأنهم
صفحات رق من كتاب بالي
أو أنهم بأنوفهم وعيونهم
وسكونهم اشلاء طيف خيال

انذر بأصحاب السفينة كل من
خان السبيل لمطمع في مال
والدهر يكذب ان تبسم مرة
للمسرفين ومدهم بالنال
فاذا رأيت فإن ذاك تحفز
للوثبة الكبرى بغير جدال
خذ في يديك الحق معتصما به
والله اكبر في قتام قتال
واذا سهوت عن الليالي فادخر
أهل السفينة للزمان الخالي

وهكذا يظل شعر سالم العويس معينا صافيا للواردين، لايغور له ماء !

● نشرت في جريدة الخليج/ الشارقة/ ٧ يناير ١٩٨٨.



وصيّة الشاعر : في لحظات الاحتضار الاخيرة، كتب الشاعر وبخط راعش يوصي بدفنه حول والده أو والدته.. واختصر وصيته بالقول: «آن الموت» ثم أشار بالسبابتين وجمع بينهما. رحمه الله.

شاعر الوطنية والقومية سالم بن علي العويس

عبدالغفار حسين

هي الوحدة الكبرى اباحت صراعهم
واوحت لامريكا قباح المغارب
فما بالها ترضى لها كل صالح
وتأبى لنا الا جسام المعاطب

في اسرة العويس، او (العويسات) كما ينادون بها في الامارات، اكثر من شاعر واكثر من اديب . . ومن هؤلاء خرج ادباء تركوا ومازالوا يتركون بصمات واضحة على التاريخ الثقافي في المنطقة، ولمساهماتهم آثار تجدها هنا وهناك . .

عرفت اول من عرفت، المرحوم علي عبدالله العويس، كان منزله ودكانه في سوق بر دبي، بجانب ما كانا مركزين نشطين للتجارة والبيع والشراء، كانا ايضا ملتقى لذوي الميول والاهتمامات الثقافية والادبية، وكان الجو الادبي من روايات وشعر هو السائد في هذا الملتقى، وكان رحمه الله أديبا ذواقة للشعر، وكان يحفظ النصوص الادبية من شعر ونثر حفظا جيدا، وكان يختلف عن اقرانه من التجار المحيطين به من الناحية الفكرية والثقافية، وكان يجل اهل العلم والادب ويأنس اليهم . . وعندما تشكل اول مجلس للبلدية في دبي في مارس عام ١٩٥٧م اختاره اعضاء المجلس رئيسا على مجلسهم، لما كان يتمتع به من فكر ثاقب واحترام من الجميع، وظل رئيسا لمجلس بلدية دبي حتى توفاه الله يوم الحادي والعشرين من مارس ١٩٦٣م.

ومن هذه العائلة، الشاعر المعروف سلطان علي العويس، واخوه الاستاذ احمد علي العويس الذي يعتبر من الرواد في الامارات في ادب القصة والمقالة، وكان يكتب في مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها المرحوم احمد حسن الزيات، كما

كتب في اخبار دبي ومجلة «الأزمنة العربية» وقبلها في مجلة «صوت البحرين» في الخمسينات، كما يجدر ان نذكر من هذه الاسرة اسم اديب ومؤرخ هو الاستاذ عمران سالم العويس، الذي يعتبر مرجعا يعتمد عليه، في تاريخ عمان عامة والامارات خاصة.

اما شاعرنا سالم بن علي العويس الذي نتحدث عنه هنا، فهو احد البارزين من الادباء في هذه الاسرة، ويعتبر بحق رائدا من رواد الشعر الفصيح، وفي الطليعة من الداعين الى الوحدة الوطنية واليقظة القومية في الامارات . .

وكان الشاعر قبل ان يستقر في دبي، مقيما في الحيرة، القرية التي تقع بين عجمان والشارقة، وكانت هذه القرية مقرا لاسرته وفيها ولد ونشأ كما ذكر ذلك حفيد الشاعر الاستاذ عبدالعزيز ناصر العويس في تقديمه لديوان جده، وانتقل الشاعر بعد ذلك الى الحمرية ليتتلمذ على يد شيخين من نجد، يعلمان الناس امور الدين والعربية، ثم استقر به المقام في دبي يزاول فيها التجارة . . ومثل الكثيرين الذين كانوا على شاكلته في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه سبل التعليم ميسرة، ثقف شاعرنا نفسه عن طريق القراءة والاطلاع، واشترك في بعض المجلات العربية التي كانت نادرة وتصل البلاد بمشقة وصعوبة بسبب الانعزالية التي فرضها الانكليز على المنطقة، كما اوضحت ذلك في احاديث سابقة عن ادباء من امثال العقيلي وبن سليم والصانع وغيرهم.

وكانت التجارة بالنسبة لشاعرنا وسيلة للعيش فقط كعادة اهل العلم والادب، وليست غاية للتهافت والتكالب على المال كما يفعله اكثر التجار، ولم تشغله التجارة عن السعي لتثقيف نفسه، وكانت نظرته الى المال نظرة من عرف تفاهة قيمته اذا قورن بالعلم، وعرف ايضا ان المال غير مجلب للمجد، وان المجد لايدرك بالركض وراء جمع المال . . فلنستمع اليه في هذا المعنى :

ومارأيت كمثل المال ذا جنف(١)
عن السبيل وفي المنهاج ذا اثر
يؤمل الضر من كل الجهات متى
اكببت حباً على مال بلا بصر
والمال فانٍ واهل المجد باقية
لا يدركون وحب المال من وطر

اسلوبه ومضامين شعره

وما من شك ان لاسلوب الاديب اللفظي والانشائي في عرض القضايا والافكار، اثر في جلب الاهتمام الى ما يعرضه، ولكن الاديب الملتزم بقضايا مجتمعة وامته لايسعى الا الى غاية واحدة، وهذه الغاية هي خدمة هذه القضايا عن طريق مضمون مايقدمه في القول والعمل . .

وأهم ما يميز شاعرنا سالم علي العويس عن بقية شعراء الامارات، ان شعره يكاد ينصب وينحصر في خدمة قضايا الامة السياسية والاجتماعية . . ومع ذلك يمتاز ايضا بوضوح المعنى على طريقة الكثيرين من شعراء العربية القدامى الذين لم يعرفوا الرمزية والغموض، واسلوبه تقليدي ولكنه ينم عن اطلاع وثقافة غير يسيرة في علوم العربية والدين واللغة.

ويستغرب الباحث مايراه من اهتمام الشاعر ومتابعته بهذا المقدار الذي نراه في شعره، بالقضايا القومية للامة العربية، في وقت كانت المنطقة تعيش في ظلام دامس، ولم يكن من الميسور متابعة هذه القضايا متابعة متواصلة . .

يقول حفيد الشاعر الاستاذ عبدالعزيز العويس : (عاصر الشاعر بداية انحسار المد الاستعماري عن بعض الاقطار العربية، وعاصر ايضا اندلاع الثورة العربية ضد الاستعمار وكان واحدا من شعرائها، خاصة تلك التي قادها رائد الحرية المرحوم جمال عبدالناصر الذي تغنى به الشاعر وافتخر به كثيرا، لان ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ تعتبر في نظره ولادة لتحرير الامة العربية، والشعر الذي يواكب ولادة تحرير الامة العربية هو الذي يكتب له البقاء. وان البعد القومي والرؤيا الثاقبة في قراءة المستقبل تتجلى لدى شاعرنا في كثير من قصائده.

مثالا على ذلك نورد البيت التالي من قصيدة له وردت في الديوان :

فلا اعتراف ولا سلم وان سقطت

بعد النشوب ليوم الحرب تيجانُ

كان ذلك قبل عشرين عاما من لاءات الخرطوم الثلاث . .

والحقيقة ان الاستاذ عبدالعزيز العويس على صواب في تقرير الرؤيا الثاقبة للشاعر، فها هو ينبئنا عن امريكا ومطامعها في بسط نفوذها التي تجلت بعد الحرب العالمية الثانية :

ان الولايات في جد وفي لهف
تهوى على الشرق والسكان ماكانوا
تلكم سياسة امريكا وساستها
ان يتبع الحرب اذلال وبهتان
تخشى وتبصر في طيات خطتها
ان يظهر الروس يابان وألمان
والروس تضحك من خطب يحيط بها
وما يحيط بعلم الغيب انسان

وكوطني يكره الاستعمار ويهاجمه ويعتبر الاستعمار والحكم الاجنبي شرا اينما كان، يهاجم الشاعر (المستر اتلي) رئيس وزراء بريطانيا الذي كان يعارض استقلال الهند، ويتمنى الشاعر لو كان (تشرشل) الذي كان في الحزب المعارض، رئيساً للوزارة حتى تنال الهند استقلالها :

ياضيعة العمال كيف تأول
ياليت ان على الوزارة شرشل
يا ويح اتلي كيف طابت نفسه
فجرى على الهند الضياع الاول

ثم يوجه الشاعر كلامه الى الهنود، والى غيرهم محذرا من وعود امريكا الكاذبة، ولان مساعداتها ليست سوى اساليب تريد بها السيطرة على الشعوب . .

واليوم هذا الحق خيم ظله
بسماء (واشنطن) لا يتأمل
والقوم تكذب والكذاب يزيدها
دركا فتبتلع الكذاب فتنزل
خسرت عظيما من ضخامة مالها
كي في بلاد الغافلين توغل

وكأني به رحمه الله، يرى العرب اليوم، كيف تهينهم امريكا بعجرفتها اهانة

تلو اخرى، وهم، ييوسون كف من ضربا، كما يقول نزار قباني، وكلما تمادت امريكا في غيها واهاناتها لنا ولمقدساتنا، كلما ارتمينا اكثر تحت اقدامها اذلاء منقادين

هي الوحدة الكبرى اباحت صراعهم
وأوحت لامريكا قباح المغارب
فما بالها ترضى لها كل صالح
وتأبى لنا إلا جسام المعاطب
تعين عصابات اليهود وتدعي
ولا قول للكذاب بعد التجارب

ويقول في قصيدة اخرى ينعى على العرب وما هم فيه من الاستكانة.

الله اكبر يالقسوة ما مضى
اترى حيينا دهرنا اسقاما
من كل ذي خطل نسيغ اهانة
وتسومنا ايامنا الزاما

والعجيب ان امريكا كانت وما تزال بالرغم مما تكيله لنا من المآسي، وما نراه منها امام اعيننا من استباحتها لحرماتنا، ماتزال امريكا تخوفنا من الروس ومن الشيوعية، وتزعم ان شرا يحدق بنا من قبل روسيا . . ونحن نصدق هذا الزعم وكأنه الحقيقة .

فلنستمع الى شاعرنا الذي عرف امريكا حق المعرفة، ماذا يقول لايزنهاور رئيس امريكا الاسبق.

قل ما تشا (ايزنهور)
واذهب ذهابك في الهذر
ان اليهود وان صدد
ت، هم الضمير المستتر
ومنابع البترول فيها
انت وحدك مؤتمر

والروس ، لا ضرر بهم
ولأنت ملموس الضرر
والروس، لا خطر بهم
ابدا وانت هو الخطر

الشاعر والوحدة العربية

لم يفرح شاعر ولم يسر بقدر ما فرح وسر به شاعرنا سالم العويس لقيام الوحدة بين مصر وسوريا، بقيادة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر، وكان رحمه الله ناصريا يرى في جمال عبدالناصر ملاذ العرب وقائدهم الى التحرر والمجد، وليس للمستعمرين الا هذا القائد الفذ الذي لا تلين له عزيمة، والذي كانت الشعوب المستضعفة في كل مكان في امس الحاجة الى رجال مثله ..

صراع مرير ظاهر وأناة
بمصر وللمستعمرين قذاة
اذا كان اتيان السياسة مذهبا
جمال، له هذي السياسة ذات
يواجه ما يأتيه لو شط باسما
ولا شيء في ألوانها النزعات
اذا ما بدا بين الصراع تطور
تسنمه، والترهات فتات
يضجون مما تبصر الغيب عينه
وكم عسفوا يوم الصراع فماتوا
اذا العرب الاحرار هابوا سبيله
ابى فوه فيهم ما اسمه الفلتات
تفيض حواشي مصر مجدا وسؤددا
وما النيل الا اصله قطرات

ويواصل شاعرنا تغنيه بالوحدة العربية المتمثلة في الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا والتي احيت في نفوس العرب الأمل للوحدة الكبرى:

هي الوحدة الكبرى تراث الاكابر
وقل لي هل آمنت أم غير قادر

ولولا زعيم لا يجادل رأيه
حكمت على احلامنا بالخسائر

ولكنني مما تبينت لا ارى
سوى النجح ان النجح حظ المصابر

ومما علمنا من سلوك زعيمنا
هو الصبر حتى اليأس من كل صابر

فما ظلم استعمار قوم كظلمهم
وان وجدوا عذرا سقيما لعاذر

وهكذا يمضي الشاعر ينادي ـ بردى ـ ودمشق :

دمشق طغى منها الشعور فأسست
لاحلاف اسرائيل حز الحناجر

يكاد باسرائيل يقترب المدى
فتلتفظ انفاس الغرور الاواخر

ولا تحسبن الغرب يرحم حائرا
ضعيفا ولا يرنو عيون الدوائر

والحقيقة اننا لو تتبعنا الشاعر سالم علي العويس في ديوانه الذي يتكون من جزأين، والذي طبع بعد عشرين سنة تقريباً من وفاة الشاعر رحمه الله في عام ١٩٥٩، عن عمر يناهز ٧٢ عاما اذ ولد في عام ١٨٨٧ كما جاء ذلك في مقدمة ديوانه . . لو تتبعنا كل قصائده الوطنية والقومية لضاق بنا المقام، لان اكثر شعره يتكون من هذا النوع من الشعر، ولانه لم يترك مناسبة الا وتغنى فيها بالوحدة العربية والقومية، والاشادة بمواقف جمال عبدالناصر في محاربة الاستعمار والنضال من اجل التحرر الوطني.

الشاعر وهموم الوطن

ولم ينس شاعرنا سالم العويس وطنه والمآسي التي تحيط به من كل جانب في ذلك الوقت الحالك، ولكن يظهر ان كثيرا من شعره لم ينشر او لم يتم العثور عليه للاسف الشديد.

وقد اشار حفيد الشاعر الاستاذ عبدالعزيز العويس الذي كان سفيرا للامارات في النمسا، ان شعرا كثيرا من اشعار جده قد فقد والبحث جار للعثور عليه، ونأمل ان يوفق في ذلك حتى لا تضيع علينا هذه الثروة الثقافية كما ضاعت قصائد غيره من الشعراء في المنطقة . . والذي دل من قول الاستاذ عبدالعزيز ايضاً، ان القصائد التي بين ايدينا للشاعر اكثرها قيلت في مناسبات متأخرة، في الثلاثينات والاربعينات . . ومعنى هذا القول ان قصائد كثيرة لم نرها حتى الآن ؟.

وفي اعتقادي ان القصائد الاولى التي يعود تاريخها الى ايام شباب الشاعر في اوائل هذا القرن ـ وبالذات خلال الربع الاول منه، هي التي تحتوي كثيرا على مواضيع محلية سياسية واجتماعية ولا يعقل ابدا ان لا يكون لشاعرنا وهو بهذا الحماس الوطني صوت مدو ينبئنا بما كان يدور في تلك الفترة، خاصة وان الانكليز كانوا اصحاب الطول والحول وما كان لهذا الحول والطول يومئذ من آثار سيئة وتركات بغيضة.

ومع ذلك فاننا نجد في الديوان بعض القصائد التي تعالج شيئا من الامور المحلية، كالغوص وغزوات (قطاع الطرق) والمطالبة بحرية الرأي واسداء النصائح وما الى ذلك من الموضوعات ذات الطابع المحلي.

ففي قصيدة الغوص واللؤلؤ، يظهر لنا المرحوم سالم العويس احاسيسه الانسانية في كلمات تفيض بالعاطفة التي كان يشعر بها تجاه العاملين في الغوص يستغلونهم استغلالا بشعا وغير انساني، ويساقون الى هذا العمل المضني احيانا كثيرة بالاكراه والايذاء البدني الجائر كالضرب بالسياط وفي النهاية ليس لهذا العامل المسكين من غيّص وسيّب، سوى الاجر البخس.

وها هو شاعرنا يشاهد ما آلت اليه احوال تلك السفن التي كانت تظلم الناس

ملقاة على الشواطىء واصبحت كالخرائب والاطلال بعد ان كانت عزيزة الجانب، ودار بها الزمن وعصف بها كما عصف بقوم هود ومدين صالح . . فتفيض نفسه بكلمات تعتبر في رأيي اجمل اقواله، وذلك لمضامينها الانسانية العالية :

لمن السفين تلوح كالاطلال
بعد الزعامة والمقام العالي
تلك التي رفعت لواء رجالها
في المهمه(٢) القتال عند الآل
تلك التي بنيت لتجني لؤلؤا
الله اكبر من حصاد لآلي
رفعت لواء المسرفين وانبتت
داء السلال بكل من ذي مال
عصفت رياح السوء في اعطافهم
فلووا رؤوسا في رقاب جمال
ما قوم هود او شعيب وصالح
منهم بعيد والخراب الحالي
الجود والتقوى الكذوب تزعزت
من فتنة في مخنق قتال
لا الشعب ان دان النزال مؤيدا
شيخا ولا للحق من اطلال
والشعب ان عز النفير باهله
بات المقاتل فيه غير مبال
والشعب ان قلت مرافق يومه
دب الخراب بكل بيت عالي
وهناك تلتبس الامور وينطوي
ذاك البساط بزاجر الامثال
هيهات ايتها السفين فانما
وضح النهار ولات حين خيال
للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال

كي تدفعيهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال

والقصيدة طويلة، وليس في وسع هذا الحديث الاستشهاد بها كلها، ولكن القصيدة في الواقع تلقي ضوءا على ما كان يشعر به الشاعر من عطف على اولئك البؤساء من الغواصين الذين استغلهم بعض ارباب الغوص، ولكن هؤلاء لم يجنوا من هذا الاستغلال خيرا.

الاغارة من قبل قطاع الطرق

والذين تعود بهم الذاكرة الى نيف وثلاثين سنة مضت، يتذكرون ما كان يفعله قطاع الطرق من اغارة على المدن وضواحيها، ونهب اموال القوافل والمسافرين وخاصة بين الامارات وعمان . . وكانت الامارات بسبب تفككها ونزاعاتها القبلية، تقف حائرة لا تقدر وهي في حالتها تلك، ان تصد هذه الغارات، بل كانت بعض القبائل تبارك اذا وقعت غارة على قبيلة اخرى ليست هي في وئام معها !.

ولم يكتف الانكليز بالوقوف موقف المتفرج بالرغم من قوتهم وسيطرتهم ووجود جنود لهم في القاعدة الحربية في الشارقة التي اقاموها قبيل الحرب العالمية الثانية . . بل كانوا يشجعون الصعلكة، ويدفعون لرؤساء الصعاليك منحا مالية سنوية ! . . وقد كان لي صديق مات رحمه الله، عمل في وظيفة كبرى مع الانكليز في الخمسينات ورأيته ذات ليلة امام بيته، وكنت في زيارة له، يحادث صعلوكا وقاطع طرق مشهور، ولما سألته عن امره بعد ذلك وسبب زيارته قال لي ذلك الصديق ان هذا جاء يطالب بأن اتوسط له لكي يحصل على المنحة التي كان يحصل عليها من بيت الدولة (دار الاعتماد البريطاني) بعد ان قطعوها عنه. ! !.

ولما اقتضت مصلحة الانكليز ان يشاع الامن لكي يتمكن موظفو شركات النفط البريطانية من التجوال في الواحات والبراري للمسح الجيولوجي، وللتبرير القانوني في منع رجال (ارامكو) شركة الزيت الامريكية العربية السعودية من التوغل في ساحل عمان، ذلك التوغل الذي توسع وأدى الى نزاع البريمي المعروف . . اقام

الانكليز قوة ساحل عمان في فبراير عام ١٩٥١ يقدر عددها ب ٢٠٠ جندي ثم وصل بعد عامين الى خمسمائة جندي.

والحقيقة ان موضوع حديثنا عن الشاعر سالم العويس ليس موضوعا تاريخيا بقدر ما هو استعراض لحياة شاعر واديب من بلادنا في سلسلة احاديث من هذا النوع، ولكن ما نذكرته كمقدمة للشعر الذي قاله شاعرنا يستحث به همم حكام الامارات للوقوف في وجه قطاع الطرق، رأيت الاتيان عليها ضروريا لكي يدرك جيل الشباب ما كان يعانيه الآباء، وما كانت تحيط بهم من ظروف.

ويقول شاعرنا في هذا المعنى :

لا تهدأ الدار حتى تنفح العيس
وليس زاد العلا غش وتدليس
ولا اخ المجد الا كل مبتكر
يرى ويسمع لا يثنيه تلبيس
دبي والساحل الشرقي مضطرب
يسومه الخسف انجاس مناحيس
دبي والساحل الشرقي ان عقدوا
عهدا يذوب وتنفيه الوساويس
يرون ان يجمع الرحمن شملهم
عار عليهم كما يرضاه ابليس
ما للقرى وهي ذات الباع ضامرة
وعندها الجند والبزل العواميس(٤)
ان التخاذل اسرى في عظامهم
والكل منهم امام الحق منكوس

ثم يستمر ضاربا الامثال، ومحثا على لم الشمل :

لا ينفع المرء غير الدرس من عمل
وان تأتي له وعظ وتدريس

فصاحب الحق ينقاد الزمان له
وصاحب البغي مردود ومنكوس
ان لم تر الله يوما لم شملكمو
فالليل يسري وتزداد الحناديس(٥)

وهناك شعراء آخرون تناولوا هذه الحوادث، منهم الشيخ صقر القاسمي ومبارك العقيلي . . ونرجو ان يكون لنا حديث آخر حول هذا الموضوع.

هوامش :

١ ــ جنف : حاد عن الطريق : انحرف
٢ ــ يقصد جمال عبدالناصر
٣ ــ المهمه : المتاهات
٤ ــ العواميس : الرجال الاشداء
٥ ــ الحناديس : شدة الظلام.

● نشرت في جريدة الخليج/ الشارقة/ الخميس ٩ يناير ١٩٨٦.

عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس

رأفت السويركي

لا اكتمكم القول ان العويس أصابني برجفة، حين أمسكت ديوانه أول مرة لأتصفحه تصفح العابرين تذكرت مقولة «العشق من أول نظرة». اني لم اسقط صريع شعر هذا الرجل، ولكن اصابتني الدهشة اذ كيف تخرج هذه الكلمات بدفئها القومي، وكيف تحتفظ بسخونتها نفسها رغم ان قائلها ودع الحياة منذ قرابة العقود الثلاثة، وكم ذا بعالمنا العربي من المضحكات المبكيات التي وقعت خلال عقد أو اكثر فما بالكم بثلاثة عقود فصلت بين هذا الرجل وذكرى مئويته التي نحتفل ببدايتها الليلة.

سالم بن علي العويس أصابني برجفة وجعلني أتوقف، بل أتوارى من نفسي لانه في لحظات ضعف كثيرة كلما ركض العمر باتجاه العد التنازلي يبدأ الانسان ازاحة بعض الثوابت التي قام عليها بناؤه الفكري والنفساني جانبا؛ لا يسقطها من حساباته ولكن لا يعطيها الاولويات من أجل الاولاد ولقمة الخبز ومتطلبات الحياة . . قد تكون سيكولوجية البرجوازي الصغير هي التي تبرر ذلك ولكن العصر الطاحن الذي نعيش فيه اكبر بضغوطه علينا أحياناً، فلا يملك الانسان الا أن يتوقف أو يبتعد عن مسار العاصفة على أساس منهج اضعف الايمان.

سالم بن علي العويس أصابني برجفة منذ النظرة الاولى لديوانه «نداء الخليج» حين تسلمت ما اطلق عليه الاعمال الكاملة، وجعلني أقول ما اضعفك أيها الانسان حين يجرفك السيل الى غير ماتهوى فتعلن للناس انك تعبت، وان المسلمات التي ربيت عليها لم تعد تطعم خبزاً، ولم تكن الا حلماً وستبقى كذلك فقط .

كان ديوان سالم بن علي العويس رغم ما تحسب عليه من ملاحظات، ورغم ظروفه التاريخية، كان رحلة اغتسال ذاتية لي شخصياً، بما وضعني فيه من مناخ كم صار الشوق اليه عارماً في زماننا هذا الذي اصبحت فيه الهوية العربية تهمة.

سالم بن علي العويس كان يضرب بعنف في رأسي ماتراكم من جبال النسيان أو

الاهمال، اعادني فجأة الى ذكريات ذلك الزمان العربي الرائع الذي تسلل في عروقنا دافقاً بأغنيات الوحدة العربية من المحيط الى الخليج. مصر التقدم، شآم الوحدة، عراق العروبة، الجزيرة بيت العرب، فلسطين الجرح، وليبيا الثورة وتونس الخضراء والمغرب الهادر وجزائر الشهداء والسودان عمق العروبة واليمن الناهض .:. ما ابعد تلك الايام عنا وما أحوجنا اليها الآن بل ما أحوجنا حتى الى لحظة حلم.

قلبت الاوراق وكأني أقلب سنوات عمري، ما عشتها بوعي عربي فطري، وما تعمقت فيها بوعي ملتزم دارس، وفي كل ورقة كنت اجد قطعة مني قد نسيتها، ولا أشك ان كثيرين من جيلنا هذا قد بددها أيضا ادراج الرياح . . أما من تبعنا من العمر فما اضيعه، لانه ولد في عصر صارت فيه الدعوة العربية تهمة، وعبئا محملا بخسائر فادحة، بل ومسؤولا عما وصلنا اليه الآن.

في صفحات الديوان وجدت الخليج والجزيرة، وجدت الشام والرافدين، فلسطين، النيل وواديه، المغرب العربي الكبير، قضايا تعتمل، وتفور، طموحات تتوهج، احلام تتراقص، قوة شكيمة تبرز انيابها، كرامة مواطن عربي يعيش عصره بثقة واطمئنان وأمل بأن الحلم حقيقة.

هكذا هو سالم بن علي العويس الذي وصلنا عبر دفتي «نداء الخليج» وهل يملك أي قارىء، أو دارس، أو باحث الا أن يدور في هذا الفلك، وهل يستطيع أن يخرج من مدار الوحدة والهم القومي وفلسطين ومصر وعبدالناصر لا اعتقد ذلك، لان سالم بن علي العويس كان بصراحة شديدة «سفير العرب المقيم في امارات الخليج العربية، واحساس الامارات المشارك في كل همّ عربي».

سألت نفسي . . كيف لهذا الرجل الذي تقادم عمره لا يترهل كما ترهلنا ولا يتوقف عن احتضان الطموح الهائل بشعبه كما تقاعسنا ولا ييأس كما ضرب اليأس نفوسنا من انفسنا، ولا يتقاعس عن مشايعة خروج امته في كل مكان على الخريطة كما تبلدنا، وكيف لا يمط شفتيه عجباً كما نفغر افواهنا كلما حلت كارثة قومية وحتى كلما حدث انجاز فردي عربي.

انه عيب الزمان وعيبنا، كما كان توهج عصره وتألقه كمواطن عربي وشاعر له طعم ذلك الحلم الضائع منا الآن.

فكرت ماذا أقول عن شعره، ووجدت نفسي ابحر في محيط واسع من القضايا، لكني تعلقت بشاطىء جزيرة، قد تبدو صغيرة وسط ذلك المحيط، لكنها في تصوري هي المركز والقلب، لانها تختزل كل ما يريد ان يقوله وما يريد ان يحققه، وما يحلم

به شعبه ــ اخترت ظاهرة «عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس».

قد يبدو المحور ضئيلا بالحديث عن ذلك الرجل العربي الفذ في شعر العويس، لكنه في حقيقة الامر كان النقطة المركزية. عبدالناصر كان متخللا معظم ثنايا القصيدة العويسية، كان حاضراً في النسيج بوضوح، بل في أحيان كثيرة كنت ألمس أنه «لحظة التنوير» في هذه القصيدة اذا كان الاصلاح سليماً باستعارة تقنية القصة للتعامل مع قصيدة العويس.

سالم بن علي العويس كان عاشقاً من عشاق عبدالناصر، والشاعر تفضحه نصوصه كما الصبّ تفضحه عيونه، هذا العشق الخاص الذي هزني جعلني اقبض على الفكرة واتحرك قدر امكاناتي راصداً مفتشاً عن الاسباب والدوافع والتصورات التي طرحت هذا العشق الصوفي.

ملاحظات منهجية

وهنا يهمني الاشارة إلى أن بعض الاشكالات قد واجهتني حين التعامل مع الموضوع أولها أن شعر الشاعر واعماله مازالت أرضاً بكراً لم تمسسها يد من قبل، وبالتالي لم يتراكم من التحليل النقدي والفني الكثير حول هذا التراث، وفضلا عن ذلك فإن هناك نقصاً لا حدود له في المادة الأخرى المرافقة التي تلقي الضوء على حياة الشاعر وشخصيته وعلاقاته وروافد ثقافته ومنظومة حياته التي تساعد أي دارس على تقديم تحليل جيد وفق المنهج الذي يتبعه في التعامل مع موضوعه، وفضلا عن ذلك فإن ما ضمه ديوان «نداء الخليج» الذي وصف بأنه الأعمال الكاملة اثار مشكلات اكثر مما حلها، لانه ليس غير جهد تجميعي غير مدروس وغير محقق، بل قد يلقي بعض التساؤلات حول نصوص معينة ضمن الديوان وردت ناقصة، أو غابت ولم تترك سوى بعض الاشارات من جامع الديوان.

وعند هذه النقطة نشير الى الاخطاء المطبعية وما شابهها في البنية كما أن الديوان لم يرتب بالطرق المعروفة في تقديم مثل هذه الأعمال، ولعل أهمها التسلسل التاريخي لكي يثبت تطورية الشاعر، ومدى انفعاليته ومواكبته بالحدث القومي الذي فرض نفسه على القصائد المجموعة. فإذا كان شعر العويس يمثل ديوان تلك المرحلة فما أصعب التعامل معه حين الدراسة حول نقاط معينة على قارىء يخوض في هذه الأرض لأول مرة.

ونقطة اخرى جديرة بالاشارة وهي : أين القصائد الوجدانية التي كتبها سالم بن علي العويس باللغة الفصحى . . ؟ لا وجود لها، وهذا يعني ظلماً للشاعر اذا تعرضت أعماله للدرس اكاديمياً ولم يكن بين يدي الدارس النصوص الاخرى التي تحكم على مدى شاعريته الاصيلة بعيداً عن وظيفـته الاجتماعية.

وكما ظلمت عملية الجمع شعر العويس ظلمته ايضاً العناوين الموضوعة فوق القصائد بعموميتها وتكرارها وعدم ذكر تواريخها عدا بعض القصائد التي ارفقت بتواريخ واشارات سريعة عن اسباب الكتابة. وفي تصوري أن جهد الجمع في إطاره الحالي يستحق الشكر، لانه حفظ تراثاً مهما لشعر الامارات من التبديد والى هنا يتوقف دوره، ويأتي دور لجنة الاحتفال بمئوية العويس وابناء آخرين من الامارات الذين يتولون عبء استكمال ما بُدىء واخضاعه للتحقيق العلمي والضبط الموضوعي والتحليل والتفتيش عن الروافد التي صاغت سالم بن علي العويس، لانها تكون كتابة ضرورية للتاريخ الثقافي والادبي لهذه المنطقة، وربما تكون هذه اللجنة ايضا : الجامعة، مركز الوثائق، اتحاد الكتاب، طلاب الدراسات العليا . . الخ.

وإذا كانت تلك الملاحظات المنهجية قد استدرجتني في البداية للحديث عنها، فذلك لأهمية أن يأخذ سالم بن علي العويس حقه الصحيح في هذا الزمن كصوت نقي يعد دليلا على أصالة العربي في هذه المنطقة، وكذلك لكي يوضع الشاعر في موقعه الحقيقي، وفق ظروف عصره وعطاءاته وانتماءاته.

إن من الملاحظات المهمة التي ينبغي ذكرها أيضا هو ان اختيار اللجنة لموضوع عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس كمفتتح لهذه الحلقة قد وضعني في مأزق آخر، لكني سوف اتغلب عليه بالاشارة العابرة اليه على سبيل التبرئة وحرصاً على ما سيقوله زملائي المشاركون في هذه المناسبة. هذا المأزق هو ضرورة القفز المباغت لمحوري الخاص من دون الحديث عن الارضية الاساسية لما اخترته للحديث عنه. وهنا اتساءل كيف اتحدث عن عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس من دون الحديث عن الهم القومي في شعره، وتكوينه الثقافي والسياسي والاجتماعي وحتى تجربته الكتابية، لكي أصل الى قضيتي المعنية.

قد يكون الحديث عن تلك القضية مبتسراً ومقطوعاً من جذوره أشبه بالتحليق في الفراغ، ولكن العزاء يكمن فيما قلت : ان سالم بن علي العويس عاشق من عشاق عبدالناصر، الذي رأى فيه تجسيداً لكل طموحات الامة وأداة تقودها لمبتغاها التاريخي المعروف والكامن في قلوبنا جميعاً.

لذلك لن أحرم زملائي من متعة اكتشاف هذا العالم ورصده بحكم تصدري للحديث، وأرجو أن يعذروني اذا اقتضت الضرورة القصوى المساس بعالم المحاور التي سيتحدثون حولها، فكما يقولون للضرورة احكام.

لكني وكما اعتبرت البداية مأزقاً، اعتبرها أيضا لفتة طيبة تجاه ذلك الزمان الحلم، وذلك الزعيم الحاضر الغائب، وذلك الشاعر القومي الاصيل، لان العويس كما قلت جسد أحلام الامة في عبدالناصر وجعله المحور والمنقذ والمخلص.

لماذا عبدالناصر والعويس ؟

وفي تصوري أن اختيار قضية «عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس» وما يعنيه من النظر الى ثورة يوليو «ليس ولعاً بالماضي، ولا نوعاً من التسلية التاريخية»(١) بل هي تلمس حقيقي لامكانية الانهاض المفقودة الآن من عمر الامة، اذ أن التاريخ كما يقولون هو «الماضي منظوراً اليه من وجهة نظر الحاضر . . . ومغزى التاريخ ودلالته وليست أحداثه ووقائعه تتغير من حقبة لاخرى. وما قد يبدو هاما وجذابا للانتباه في مرحلة قد يطويه النسيان في حقبة تالية، بينما تبرز دلالات ومعان اخرى ربما تحتل المكانة نفسها من قبل، ومايبدو اكتشافا جريئاً وممارسة مقدامة في مرحلة يتحول في مرحلة تالية الى احدى حقائق الحياة، ومن المعطيات المسلم بها»(٢).

فإذا كانت مرحلة السبعينات هي التي شهدت انهيار النظام العربي القوي وانتكاسة النهضة وتكريس القطرية والانعزالية والهروبية فإن الخمسينات والستينات تعد أعوام الوحدة العربية وبلورة النظام العربي(٣). ولأي شيء كان سالم بن علي العويس يدعو ويطالب، ويتابع ويحلم، هل لغير تلك الوحدة والانهاض العربي وجمع الشمل المفكك والامة المغلوبة على أمرها ؟

كان العويس صوتاً عربياً من الخليج لا يضارع، أدرك أهمية أن يكون صوت أمته المشارك في التأكيد على الانهاض والاتحاد :

والقوم من جذم العروبة فائتد
ومتى رأوا علم المحجة ساروا

والوحدة الكبرى : مصر وسوريا
لأولي البصائر ليلهن نهار
واشهد بنا هذا السباق فإنه
لسباق مجد ما عليه غبار(٤)

لقد حققت ثورة يوليو وعبدالناصر ادراكا «بالطبيعة الاقتصادية للظاهرة الاستعمارية من ناحية، والاحساس بحتمية وجود بعد اجتماعي لثورة التحرر الوطني . . . واعلاء المطالب المشروعة لجماهير الشعب»(٥)، وسالم بن علي العويس لابد وأن يدرك هذه المعطيات، وأن تتبدى في شعره:

للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال
كي تدفعيهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال
أين الشريعة من صنيعك فاذكري
يوميك عند زعيمك المختال
وسليه هل في فيه بعد بقية
من أنيب الايام والامثال(٦)

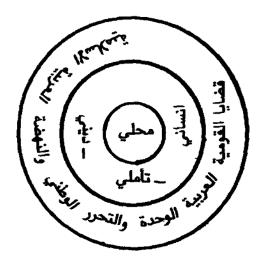
لقد كان عبدالناصر اول حاكم مصري يؤكد بجلاء هوية مصر بأنها عربية «بحكم الموقع والتاريخ والثقافة»(٧) ، وكما قال: الوطن عندنا هو الوطن العربي(٨) محدداً بذلك «بلورة نظام اقليمي عربي يتأسس على مفهوم المصلحة العربية»(٩).

قومية الرؤية وعروبتها

لذلك فإن اهتمام سالم بن علي العويس بمصر وعبدالناصر في اطار همه القومي لايأتي من فراغ، بل يستند الى طموحه القومي النهضوي الذي يبدو في

شعره المطبوع، وهذا الطموح وتلك المشاركة في الهم القومي وصلت الى قضايا فلسطين والجزائر ولبنان والمغرب العربي والخليج والجزيرة العربية. والدارس لشعر سالم بن علي العويس يمكنه أن يدرك ثلاث دوائر تندرج في اطارها القصائد التي جمعتها دفتا ديوان نداء الخليج. القضايا المحلية تحتل أصغر الدوائر، وتليها القصائد ذات الهم الانساني وذات الطابع التأملي والديني، غير أن القصائد التي تهتم بقضايا ومشكلات الوحدة العربية والتحرر والنهوض فتمثل الجانب الاعظم من أوراق الديوان، وتتفوق للغاية اذا أدرجنا اليها القصائد التي تربط بين واقع المنطقة اسلامياً وقومياً معاً.

إن سالم بن علي العويس في تلك القصيدة يكتب باحساسه الفطري ووعيه الطبيعي بأن القضية واحدة، فالنسيج واحد الذي يجمع بين قضية الاسلام والقومية، ومعظم القصائد التي كانت ذات استهلال يصنفها في خانة القصائد الدينية أو ذات الموضوع الاسلامي تنتهي أو تقوم على اساس النهوض بالعرب في المنطقة. أي أن القضيتين من نسق واحد، ولم يكن هناك فصل تعسفي بين الاسلام والعروبة، فالهويتان هما وجهان لعملة واحدة، في أرض محددة تدين بالاسلام وتنطق بلسان عربي وتجمعها عوامل ومحددات تاريخية راسخة، ان الشاعر يجمع بين الاثنتين في قصيدته لاحساسه الفطري بعدم التناقض أو التضاد بينهما، فاذا كان يبدأ القصيدة – على سبيل المثال – بالتنكير بأمجاد المسلمين أو أوضاعهم، فإنه يختتمها أو تكون تلك المقدمة مدخلا للحديث عن الواقع العربي واهمية الوحدة القومية ولعل الرسم الايضاحي التالي يوضح المقصود بالدوائر الثلاث :



ووفق هذا التقسيم يحتل عبدالناصر كنموذج للقيادة اهمية خاصة في شعر سالم بن علي العويس . . لماذا ؟ الاجابة على ذلك السؤال تقتضي التحرك وفق مستويين :

أ ـ اسباب تتعلق بعبدالناصر كزعيم شعبي عربي.

ب ـ اسباب خاصة بالشاعر العويس في اطار تاريخه ومجتمعه ونشأته وثقافته وروافدها.

محددات زعامة عبدالناصر

فيما يتعلق بالجانب الاول فإن جمال عبدالناصر قد توفرت له شخصياً وتاريخياً عدة مناخات جعلت منه ذلك الامل التاريخي الذي يجسد ويحقق طموحات كل العرب في الوحدة والتقدم. وقد اجتهدت الادبيات السياسية والنفسانية في تحليل ظاهرة عبدالناصر وفق منظور الشخصية «الكارزمية»، ذلك الذي يعيدها الى تلك الصفات الساحرة التي تلتصق بقائد أو زعيم بحيث تحبب اليه الجماهير، وتجعله معبودها الذي تتحمس له أيما حماس(١٠) ويفسر أصحاب هذا المنظور ما تحقق لعبد الناصر من صرح قيادة كارزماتية على جبهة السياسة الخارجية «منذ اعلانه الحرب بلا هوادة ضد الاستعمار وحلف بغداد في الاعوام ١٩٥٣/١٩٥٥ . . ثم في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م كي يتم عبوره التاريخي الى الصورة الكارزماتيه الخاصة به، ففي ذلك اليوم اعلن عبدالناصر تأميم قناة السويس . . وهكذا لم يؤد تأميم القناة الى ادخال عبدالناصر في عقول غالبية الجماهير المصرية والعربية فحسب بل وادخاله في قلوبهم أيضا»(١١).

وقد عزز ذلك بالانتصار السياسي الذي تحقق والصمود التاريخي في معركة ١٩٥٦م،لقد أضاف عبدالناصر الى قيادته المستقبلية لمصر والعالم العربي اللمسات الاخيرة برسمه الخط الفاصل بين عبدالناصر الرجل القوي في الانقلاب العسكري وعبدالناصر الزعيم الاول للعالم العربي مع نهاية العام ١٩٥٦ وبداية العام ١٩٥٧(١٢).

واذا كانت بعض المصادر تفسر قوة عبدالناصر بالسيطرة الاعلامية التي حققتها اجهزة الاعلام التي وصلت الى حد القول بأن لشخصية عبدالناصر نوعاً من السيطرة الصوفية على غالبية الجماهير المصرية والعربية، ولقد أصبح معبود

الجماهير الذي لامنازع له بعد أن نجح في اسر قلوب العرب أينما كانوا، وأصبح الايمان بقيادته المعصومة مسألة محسومة لدى غالبية الجماهير العربية(١٣) .

اذا كان هذا القول بضاعة رائجة فإن من الخطأ ايضاً «أن نفسرها بالشخصية الكارزمية أو التاريخية لقيادته فقط وحسب، ذلك ان الطابع الكارزمي لقيادة ما، ليس معطاةأو امراً مسلماً به،بل إن القيادة التاريخية تتبلور من خلال الممارسة العملية، ومن خلال العمل الدؤوب لتحقيق اهداف ترتبط بها الاغلبية . . أي لا توجد أي كارزمية خارج سياق التاريخ . . وكارزمية أية قيادة ترتبط بما تدشنه فعلا من سياسات واجراءات وقوانين للعمل، ربما تقوم به قومياً ولمصلحة الاهداف القطرية»(١٤) .

وكما يقول المفكر العربي منح الصلح «وعن طريق الخطاب الناصري الحار، والشخصي والموسع، وعن طريق الرمز الناصري، والوعد الناصري والبرهان الناصري والسرد الناصري، وعن طريق المبادرات والانجازات اقليمياً وقومياً ودولياً بلغت العلاقة بين عبدالناصر والجماهير درجة من المكانة والفعالية جعلتها قوة محركة للاحداث . . كأنها بالنَفَس الشعبي الذي بها وبالالتزام المتبادل من عبدالناصر والمواطن العربي البسيط طراز خاص من العلاقة قد تصح تسميته بالديمقراطية غير المؤسسية، والدليل الذي برز عليها عدم تنصل الواحد من الآخر في الهزائم والنكسات وخيار البقاء معاً في المركب نفسه في كل الظروف وحتى آخر الدرب بما يشبه التعاقد الحر الذي هو جوهر الديمقراطية»(١٥) .

وكما يرى المفكر منح الصلح فإن فهم الدور المتميز للناصرية لايكون «الا بدراسة تفاعل شخصية عبدالناصر ومقومات القيادة فيه مع وزن مصر العربي والدولي، وامكاناتها البشرية والمادية الفخمة وموقعها المتوسط»(١٦) ، بل إن مايراه الصلح مهماً يكمن في أن عبدالناصر ظهر مرافقاً «مرحلة جديدة هي مرحلة التاريخ العربي الواحد. قبل هذه المرحلة كان هناك تاريخ مغربي وتاريخ مشرقي وتاريخ مصري، وتاريخ عراقي . . لم يكن هناك في الفترة السابقة شيء تصح تسميته التاريخ العربي الواحد بمعنى الترابط والتفاعل بين احداث الحياة العربية»(١٧) .

على أن الاهم هو ماذهب اليه بعض الكتاب من أن المفصل الاهم في علاقة عبدالناصر بالجماهير هو تسييسها، ويعد تسييس الجماهير العربية «الانجاز الاول من انجازات الرئيس عبدالناصر»(١٨). ويصل صاحب ذلك الرأي الى تحديد هذا

الدور بأنه «أصبحت لدى المواطن في اي بلد عربي فكرة ماهية الاهداف العامة لأمته، وما الاستعمار ومن الاصدقاء . . واخراج الحركة الوطنية من حدود الاقطار الى حدود الوطن العربي ككل»(١٩) .

وازاء الصفات القيادية والحضور المكثف لعبدالناصر في آذان وعيون الجماهير العربية كيف لا تتعمق صلته بهذه الجماهير التي رأت فيه أملها ومعلمها وقائدها الذي لاينازع بما حققه من انجازات وما خاضه من مرات اختبار عديدة، تجاوزها بنجاح مثل تأميم قناة السويس والوقوف ضد حلف بغداد والانتصار السياسي لحرب ١٩٥٦م والقرارات الاقتصادية الوطنية المختلفة ومؤتمر باندونج واعلان الوحدة بين مصر وسوريا.

محددات إعجاب العويس بعبدالناصر

ان سبع سنوات من عمر الثورة المصرية والتعرف الى عبدالناصر هي التي شكلت ذلك العشق الصوفي الذي فرض نفسه في شعر سالم بن علي العويس، أولا كمواطن عربي الذهن ومتوقد العزيمة وثانياً كشاعر يدرك اهمية دوره الوطني ويشعر بوطأة الواقع على كاهل الامة. ان سالم بن علي العويس لم يعش من عمر الثورة المصرية سوى سبع سنوات إذ توفاه الله في العام ١٩٥٩، ومعنى ذلك أن السنوات التي تفصل مابين قيام ثورة يوليو وموته كانت محركاً فخماً لكتاباته الشعرية. وهذه السنوات العامرة بالانجازات التاريخية لفترة جمال عبدالناصر عاشها سالم بن علي العويس بكامل وجدانه القومي. وفيها كتب معظم القصائد القومية التي احتواها «نداء الخليج» وكانت قصائد الدعوة للنهضة والتوحد.

في تلك السنوات السبع استمع العويس الى صوت جمال عبدالناصر خطيباً مفوها وزعيماً قادراً على تلمس نبض الجماهير العربية، وعاش الاحداث بوجدانه بالاستماع الى الاذاعة المصرية وتجول بعينيه في الصحف والمجلات التي كان يشترك فيها وتأتي حاملة اليه كثيراً من التفصيلات الضرورية لتشكيل وعيه الفطري، بل والسياسي أيضا، ذلك الوعي الذي فرض عليه التزاماً قومياً ووطنياً حتى قبيل ثورة يوليو وفي ذلك مرثيته في سعد زغلول، تلك التي عاتبه عليها زوار مجلسه في الحيرة «فأثار دهشتهم واستغرابهم، وعاتبوه متسائلين عن اهتمامه بهذا الرجل

البعيد عنهم في مصر وكذلك الامر حينما بدأ يكتب عن قضايا وشخصيات المغرب العربي والجزائر خاصة»(٢٠).

وهذا الوعي السياسي الفطري والساذج في آن واحد، كيف لا ينفعل ويحتضن الظاهرة القومية ممثلة في أعمال عبدالناصر، ويبدأ تكثيف آماله في ذلك الزعيم ويتحدث عنه، ويُضمِّن اسمه واعماله والآمال المعلقة عليه في قصائده بل ويسمعها الى من يستطيع أن يفهمها ولا يؤاخذه عليها «انه كان لا يصادق الا المهتمين بالثقافة والسياسة بالرغم من انه لم يكن يفرق بين غني وفقير . . وكان لايُطلع على قصائده السياسية والخاصة الا بعض المقربين من اصدقائه وخاصة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي»(٢١).

ومن غير المشكوك فيه أن تلك الجلسات التي تجمع الصفوة من كبار القوم ورجال المجتمع لم تكن تخلو من الحديث عن أوضاع الوطن العربي والمنطقة وأحوال العرب والمسلمين في أرض العروبة، ومن غير المشكوك فيه أن عبدالناصر كرمز قومي كان حاضراً في تلك الجلسات خلال الاعوام الاخيرة من عمر سالم بن علي العويس التي عاشها مشبوب القلب بالثورة التحريرية التي انطلقت شرارتها من مصر وتجاوبت لها شرارات أخرى في كافة أرجاء الوطن العربي. وكيف يغيب عنا أن الشاعر العويس قد عاش في واقع-رغم الصعوبة الاتصالية بالجسد العربي-لكنه ينبض النبض نفسه، بدليل ماكتبه في القصيدة المسماة «عوّل على خمص البطون» التي «انشدت . . أيام كان اسماعيل صدقي رئيسا لحكومة مصر في عهد الملك فاروق وما يجري من المهازل في قضية فلسطين»(٢٢)، والتي يقول فيها :

وكم دأبت مصر بكل وسيلة
مزيفة بالحق يقطنها دب
فلم تسمع الايام في الدهر صوتها
وهل تسمع الايام مايهدف الكذب
اذا أخذ اسماعيل صدقي قيادكم
فأين مصير القوم أيها العرب
لقد ضل من أصغى إلى رأي تاجر
فقل أنت في بطنين قد قسم الحب

وهذه القصيدة تثبت أن الشاعر على مستوى عالٍ من الحس القومي والعربي وأنه يدرك حجم الكوارث التي تقع على مستوى الوطن العربي، وأنه يحدد بشأنها موقفا ذاتياً لا ينفصل عن المواقف الاصيلة التي يقفها كل مواطن عربي شريف، ومن دون شك أن روافده الثقافية عبر الكتب والمجلات التي كانت تصل اليه قد ساعدته على تكوين هذا الرأي بما وضعته أمامه من معلومات تكفي لتكوين موقف مضاد لكل مايقود العرب الى اتجاه مضاد لحركة التاريخ الحقيقي لهم.

لقد كان سالم بن علي العويس عيناً مفتوحة وأذناً صاغية ووجدانا متوقدا تجاه قضايا قومه، وعبدالناصر لاحقاً. والمجلات التي وصلت اليه طيلة حياته شكلت جزءاً من وعيه السياسي، وحددت انتماءه الواضح من خلال القصائد الموجودة في ديوان «نداء الخليج» وهذه المجلات هي «الفتح وأم القرى والاصلاح والروائع والاخوان المسلمون والاخوة الاسلامية والطالب والمنتدى والمصور وآخر ساعة والرسالة لأحمد حسن الزيات»(٢٣) التي اعتبرها مرجعاً مهماً. وفضلا عن ذلك فإن المذياع لعب دوراً كبيراً في تنمية هذا الوعي السياسي وتغذيته الدائمة بالمعلومات والاخبار والشحنات القومية التي تزيد موقفه صلابة وقناعاته قوة واحاسيسه ارتباطاً بعالمه العربي الاكبر. ومايدعم هذا الرأي هو ما ساقه الصحافي عبدالله عبدالرحمن في مقابلاته مع المقربين من اهل العويس حول دور المذياع في متابعته للأحداث.

فالعويس حين سفره الى الهند في رحلة العلاج من الربو كان يطلب من أصدقائه تسجيل الاخبار وتسليمها اليه صباحاً(٢٤) ولا أعلم اذا كانت كلمة التسجيل هنا تعني استخدام آلة أم أن المقصود بها الاستماع الى الاخبار وكتابتها على الورق(٢٥) . وشرح هذه القضية ليست مهمة هذا المجال، اذ المقصود توضيح أهمية المذياع في ربط الشاعر بواقعه العربي وتوفير قدر حي من متابعة هذا الواقع، ويكفي أن الشاعر في رسالة بعث بها الى الزعيم عبدالناصر قال بالحرف : «سمعت في الراديو أن مصر وسوريا اتفقتا على الوحدة»(٢٦). وهذا يعني أن سالم بن علي العويس كان يضع أذنه باستمرار بالقرب من الراديو ويتابع نشرات الاخبار، ويستمع الى خطابات جمال عبدالناصر، فيحلق عبر صوته ومواقفه في آفاق النشوة القومية، ويعيش معه أجواء نهضة التحرر ورفض الاستعمار والتحريض ضد وجود هذا الاستعمار التقليدي عبر الخطاب والرمز والوعد والبرهان والسرد والمبادرة والانجاز(٢٧) ، وعبدالناصر نفسه كان مدركا ذلك بقوله : «صحيح

أن معظم شعبنا أمي، غير أن هذا أصبح من الناحية السياسية، يعني أقل كثيرا مما كان يعنيه قبل عشرين عاماً . . لقد غير الراديو كل شيء . . فالناس هذه الايام، حتى في ابعد القرى، يسمعون مايحدث في كل مكان، ويشكلون آراءهم الخاصة . . . اننا نعيش في عالم جديد»(٢٨) .

وبهذا الفهم القيادي المتطور أدرك جمال عبد الناصر أهمية الراديو في الوصول الى الجماهير العربية والافرو آسيوية «التي كان لها مواقع استراتيجية في خطة عبدالناصر»(٢٩) وكم كانت لهفة الجماهير العربية عارمة للاستماع الى صوته خطيباً مفوهاً يدرك ماذا تريد هذه الجماهير، ويعطيها بقدر ماتصل اليه طموحاتها عبر فهم ذكي لسيكولوجية تلك الجماهير التي جسدت فيه كقائد طموحات التوحد. ولعل سالم بن علي العويس كان بليغاً في تجسيد ذلك الطموح بقوله :

ولّى زمان المعبّده
ولّى زمان المفسده
شرف كذاب ليس فيـ
ـه العرب المتحدة
واذا زمان وهي فيـ
ـه فإنه ما أمجده
من ذا يقول ويدعي
ان العراق على حده
عندي تكاد أصوله
تذر الزمان وموعده
والحق في قلب الكذ
ـانة منه بيض الافئده (٣٠)

رسالة الهجاء المفقودة

بل ان سالم بن علي العويس كان أكثر جرأة في مخاطبة القائد بفطرة العربي

النقية حين كتب له في الرابع من رجب ١٣٧٧هـ كتاباً هذا نصه : سيدي جمال.. السلام عليك . . سمّ دولتكم أنتم وسوريا العرب المتحدين إقرع اذنك بها ثم انظر أثرها. وكما هي في نفسك هي في نفس كل العرب أنا شاعر وقد هجوتك وسميتك كذاب مصر، ثم اعتذرت اليك في أخرى، فمدحتك ومن مدحي فيك :

وكول لأرحام الطبيعة أمره
وإن لم تلد أرحامها السنوات(٣١)

ولا شك أن هذه الرسالة بقدر ما تكشف الاعجاب الهائل من سالم بن علي العويس بجمال عبدالناصر فإنها في الوقت ذاته تثير تساؤلات جمة أولها اين القصيدة التي قام فيها العويس بهجاء ناصر والتي وصفه فيها بكذاب مصر ولماذا اختفت من الديوان ولماذا لم يقم جامع الديوان بنشرها، ومتى كتبها الشاعر وما هي دوافعه لكتابتها ورغم أن الاسئلة التي تثار من مثل هذه النوعية كثيرة فإن هناك بعض النقاط الواجب تداركها لفهم القضية فهماً صحيحاً :

أولا : ان العويس في رسالته السابق الاشارة اليها قال أنا شاعر وقد هجوتك . ثم اعتذرت اليك . . فمدحتك وهذه الكلمات بشكل عام تعني انه لاخصومة سياسية بين العويس وبين ناصر.

ثانياً : أن الفعل الاول في علاقة التناقض البارزة من هذه الرسالة هو الهجو ثم يتبعه اعتذار فمدح وهذا يدل منطقياً على أن الشاعر قد أخطأ في حق الزعيم بالهجاء، وهذا الخطأ استوجب الاعتذار لأن سبب الهجاء كان غير صحيح، وبالتالي لابد من تكريم عبدالناصر بمدحه وايضاً بالشعر كما هجاه شعراً من قبل.

ثالثاً : إن الشاعر لم يخف ماقاله في عبدالناصر من قبل، بل اعترف به كتابياً ثم قام بمدحه مما يدل على أن العلاقة ناضجة وغير عفوية، إذ أنها خضعت لحالة المد والجزر، وشابها التوتر نتيجة المواقف التي ربطت بين عبدالناصر وجماهيره العربية وربما تأثرت هذه العلاقة ببعض الغيوم نتيجة قرارات معينة اتخذها عبدالناصر ولم تصل تفسيراتها الى المحيط العربي بشكل صحيح، أو تكون قد أحاطت بها ضوضاء معينة نتيجة تفسيرات سياسية كانت ترى في عبدالناصر خصماً مزعجاً.

وبغياب هذه القصيدة يمكن للباحث أن يقف من تفسيرها موقفين، الاول ان تلك القصيدة ربما يكون العويس قد هجا فيها عبدالناصر نتيجة موقفه من الاخوان المسلمين في مصر وما تعرضوا له من أفعال وصلت الى حد الاعتقال والسجن والاعدام بعد حادث اطلاق الرصاص عليه في ميدان المنشية بمحافظة الاسكندرية ولا شك أن روافد سالم بن علي العويس هنا ممثلة في بعض المجلات ذات الطابع أو التوجه الديني مثل الاخوان المسلمين والاخوة الاسلامية والاصلاح . . . الخ.قد صاغت موقفه الانتقادي وجعلته يتعاطف مع ذلك التيار في محنته خلال صراعه مع النظام آنذاك. لكن انجازات عبدالناصر والثورة المصرية على مختلف الاصعدة الاخرى جعلت العويس يتراجع عن هجائه، فيعتذر ويمدح عبدالناصر بانجازاته القومية وبالتالي تكون تلك القصيدة المجهولة تعبيراً عن سحابة صيف عابرة كدرت صفو العلاقة بين العويس وعبدالناصر. والدليل على ذلك قوله : «قد هجوتك . . . ثم اعتذرت اليك في اخرى، فمدحتك . . .» وكلمة اخرى هنا دلالة على أن فعل الهجاء حدث لمرة في قصيدة واحدة وكان الاعتذار في قصيدة واحدة اخرى، ثم المدح والاشادة به في قصائد وقصائد كثيرة مما يعني أن ما شاب الموقف قد انتهى.

أما التفسير الثاني لاسباب هذه القصيدة وقد يكون مقبولا أيضا اذا قيل إن سالم بن علي العويس حين وصف عبدالناصر بكذاب مصر لم يكن يسبه أو يشتمه أو يصفي موقفاً سياسياً معه، خاصة وأن سياق الديوان بالكامل لم يحمل الا كل الصفات الحميدة التي خلعها على عبدالناصر الذي لم يكن توجهه السياسي مناقضاً أو مختلفاً مع قناعات العويس حتى يشهر الشاعر به لذلك فإن وصفه بالكذب لم يكن سوى اشارة لعدم تصديقه فيما يقول. وتتأكد القناعة بصواب هذا التفسير ايضاً اذا قلنا ان سبب عدم التصديق الذي وصل الى حد القول بالكذاب يعود الى مشروع الوحدة العربية بين مصر وسوريا فالمعروف أن عبدالناصر رفض «المطلب الذي تقدم به بعض الساسة السوريين ابتداء من عام ١٩٥٥م لتوحيد سوريا ومصر كانت وجهة نظر عبدالناصر أنه من الافضل البدء بالتعاون الاقتصادي والثقافي والعسكري من خلال الاتفاقات الثنائية أو من خلال الجامعة العربية كخطوة تمهيدية نحو الوحدة»(٢٢) ونتيجة التهديدات التي تعرضت لها سوريا وتدهور امورها في العام ١٩٥٧ : «جدد قادة حزب البعث اقتراحهم لعبدالناصر بادماج سوريا ومصر تحت قيادته. بيد أن عبدالناصر أوضح لهم أن مثل هذه

الوحدة تحتاج الى فترة تمهيدية لا تقل عن خمس سنوات»(٣٣) . وفي ٢٢ فبراير/شباط ١٩٥٨ وقعت اتفاقية تكوين الجمهورية العربية كدولة موحدة من سوريا ومصر بعد حضور وفد عسكري سوري مكون من ٢٠ ضابطاً أكدوا الى عبدالناصر «أن سوريا على حافة الفوضى السياسية وان الحل الوحيد لانقاذها هو الوحدة مع مصر»(٣٤) وبعد اعلان الاتفاقية انتخب عبدالناصر رئيساً للدولة الجديدة.

والرسالة التي بعث بها سالم بن علي العويس الى عبدالناصر يقول فيها انه قام بهجائه ثم اعتذر فمدحه وطلب منه أن يسمي دولته الجديدة «العرب المتحدين» أرسلها اليه بعد قيام دولة الوحدة، مما يعني أن الاسباب التي كان الهجاء نتيجة لها سبقت الخطوة الوحدوية، ولعل رفض عبدالناصر التعجيل بالوحدة مع سوريا بدءاً من ١٩٥٥م وما تلاها من سنوات كان يؤلم العويس فظن ان ما يقوله عبدالناصر عن الوحدة العربية كذب بدليل أنه لا يلبي المبادرات المطروحة.

ولعل كلمة الكذب هي المفتاح الدلالي الذي نعتمد عليه، اذ أن الكلمة ذاتها تستخدم في القصيدة المعنونة باسم نابغة الكنانة كما يلي :

شرفٌ كذاب ليس في
ـــه العرب المتحده

وهذا يعني أن تحقيقَ الوحدة فقط هو معيار الصدق الذي يعتمده سالم بن على العويس للحكم على العصر العربي وربما اصاب رفض عبدالناصر السابق الاشارة اليه سالم العويس بالاحباط فحدث الهجاء الذي تراجع عنه عندما اعلنت دولة الوحدة في فبراير/شباط ١٩٥٨ لكن هذا الاجتهاد في التحليل لا يكتسب صدقه الا اذا ظهرت تلك القصيدة فإما تؤكده أو تنفيه ولا غضاضة في ذلك اذ المطلوب من أي باحث أن يوفر حلا للاشكاليات المطروحة أمامه أما مدى توفيقه أو فشله فمرهون بحجم المعلومات المتوافرة لديه وقدرته على توظيفها.

عبدالناصر في عيون العويس

وبخلاف القصيدة المجهولة كانت صورة عبدالناصر في ديوان العويس مشرقة

الى أقصى درجات الاشراق. وقد تعددت مرات ذكر اسم جمال عبدالناصر وصفته في قصائد الديوان مرات ومرات فضلا عن ذلك فإنه خلع عليه كثيراً من الصفات التي تكاد ترقى بعبد الناصر لتضعه في منزلة الملائكة والاحصاء السريع لمحددات صورة عبدالناصر في الديوان تكشف أن كلمة جمال وردت ٩ مرات، وكلمة عبدالناصر وردت ٤ مرات والزعيم وردت مرتين وكذلك صفة نبي السياسة مرتين أما صفات بارع وإحدى العجائب وسبيل الرشد ولا يمن ولا يطغى عليه الغرور وسديد النظرية والمسلك فقد وردت كل منها مرة واحدة هذا عدا مايفهم ضمنياً من سياق القصائد والابيات كما يلي :

ـ ١ ـ

ووحدتنا الكبرى أثارت وساوسا
لدى الغرب ان الغرب أظلم غالب
رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة
إذا مارمى زهر النجوم الثواقب
ولكن سنمضي في الصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد احدى العجائب
يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى
وضاق بأشباح الليالي الشواحب(٣٥)

في هذا المقطع من القصيدة التي نظمت في الوحدة بين مصر وسوريا والتحذير من الاستعمار ودعوته الى الاحلاف اكد الشاعر أنه لاخوف من كل المؤامرات التي يحيكها الغرب ضد الوحدة العربية الكبرى، وأن الصراع مع هذا الغرب سيستمر بقوة، لان سلاح العرب ورشادهم هو جمال، ذلك القائد الذي يعد احدى العجائب، ويتضح من هذه الصفات مدى انبهار الشاعر بجمال عبدالناصر الى الحد الذي صبغ فيه عليه صفة الاعجوبة، وجعله فريق الرشاد الذي يهتدى به الى تحقيق الوحدة وطموحات التقدم.

الملامح والصفات :

١ ـ جمال سبيل الرشد
٢ ـ جمال احدى العجائب

ـ ٢ ـ

حيوا جمال كثيراً أيها العرب
لم يُجْدِكُم قبله مال ولا نسب
كنتم غثاء السيل يحملكم
الى المفاوز لا ذنب ولا سبب
حتى منيتم باسرائيل وهي لكم
من كيد احلافها ركن به عطب
دعوا السياسة ان الله قلدها
من لايمن ولا يطغى به العجب
كم حاولت مصر والسودان مرتفقاً
فما استطاعت وسارت فوقها الحقب
حتى أتى ملك حاشاه من بشر
هذا وتعرفه لو تنطق السحب
فهز مصر مع السودان وانتشرت
جنداً من الشام من عاداته الغلب(٣٦)

في هذه القصيدة يتبدى عشق سالم بن علي العويس لجمال عبدالناصر في أحلى صوره، اذ أخذ فيها الشاعر يصبغ كثيراً من الصفات الى عبدالناصر، ورغم صغر حجم القصيدة التي تتشكل من سبعة ابيات الا أن الشاعر شحنها بحوالي ست صفات متنوعة وصلت الى حد اعتباره الجدوى الوحيدة التي أعطت قيمة للعرب أفضل من المال والنسب، وفي هذا تكثيف هائل لحب الشاعر تجاه عبدالناصر، اذ ان شخصيته كانت فاعلة أكثر من اكثر شيئين يعتز بهما العرب :

المال والنسب، أي مصدر قوتهما التاريخية.

وقد كان مجيء عبدالناصر للقيادة المفصل الذي اعطى للامة مناعتها ومصدر قوتها التي جعلت لها مناعة ضد استغلالها واستلابها من دون ارادتها مما جر عليها اصابتها باسرائيل.

ويطلب الشاعر من العرب بعد تحية عبدالناصر أن يسلموا اليه القيادة الكاملة «دعوا السياسة» بمعنى تفويضه الكامل، لان الله قلد حنكتها اليه وساماً وهو قائد لا يطغى على من اعطِوه الزمام، ولا يغتر ويتكبر عليهم ولا يعتبر قيادته لهم نوعاً من المن.

والدليل على قوة عبدالناصر أنه حقق الحلم التاريخي لمصر والسودان ووحدهما للاستقلال بعد أحقاب طويلة ثم نقل الشاعر عبدالناصر من كينونة البشر الى كينونة الملائكة، لأنه هز البلدين معاً، وهو منزه عن الخطأ، لأن الملائكة لا تخطىء.

الملامح والصفات :

١ ـ افضل من المال والنسب العربيين
٢ ـ مفوض بالسياسة من العناية الالهية
٣ ـ لايمن ومعطاء
٤ ـ غير طاغ أو مختال
٥ ـ ملك وصفاته غير بشرية أي لايخطىء.

ـ ٢ ـ

يباديك من اهل الخليج ركود
وما هو فيهم غفلة وجمود
منازع في أهل الخليج صحيحة
وما من مقيم في الخليج بليد
تميد بهم اعطافهم في دمائهم
ليوم تبدى للنفوس جديد

وقد كانت الاحلام قبل بعيدة
فدارت ولا في الظن ثم بعيد
ولا سد عبدالناصر الباب دونهم
وبالامس باب النازحين وصيد
وكل شقي في حدود بلاده
يكاد ولا يهتم يوم يكيد
فبدل عبدالناصر الوضع فانجلت
معالم منها قائم . . وحصيد(٣٧)

في هذه القصيدة التي يثبت الشاعر أن الخليج قلب نابض بالعروبة وامل الوحدة ليس غريباً عما يعتمل في الصدور العربية. هذا الخليج متوقد للعصر الجديد، عصر الثورة والوحدة، ذلك العصر الذي تحققت فيه الأحلام، ولا شك ان ماحدث يعود فضله الى عبدالناصر الذي فتح الباب أمام توقد الخليج ومواكبته للطموحات العربية. إن ظهور عبدالناصر كشف كثيراً من المعالم التي تعني الكثير في نفوس أهل الخليج المتشوقين للوحدة.

الملامح والصفات :

١ ـ عبدالناصر يفتح باب الامل
٢ ـ حقق ماكان نوعاً من الظنون
٣ ـ كشف المعالم واوضح الطريق.

ـ ٤ ـ

صراع مرير ظاهر وآناة
بمصر وللمستعمرين قذاة
إذا كان اتيان السياسة مذهباً
جمال له هذي السياسة ذات

يواجه ما يأتيه لو شط باسماً
ولا شيء في ألوانها النزعات
إذا مابدا بين الصراع تطور
تسنّمه والترهات فتات
يضجون مما تبصر الغيب عينه
وكم عسفوا يوم الصراع فماتوا
اذا العرب الاحرار هابوا سبيله
ابى فوه فيهم ما اسمه الفلتات
وكول لأرحام الطبيعة أمره
وان لم تلد أرحامها السنوات
تفيض حواشي مصر مجداً وسؤدداً
وما النيل الا اصله قطرات(٣٨)

يضع الشاعر سالم بن علي العويس تفاصيل جديدة في الصورة التي رسمها لجمال عبدالناصر تكمل ملامح ذلك العشق الهائل الذي يكنه للزعيم العربي، فعبدالناصر في نظر العويس قائد معجون بالسياسة، بل هي ذاته الحقيقية ومذهبه وبين تطابق الذات والمذهب تكون صورة القائد ناصعة، وفضلا عن ذلك فهو المسلح بالسياسة قادر على مواجهة ما يتربص به حتى لو كان ذلك بعيداً وبابتسامة الثقة يواجه كافة المآزق والتوجهات والنوازع المضادة من الاستعمار، بل إنه قادر على احتواء اي تطور مضاد ولا يلتفت لكل الاقاويل المضادة لان الاكاذيب التي تطلق حوله صغائر ولا تهزه وهذا القائد صاحب البصيرة الفذة تجعله يتوقع كل ردود افعالهم بل انه اسبغ عليه صفة ابصار الغيب دلالة على التوقع، وبذلك يكون قادراً على اتخاذ الرد المناسب لانحرافهم واذا العرب خافوا مغبة السير في طريقه فانه لايقبل أن يقول في حقهم مايسيء، وانه يوكل امره للزمان والعلاقة الاخوية لكي تعيد تحقيق مايدعو له، وانه بالحلم والحكمة قادر على جمعهم حوله.

الملامح والصفات :

١ ـ السياسة مذهبه
٢ ـ السياسة ذاته اي هو السياسة نفسها
٣ ـ لا يخشى مواجهة المشكلات
٤ ـ قادر على احتواء اية تطورات
٥ ـ لا يلتفت لأية اكاذيب
٦ ـ قادر على التوقع «ابصار الغيب»
٧ ـ بالحلم والحكمة يدعو اخوته للسير في طريقه.

ـ ٥ ـ

ستسمعها الآفاق غير بعيدة
ويسمعها صهيون وهو معاد
ويسمعها لبنان وهو مفرق
فتبهت من لبنان كل فؤاد
ويسمعها بعض الاعادي كأنهم
ينادون عنها من لسان منادي
ويركب ما سن القوتلي منابرا
من النور لو خطت له بمداد
ويسكن عبدالناصر المجد ساطعاً
مع الشمس في ارجاء كل بلاد
يوالي عليه الناس أطيب ذكرهم
وتحمل عنه الشمس أروع ضاد(٣٩)

الابيات السابقة من قصيدة العويس في الوحدة بين مصر وسوريا وفيها كعادته يذكر بأهمية الوحدة الشاملة التي تجمع كل الاقطار وفيها يكمل رتوش

الصورة التي يرسمها لعبدالناصر في شعره، وهو الذي يضع شكري القوتلي الوحدوي الاول الذي وقع اتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا مع عبدالناصر فوق منابر من الضوء بينما وضع عبدالناصر في منزلة ارفع وأحلى إذ أنه يسكنه المجد بجوار الشمس.

لأن ما قاد اليه عبدالناصر سيجعل الناس يتذكرونه بالخير والمجد والفخار، والعويس هنا يعيد الفضل الى عبدالناصر لانه القائد.

الملامح والصفات :

١ ـ عبدالناصر ساكن المجد
٢ ـ اسمه يملأ كل الارجاء
٣ ـ سيظل حديث الناس بانجازه التاريخي لأنه جعل شمس العروبة تسطع.

ـ ٦ ـ

هي «الوحدة الكبرى» تراث الاكابر
وقل لي هل آمنت أم غير قادر
ولولا زعيم لا يجادل رأيه
حكمت على احلامنا بالخسائر
ولكنني مما تبينت لا أرى
سوى النجح ان النجح حظ المصابر
ومما علمنا من سلوك زعيمنا
هو الصبر حتى اليأس من كل صابر(٤٠)

صفات اخرى جديدة يضيفها العويس في قصيدتة الى الصفات السابق ذكرها عن عبدالناصر فهو هنا حقق ما لا يصدق بصبر يفوق كل تصورات الصبر، ولولا هذا الزعيم الحاسم الرأي لخسرت الامة كل أحلامها.

والعويس هنا مع تحقيق الوحدة يرى في عبدالناصر القدوة والسلوك القويم وخاصية الصبر الفذ حتى يحقق مايريد، وكم هي الوحدة العربية ذلك التراث العظيم في احلامنا قد تحققت.

الملامح والصفات :

١ ــ عبدالناصر صائب الرأي ولا يجادل
٢ ــ زعيم صبور الى أن تتحقق طموحاته
٣ ــ انه مصدر الثقة بتحقق الاحلام العربية
٤ ــ انه الزعيم الذي حقق ما لا يصدق ويكفي ان البيت الاول في تساؤله : وقل لي هل آمنت أي صدقت ام غير قادر على التصديق يوضح فرحة الشاعر بما تحقق على يدي عبدالناصر .

ــ ٧ ــ

هو الدهر لا نهي عليه ولا أمر
ولا طفرة تعزى اليه ولا صبر
ترافقه الايام يبرق سرها
وليس ككل الناس من دونها ستر
أتاكم نبي في السياسة وحدها
ففي سرهم أمر وفي سرهم زجر
جمال يقول : الغرب يحفر هوة
ليسكنها حي وفي يده النشر
جمال بمغناطيسه قيد الورى
وليس له رمح وليس له حبر
ينادي له فوق العواصم هاتف
وليس له صوت فيحجبه الوقر

ينادي على الاحرار وهي مسامع
فأوراقهم من بعد مافترقوا خضر(٤١)

في هذه القصيدة يدعو الشاعر العويس كل العرب الى تبني فكرة عبدالناصر تجاه التحرر والوحدة والحياد بعيداً عن الشرق والغرب وفي سياق القصيدة يواصل استكمال صورة عبدالناصر لديه فهو النبي السياسي الذي ينبغي على العرب اتباع دعوته دون اتاحة الفرصة للغرب للايقاع بينهم والاجهاز عليهم. وجمال ذلك القائد بسحره «مغناطيسه» اجتذب البشر اليه من دون حرب رمح أو دعاية عن طريق «الترويج» وانما حضوره ينادي على العواصم للانضمام الى فكرته الوحدوية.. وكلما اطلق نداء اخضرت أوراق الاحرار التي ذبلت من ظلم الواقع وطول التفرق.

الملامح والصفات :

١ ـ انه نبي في السياسة ويمتلك قدرة الكشف عما يختبىء في دهاليزها ويعرف خبايا خصومه ومناهضيه.
٢ ـ يمتلك قدرة التحذير مما يخططه الغرب للعرب بهدف الايقاع بهم.
٣ ـ له جاذبية مغناطيسية آسرة لايقاوم تأثيرها وهي جاذبية لم تعتمد على القوة أو الدعاية.
٤ ـ قادر على ايصال صوته الى كل العواصم متجاوزاً كل الحواجز.
٥ ـ كل الاحرار يسمعون دعوته فتخضر اوراقهم وآمالهم بعد طول جفاف من التفرق .

ـ ٨ ـ

ولما تبادلنا التقاتل بيننا
هوى الذل فينا بالذي هو أنصر
وحرب علينا تحت ظل سمائنا
يطالعنا منها القنا المتكسر

يسدد عبدالناصر الحرب أمرها
وتكسر عنها في المعادين أظهر
تسامى بها أهل الجزائر عنوة
ورفعها من صمّنا الشم اخضر(٤٢)

في القصيدة التي تتحدث عن الوحدة العربية الكبرى يشير الشاعر سالم بن علي العويس الى أن الفرقة والتناحر والتفاعل جلبت الذل للعرب، لكن عبدالناصر كقائد عربي اعاد بعث الحياة في عروقنا.وجمعنا بدعوته، فحدثت الثورة الكبرى في الجزائر وارتفعت الصيحة جبارة من الجبال الشماء الخضراء العالية.

الملامح والصفات :

ـ القادر على توجيه قوة العرب الى مكانها الصحيح بدليل ماحدث في الجزائر التي هبت للتحرر والاستقلال بالثورة .

ـ ٩ ـ

وما جمدت عن شامخ العز دولة
سوى بالذي نادى جمال ويفهم
خذوا مصر عن ثوارها عمرية
ولا عمري بينكم من يغمغم(٤٣)

البيتان مأخوذان من قصيدة طويلة باسم العرب والاستعمار والشاعر يضع فيها عبدالناصر بمركز التنوير . . إذ أن الوصول الى العز الشامخ لا يتحقق الا بدعوة عبدالناصر وفهمه لحركة الواقع. أن مصر تكون ثورية بثوارها الاقوياء القادرين على القول علناً وبقوة.

الملامح والصفات :

ـ عبدالناصر يعرف طريق الشموخ العربي

ولى زمان المعبده
ولى زمان المفسده
شرف كذاب ليس فيـ
ـه العرب المتحده
ناواك في ظلم السياسـ
ـة بارع ما اكيده
ناواك نابغة الكنـ
ـانة ذو الخلال الصامده
أرداك في وضح النهار
وبجو حرب بارده(٤٤)

هذه القصيدة نشرت في الديوان بعنوان نابغة الكنانة، وهي قد كتبت ابتهاجاً بفرح الوحدة المصرية السورية، والشاعر يبشر في ابياتها بالوحدة العربية ويحذر ايزنهور والصهاينة ويتحدى ايزنهور بعبد الناصر الذي يبادر ايزنهور ببراعة تصل الى حد الدهاء ويحيط كل مخططاته «ما اكيده» وهذا الناصر هو نابغة الكنانة صاحب الاخلاق والصفات الصامدة والقوية والقادر على اصابة ايزنهور بمقتل تحت سمع وبصر العالم في ظل مناخ حرب باردة.

الملامح والصفات :

١ ـ عبدالناصر منازل ومبارز قوي سياسي
٢ ـ دهاؤه السياسي يقترب من حد المكيدة للخصوم الغربيين
٣ ـ انه نابغة مصر
٤ ـ صاحب صفات قوية وشخصية فذة
٥ ـ قادر على مواجهة خصومه بما يناسبهم من حروب عن طريق خبرته ودهائه السياسي .

ألقني في جو جده
ألثم البدر ومجده
طار من صنعا مجدا
لهفا يطلب جده
لنبي في السياسة
لا ترى الابصار حده
لجمـال وجمـال
ينظر الظالم عبده
طار هذا البدر يبغي
شعبه المصري جنده
معليا من دولة كم
تبلغ الجاهل رشده
ياله من عربي
البس الأمة حمده(٤٥)

فرحة الشاعر العويس هنا بأية بادرة وحدوية لا تعادلها فرحة اخرى مهما كان حجمها، وسعي الامام البدر للاشتراك في اتفاقية ضمان الدفاع المشترك بين مصر والسعودية حرك الدوافع في صدر العويس فأشاد بخطوة البدر الذي سعى الى جمال عبدالناصر أو نبي السياسة العربية المتسع الآفاق.

الملامح والصفات :

١ ـ عبدالناصر نبي في السياسة
٢ ـ شهرته وصفاته اكبر من اية محاولة تحديد.

جزر الصين الابيه
هي للصين الفتيه
والجزائر شمس حق
حيث صدت عربيه
وجمال العصر ماض
وسديد النظريه
جزر الصين الابيه
عند هذا الغرب نيه
والجزائر قد تمطت
في ثياب عمليه
وجمال العصر يبدو
ناجحاً في الاخويه(٤٦)

في السياق نفسه يغذي سالم بن علي العويس قصيدته باسم وصفات جمال عبدالناصر، ولا يتوقف عن وصفه في كل قصيدة بصفة أخرى، وفي هذه القصيدة التي تدل على عمق فهمه السياسي ومتابعته يتخذ مثالين للمقارنة بين ما فعله جمال عبدالناصر في المنطقة من آثار جعلت ثوار الجزائر العربية يتحركون عمليا لاسترداد أرضهم وطرد المحتل الفرنسي في الوقت نفسه مازالت الصين الشعبية تفكر وتنوي المطالبة باسترداد جزرها الوطنية «فرموزا» لان جمال يفكر ويقول وينفذ في الواقع لانه يعتمد على مشاعر الاخوية العربية وبالتالي فهو يستحق أن يسمى باسمه عصر التحرر.

الملامح والصفات :

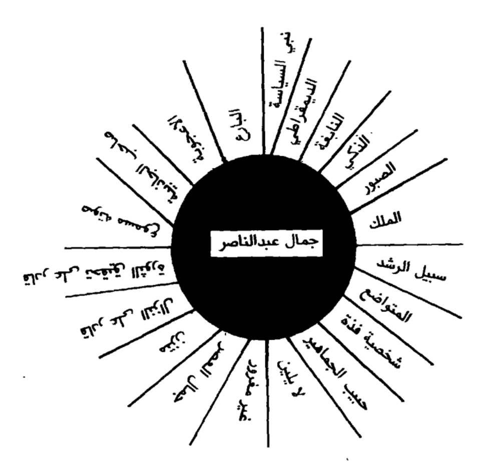
١ ـ عبدالناصر هو جمال العصر
٢ ـ صاحب نظرية سديدة وغير مختلة

٣ ـ ينفذ ما يؤمن به أو مايدعو إليه
٤ ـ قادر على استثمار قوة الاخوية في تنفيذ طموحات العرب وتوحيدهم وجمعهم على هدف واحد.

وهكذا بتحليل النماذج ورصد الصور التي حددها سالم بن علي العويس لجمال عبدالناصر تبدو الصورة المثالية للقيادة، والمتكاملة والقادرة على الفعل كما هي قادرة على العطاء. إن رصف الصفات الواردة عن عبدالناصر في قصائد سالم بن علي العويس تحددَ مفهوماً صوفياً تجاه القيادة التاريخية المتمثلة في عبدالناصر ابان العقدين الخمسيني والستيني الذي حقق فيه جمال مجده العربي والتاريخي كأحد زعماء العالم الناهض، وكرمز لطموحات ابناء المنطقة العربية من المحيط الى الخليج.

وما أسعد أي قائد في العالم وهو يرى حب الجماهير قد تجسد في أدب مرحلته التاريخية، وهذا الحب يكتسب مصداقيته اذا عرفنا أنه صادر من مواطن عربي بعيد جغرافياً عن السلطة السياسية لعبدالناصر. انه الحب الصوفي الذي يجعل العويس يصف ناصر بصفات النبوة السياسية وصاحب النظرة السديدة والقدرة على تحقيق الطموح، والمتزن في سلوكياته، والذكي سياسياً الى حد الدهاء بما يناسب منازلة الخصوم الغربيين وصاحب الشخصية الفذة والقادر على توجيه قيادة العرب لما يطمحون إليه من توحيد، بل والباعث فيهم القدرة على الثورة ومقاومة المستعمرين. ان هذا القائد لصاحب جاذبية فذة على استقطاب حب الناس جميعهم، وصاحب نفاذية في التوقع السياسي، فضلا عن مساحة واسعة في قلوب المناضلين مثله، وهذا الزعيم قوي الشكيمة يتميز ايضا بطول النفس والقدرة على الصبر لتحقيق ما يطمح اليه. لذلك فهو مبعث الثقة في نفس الامة التي اعد نفسه لخدمتها بذاته السياسية. الا يكفي انه حقق ماكان ظنا، اي الوحدة بين دولتين عربيتين، وفضلا عن ذلك فهو متواضع وغير مغرور أو مختال وديمقراطي ولا يمن بأي مجهود من اجل بلاده وامته العربية.

جمال عبدالناصر هنا أشبه بالشمس التي تشع كل الصفات الحسنة ولا يخرج منها الا كل مايحرك الدفء في جسد الامة، ويدفعها للثورة والتحرر كما في الرسم التالي :



العويس ليس مداحاً

وقد يتساءل البعض عن معنى هذه العلاقة من حب الشاعر الى جمال عبدالناصر، هل الشاعر هنا يسلك سلوك المداح «أنا شاعر وقد هجوتك وسميتك كذاب مصر، ثم اعتذرت اليك في أخرى، فمدحتك»(٤٧). وهل بسلوكه ذلك يتخذ موقف الشاعر العربي القديم الذي يمدح من أجل أن يقبض ؟ وهذا الشاعر المداح لا يتورع عن مدح ممدوحه بأوصاف ليست من سمات شخصيته في الاصل ، أم أن سلوك سالم بن علي العويس طبيعي في تلك المرحلة.

كما سبق وأوضحنا أن الشاعر رأى في جمال عبدالناصر تجسيداً خالصاً لطموحات أمته، وأنه في عصره، وبقيادته حقق أشياء كانت ظناً في نفس المواطن العربي، مما يعني أن العلاقة هي علاقة الحب الخالص والمتبادل بين شاعر يمثل ضمير أمته العربية وقيادة لاترى نفسها الا في المحيط العربي الممتد من الخليج

العربي الى المحيط الاطلسي. وبالتالي فان سالم بن علي العويس يخرج من دائرة شعراء المدح بالنسبة لجمال عبدالناصر، فما قاله في حق الزعيم العربي يصدر عن ذات الشاعر وأحاسيسه كمواطن عربي يشاهد كثيراً من احلام امته تتحقق، فالاستعمار ينقشع في معظم السماوات العربية، والثورات تتفجر في الجزائر والمغرب العربي والقرارات الوطنية تتخذ مثل تأميم شركة قناة السويس وشركة البترول «شل» يتم تمصيرها والوحدة الشاملة تقطع اولى خطواتها عبر سوريا ومصر، . . وهكذا من قرارات تحرك الجبل.

وفضلا عن ذلك فان سالم بن علي العويس رغم انه يعبر بشعره عن واقع حياته ويترجم مشاعر قومه وميولهم لم يكن كالشعراء المادحين يتعيش من عائد قصائده، ولم يكن يلقي هذه القصائد بين يدي عبدالناصر ليحظى بما يسيل له لعاب الشعراء. بل كان العويس يطلق هذا الحب في قصائده وبينه وبين عبدالناصر مدى من الكيلومترات. انه ببساطة كان صوت شعبه الذي يحب رمز العرب. كما أنه كان أداة التوصيل القومية التي تتشبع بافرازات الواقع العربي، فتنقلها الى محيطه الصغير في منطقة الخليج «الامارات» عبر اتصاله الثقافي بالمحيط العربي والانساني بشكل عام، عن طريق الروافد الثقافية المختلفة التي أخذت على مايبدو اتجاهاً محدداً في أواخر حياته، هو الاتجاه السياسي من خلال الراديو والصحف والمجلات المصرية التي وصلت اليه مؤخراً وكلها تحمل مناخات ثورة يوليو وتوجهاتها التحررية، وكذلك الاذاعة التي تنقل صوت عبدالناصر وخطاباته الجماهيرية المتدفقة بالحماس والثورية(٤٨).

نموذج القيادة النقيض

واذا كانت بضدها تتميز الاشياء، فان نموذج عبدالناصر في شعر سالم بن علي العويس كقائد يأتي نقيضاً لكل صور القيادة الاخرى التي رأى فيها العويس انها ظالمة ومهدرة لمقدرات الامة. عبدالناصر في الصورة التي رسمها العويس هو القائد التاريخي، والخبير بأحابيل السياسة، والقادر على التصرف وسط مزالقها والبارع في جمع المقدرات وشحذ الهمم للمواجهة المصيرية، والحكيم الذي لايخطيء سياسياً. وفضلا عن ذلك فهو الديمقراطي وغير المتكبر الذي جند نفسه لخدمة الامة والارتفاع بشأنها. هذه النموذجية هي الوجه الآخر للقيادة المرفوضة من سالم بن

علي العويس، والتي شهر بها في شعره، ورفضها على كافة المستويات حتى أصغر قطاعات المجتمع.

قيادة عبدالناصر وصفاته ترقى الى درجة القيادة العمرية(٤٩) في تصوره وهو الاصطلاح الذي استخدمه العويس كثيراً في قصائده ويكفي ماقاله في قصيدة كتبها في العام ١٩٤٧ عن حرية الرأي قال فيها :

جاءت الى عمر الفاروق سيدة
تقول أين من الاجداد والينا
فصاخ يسمع لا كبر ولا غضب
وراح يخطب منصوراً وممنوناً
لم تستلب منه يوم الرد منصبه
بل ظل بالحق والايمان مفتونا
ونحن نظهر أن الحق ننكره
وان مايوجب الافساد يرضينا
مستكملين شروط الذل قاطبة
على السوية هادينا وعاصينا
الا اسمعونا ولاة الأمر سادتنا
ولا علينا جناح يوم تعصونا(٥٠)

وهذه الصفات العمرية في القيادة أليس من نسيجها قوله في عبدالناصر :

دعوا السياسة ان الله قلدها
من لا يمن ولا يطغى به العجب

وقوله أيضا :

ومما علمنا من سلوك زعيمنا
هو الصبر حتى اليأس من كل صابر

وقوله :

وما جمدت عن شامخ العز دولة
سوى بالذي نادى جمال ويفهم
خذوا مصر من ثوارها عمرية
ولا عمري بينكم من يغمغم

وكل تلك الصفات تأتي نقيضاً لصفات القيادة التي يرفضها ويندد بها، وأمثلتها كثيرة في الديوان منها :

إذا اخذ اسماعيل صدقي قيادكم
فأين مصير القوم أيها العرب
لقد ضل من أصغى إلى رأي تاجر
فقل أنت في بطنين قد قسم الحب
فمن لم يمت بالسيف مات من العصا
ويستعبد الافراد الفئة الألب(٥١)

وكما قال ايضاً :

وإذا الناس غوت قادتهم
سمهم بعد الاناسي ذبابا
وإذا القادة في اهدافهم
عمريون فلا تحدو الركابا(٥٢)

وقوله كذلك :

عهدي بأرباب السفينة أنهم
كرماء يوم الصد والاقبال

واليوم تلقى من لقيت كأنهم
صفحات رق من كتاب بالي
أو أنهم بأنوفهم وعيونهم
وسكونهم أشلاء طيف خيال
أنذر بأصحاب السفينة كل من
خان السبيل لمطمع في مال
وإذا سهوت عن الليالي فادخر
أهل السفينة للزمان الخالي(٥٣)

وقوله :

ورأيت مركبة الغرور ضلالة
ومشورة الجهال هوة مندم(٥٤)
ورأيت من وهن الحكومة أن ترى
عيناك فيها العدل غير معمم

وقوله في قصيدة أخرى :

إن المليك متى ذلت رعيته
مرت عليه ملوك الأرض فاكتسحا
رجاءك المجد من كبر مغالطة
فانبذ، هديت، رداء الكبر مطرحا
لا يدرك المرء مجداً دون أمته
ومن تفانى على اصلاحهم صلحا
لا يرتقي الشعب الا بعد مأمنه
على الحقوق والا ظل منبطحا(٥٥)

وقوله في قصيدة أخرى :

ومن خدم البلاد وذاد عنها
بسورته فقد ملك العبادا
ومن ترك الرعية والرزايا
تجافت عنه وانحلت فرادى
وأصبح بعد عزته وهيناً
وأمسى عن قيادته مقادا(٥٦)

وهكذا تجد كثيراً من القصائد حاملة تصور سالم بن علي العويس للقيادة وصفاتها ودورها، وكلها ـ أي تلك الصفات ـ قد تجسدت في نموذج جمال عبدالناصر.

كيف نقرأ قصيدة العويس ؟

السؤال المهم الذي قد يلح على الخاطر، بل إنه يلح فعلا على قارىء الشعر المتمرس : كيف يمكن لنا أن نستسيغ قصيدة سالم بن علي العويس الآن بكل خطابيتها والمباشرة الواضحة فيها، بل كيف نقوّم هذه القصيدة، وكيف ننظر اليها، وأيضاً من خلال ماورد حول عبدالناصر فيها؟

التساؤل لاشك ضروري، لاننا في نهايات القرن العشرين، وبعد مرور قرابة العقود الثلاثة على صمت سالم بن علي العويس نقرأ القصيدة ونحن محملون بأسلحة نقدية متطورة ومطلعون على تراكم شعري له نكهته الحداثية الخاصة، التي وصلت الى حد تقديم النص المسمى القصيدة النثرية التي هدمت كل الموروث من قواعد القصيدة العربية المتعارف عليها.

المسألة لاشك مجهدة : أن نتخلص من تراكمات النقد الجديدة، ونعامل قصيدة العويس بمعايير عصرها، ومناخها الثقافي والاجتماعي والسياسي أيضاً لكي نكون موضوعيين في حكمنا. إننا يجب أن نقرأ تلك القصيدة بروح ذلك العصر، لاروح عصرنا الأدبي نحن، ونراعي أثناء القراءة الظروف المختلفة التي أحاطت بالشاعر، ومدى ثقافته وروافدها، وعلاقته بالمجموع الأدبي العربي.

لقد كان سالم بن علي العويس بليغاً وواعياً بفنية شعره وعصره، قابضاً على أسباب فهم كثيرة للشعر وروحه ومحركه والضغوط التي تتحكم فيه، وكل ما يؤثر في الشاعر ويطبع انتاجه من بلاغة أو تعثر. وقد جسد فهمه ذلك في عدة ابيات من قصيدته «عليم الزمان صبور» بقوله :

وإن تنتقد مني ركاكة مقولي
فقولي لفهم السامعين أسير
وما الشعر الا نفحة من محيطه
فكيف وما بالسامعين شعور
ولو أن قومي مرتقون وجدتني
مجيداً وهم لي جذوة ونشور
ولكن لي منهم جناحاً مكسراً
يرف وما أن يستطيع يطير
اذا انت حادثت البليد تبادرت
اليك معان كالبلادة بور
إذا جاء منك الشعر حياً فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وإن جاء منك الشعر ميتاً فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور(٥٧)

لقد لخص سالم بن علي العويس في تلك الابيات ملامح فهمه الأدبي، فالشعر على علاقة وثيقة مع محيطه أي المجتمع بكل مكوناته البشرية والفكرية، فلو كان المجتمع عبر افراده راقياً لرأيت الشاعر مجيداً في قوله وبنائه، لانه يستمد منهم ويعطيهم . . ان المجتمع/ الواقع في تصور العويس هو مصدر انبعاث نشر الالهام، والتحريض/ الجذوة/ على الكتابة، لكن واقع الشاعر آنذاك كان محبطاً على كافة الاصعدة، مما جعل سياقه الاجتماعي يؤثر بالسلب على انتاجه.

إن الواقع/ المجتمع في تصور العويس هو المسؤول عن الجودة أو افتقادها في ابداع الشاعر، فالقصيدة تأتي متدفقة بالحياة إذا كان محيط الشاعر البشري/ قبيلك/ حياً، بينما تأتي فاقدة الاحساس والحرارة وباردة برودة الموتى اذا كان نسيج الشاعر الاجتماعي/ قبيلك/ ميتاً وجمهوره قبور.

العويس يحدد بذلك العلاقة بين الشاعر والواقع بوضوح لا لبس فيه، وبتأكيد على جدل العطاء بين الشاعر والمجتمع. لذلك كانت قصيدة سالم بن علي العويس مناسبة لعصرها وواقعها وجمهورها. لقد كان يكتب في زمن وواقع لم يكن يشهد تعليماً نظامياً شائعاً كما هو الحال اليوم، مع سيادة الامية ومحدودية عدد المتعلمين وفي وجود خطاب التعبير الآخر الشائع متمثلا في الشعر النبطي. لذلك فإن النص المناسب لهذا الخليط لابد أن يكون مباشراً، وغير مغرق في الغموض رغم بعض الالفاظ الغريبة أو المجهولة عربياً التي ترد في قصائده. إن محدودية جمهور القراءة وانتشار جمهور الاستماع يلزم الشاعر بالمباشرة ليكون أسرع في الوصول الى مقصده، وليسهل حفظ قصائده وترديدها، وكذلك الامر بالنسبة لطابع الخطابية الواضحة.

إن الفترة التي عاش فيها الشاعر بأحداثها السياسية والاجتماعية المختلفة تفرض عليه ايضا أن يكون خطابياً، لانه يقوم مقام وسائل الاعلام، ومرحلة الانبعاث القومي والوطني التي عاشها الشاعر تطلبت منه تلك الروح الكتابية لكي يكون محرضاً وداعية للوحدة والنهوض والانتفاض ضد ظلم الواقع.

وإذا نظرنا بعمق أكثر لقلنا إن سياق القصيدة في عصر الشاعر كان يفرض عليه الخطابية والمباشرة والولع بتضمين الحكمة والعبرة في قصائده ومن هذا السياق كانت قصائد العويس تأتي ببنائها وأغراضها وقاموسها اللغوي. لم تكن قصيدة مغرمة بالتجديد الشكلي أو التجول في أرجاء اللاوعي والبحث عن فضاءات اخرى غير مطروقة من قبل كما هي القصيدة الجديدة نتاج التعدد الثقافي الشامل الذي يعيشه الشاعر الجديد الآن، وحصاد مناهج الكتابة والنقد الحديثة التي انفتحت على عالم الابداع الشعري والنقدي الغربي واستفادت بعطاءاته.

قصيدة سالم بن علي العويس كانت تركز على «المقولة» . . أي هدفها المضمون وليس الشكل أو كلاهما معاً بلا انفصال. فضلا عن أن الفهم الانتقادي الشائع آنذاك لم يكن يهتم بالشكل أو البناء قدر الاهتمام بالمضمون. لذلك كانت

صياغته لقصائده غير خارجة عما هو شائع من شكل الكتابة لأنه يكتب من أجل وظيفة اجتماعية محددة وليس من أجل متعته ومغامرته الذاتية.

قصيدة سالم بن علي العويس هي حصاد انفعاله بالواقع شبه المعزول والمحدود الذي تصل اليه المعرفة الثقافية بندرة وبعد أربعة أشهر من صدور المطبوع، هي القصيدة إبنة القراءة في مراجع الشعر القديم والقرآن والكتب الدينية والمجلات ذات الطابع الديني التي تصل إليه بالاشتراك، وتلك المصادر ربما لم تحمل اليه كثيراً من مظاهر التطور التي طالت القصيدة العربية في مصر والشام والعراق، أما الراديو فمن المستحيل أن يعيد تشكيل فهم سالم بن علي العويس للقصيدة لذلك فمن الظلم مقارنة تلك القصيدة بابداع أحمد شوقي وحافظ ابراهيم لاختلاف الواقع والسياق الثقافي المتحرك والمتجادل في مصر عن واقع وسياق الامارات الثقافي.

إن قصيدة سالم بن علي العويس هي قصيدة ذات نسق مناسب لبيئتها وقراءات الشاعر وثقافته وعمره وعصره، ووفق هذه الشروط ينبغي النظر اليها، وتقدير رؤية الشاعر لها ووظيفتها كقصيدة إذكاء الحماس وبناء وعي وحدوي وتحريض دعائي للوحدة العربية. إنها قصيدة ذات أبعاد قومية وانسانية تتطلع باستمرار الى مجتمع العدل والحرية، وإذا كانت خطابيتها أثرت على بنيتها الفنية، فإن طموح العويس لتحقيق النهضة العربية ومجيء جمال عبدالناصر كنموذج يجسد حلم الشاعر والمواطن العربي سالم بن علي العويس يغفر له الهنات التي قد تتربص لها أقلام النقاد بعد كل تلك السنوات التي انقضت منذ وفاته.

الهوامش

١ ـ علي الدين هلال، الاستقلال الوطني كاستراتيجية في ادارة العلاقات الدولية ـ ملف ثورة يوليو : تقويم نقدي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٨٩ يوليو ١٩٨٦ ص ٧٩.

٢ ـ المرجع السابق نفسه، ص ٨٠.

٣ ـ المرجع نفسه، ص ٨١.

٤ ـ سالم بن علي العويس، ديوان نداء الخليج ـ الاعمال الكاملة، دار المهد ـ عمان، الطبعة الاولى ١٩٨٧م ص ١٠٤.

٥ ـ اسماعيل صبري عبدالله، ثورة يوليو والتنمية المستقبلية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٨٩ يوليو ١٩٨٦، ص ٩٢.
٦ ـ سالم بن علي العويس، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.
٧ ـ محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، سلسلة اطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١١١.
٨ ـ المرجع السابق نفسه، ص ١١١.
٩ ـ المرجع نفسه، ص ١١١.
١٠ ـ أسعد عبدالرحمن، الناصرية والبيروقراطية والثورة في تجربة البناء الداخلي، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١، ص ٥٩.
١١ ـ المرجع السابق نفسه، ص ٥٩.
١٢ ـ المرجع نفسه ص ٥٩.
١٣ ـ المرجع نفسه ص ٦٣، ٦٤.
١٤ ـ علي الدين هلال، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨، ٨٩.
١٥ ـ منح الصلح، عبدالناصر والجماهير العربية، ملف ثورة يوليو : تقويم نقدي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٨٩، يوليو ١٩٨٦، ص ١٣١.
١٦ ـ المرجع نفسه، ص ١٣٢.
١٧ ـ المرجع نفسه، ص ١٣٢.
١٨ ـ المرجع نفسه، ص ١٣٢.
١٩ ـ المرجع نفسه، ص ١٣٢.
٢٠ ـ عبدالله عبدالرحمن، بمناسبة الاحتفال بمئوية الشاعر سالم بن علي بن ناصر العويس من ١٨٨٧ ـ ١٩٥٩م «الاتحاد الاسبوعي» يعرف بسيرة حياته ومأثوراته، صحيفة الاتحاد الصادرة في الامارات العربية المتحدة أيام ١٦، ٢٣، ٣٠ ابريل ١٩٨٧م.
٢١ ـ المرجع السابق نفسه
٢٢ ـ سالم بن علي العويس، ديوان نداء الخليج، سبق ذكره، ص ٢٣.
٢٣ ـ عبدالله عبدالرحمن، مرجع سبق ذكره.
٢٤ ـ المرجع السابق نفسه.
٢٥ ـ لعل كتابة الاخبار على الاوراق وتسليمها من اصدقائه الى الشاعر في الصباح هو الحل الارجح، لأن عبدالله عبدالرحمن في مقابلاته المنشورة بصحيفة الاتحاد لم يحدد تفاصيل هذه النقطة، فضلا عن أن اجهزة التسجيل في ذلك الوقت لم تكن رائجة أو سهلة الاستخدام كما في ايامنا هذه.
٢٦ ـ عبدالله عبدالرحمن، مرجع سابق.
٢٧ ـ منح الصلح، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.
٢٨ ـ اسعد عبدالرحمن، مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.
٢٩ ـ اسعد عبدالرحمن، المرجع السابق نفسه ص ٦٢.
٣٠ ـ سالم بن علي العويس، سبق ذكره ص ١٤٨، ١٤٩.

٣١ ـ عبدالله عبدالرحمن، مصدر سبق ذكره.
٣٢ ـ محمد السيد سليم، مرجع سابق، ص ٢٢٩، ٢٣٠.
٣٣ ـ المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٠.
٣٤ ـ المرجع نفسه، ص ٢٣٠.
٣٥ ـ سالم بن علي العويس، سبق ذكره، ص ١٧.
٣٦ ـ سالم بن علي العويس المرجع السابق، ص ١٩.
٣٧ ـ سالم بن علي العويس المرجع السابق ص ٣٠، ٣١.
٣٨ ـ سالم بن علي العويس ص ٩٥.
٣٩ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص ٩٥.
٤٠ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص ١٠٠.
٤١ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص ١٠٥، ١٠٦.
٤٢ ـ سالم بن علي العويس، المرجع نفسه ص ١١٠.
٤٣ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص ١٣٢
٤٤ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.
٤٥ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ١٦٢.
٤٦ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ١٦٣.
٤٧ ـ عبدالله عبدالرحمن مرجع سبق ذكره.
٤٨ ـ يذكر أن اهل الخليج كانوا يتحلقون حول اجهزة الراديو ويبحثون عن صوت جمال عبدالناصر، بل ويحفظون خطاباته، ويتداولون ما يقوله في مجالسهم والمقابلات الخاصة مع كبار السن من اهل المنطقة تكشف حجم الحب الدافق الذي يحمله هؤلاء الى عبدالناصر باعتباره قال ارفع رأسك ياأخي فقد مضى عهد الاستعباد.
٤٩ ـ المقصود بها عمر بن الخطاب أعدل من تولوا قيادة المسلمين والعرب.
٥٠ ـ سالم بن علي العويس مرجع سبق ذكره ص ٧٠، ٧١.
٥١ ـ سالم بن علي العويس مرجع سبق ذكره ص ٢٣، ٢٥.
٥٢ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ٢٦، ٢٧.
٥٣ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ٥١، ٥٢
٥٤ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ٢٥٢.
٥٥ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ٢٠٠ والقصيدة قيلت بشأن المؤتمر المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ .

٥٦ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه ص : ٢٤٦.
٥٧ ـ سالم بن علي العويس المرجع نفسه، ص : ١١٥، ١١٦.

المراجع :

أ ـ كتب :

ـ العويس، سالم بن علي، نداء الخليج، عمان : دار المهد ١٩٨٧.

ـ سليم، محمد السيد، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد والسياسة الخارجية ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م.

ـ عبدالرحمن، أسعد، الناصرية : البيروقراطية-والثورة في تجربة البناء الداخلي ط ٢ بيروت مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨١م.

ب ـ دوريات :

ـ هلال. علي الدين، الاستقلال الوطني كاستراتيجية في ادارة العلاقات الدولية، ملف ثورة يوليو، تقويم نقدي. المستقبل العربي (بيروت) يوليو/تموز ١٩٨٦.

ـ عبدالله، اسماعيل صبري «ثورة يوليو والتنمية المستقبلية» المستقبل العربي بيروت يوليو/تموز ١٩٨٦.

ـ الصلح، منح «عبدالناصر والجماهير العربية» المستقبل العربي (بيروت) يوليو/ تموز ١٩٨٦م.

ـ عبدالرحمن، عبدالله بمناسبة الاحتفال بمئوية الشاعر سالم بن علي بن ناصر العويس من ١٨٨٧ ـ ١٩٥٩م. الاتحاد الاسبوعي يعرف بسيرة حياته ومأثوراته أبوظبي، أيام ١٦، ٢٣، ٣٠ ابريل ١٩٨٧م.

●من الدراسات التي قدمت خلال الاسبوع الثقافي الذي أقامــه اتحاد كتاب وأدباء الامارات احتفاء بمئوية الشاعر.

البعد القومي
في شعر : سالم بن علي العويس

عبدالمنعم عواد يوسف

في رأيي أننا نبعد كثيراً إن اعتقدنا أن البعد القومي في شعر سالم بن علي العويس يرتكز على نظرية فلسفية متكاملة، ومع أنني أرى ذلك، أؤكد في الوقت ذاته أن الشاعر كان يصدر في شعره القومي عن رؤية سياسية عميقة يغذيها حس صادق بالانتماء الى هذه الارض ذات الجذور التاريخية والعقائدية الواحدة، والتي تتعرض في حاضرها الى المخاطر نفسها، وتحكمها في تطلعها الى المستقبل التصورات والنزعات عينها.

والحقيقة أنني مع طول معايشتي للشعر في هذه المنطقة لم أجد شاعراً كان الهم القومي شاغله الاساسي وهاجسه الذي لايطاوله هاجس كما وجدت ذلك عند شاعرنا الذي نحتفل اليوم بمرور مئة عام على مولده.

وإن من يتصفح ديوانه الذي بين أيدينا الآن والموسوم بأنه أعماله الكاملة يندر أن يعثر على قصيدة تخلو من هذا الهم القومي بمحاوره الاساسية وحتى القصائد التي تبدو بعيدة عن أحد هذه المحاور تجد فيها لمحة تشير من قريب أو بعيد الى هذا البعد فلا غرو أن يضم الديوان ما يقرب من خمسين قصيدة من بين المئة وخمس قصائد التي يحتويها تدور مباشرة حول محور أساسي من محاور هذا البعد القومي في شعر سالم بن علي العويس.

وقبل أن نقوم بسياحتنا داخل عالم هذا الشاعر متلمسين ملامح هذا البعد القومي في شعره أحب أن أحدد محاور هذا البعد الأساسية والتي كانت سائدة في الفترة التي عاشها من حياته متأثرا بهذا التيار القومي العارم الذي ساد حياتنا العربية في حقبة زاهرة من تاريخنا الحديث، وصل المد القومي فيها الى ذروة صعوده، مقدما الى الجماهير العربية من المحيط الى الخليج ارهاصات مشرقة بأندى ما كانت تطمح اليه من آمال، هذا الحلم الكبير الذي عانق حياتنا جميعا

مبشراً بقيام الدولة الامل . . بلمّ الشتات العربي تحت مظلة الوحدة الحلم التي تحقق لنا العزة التي كانت، وتعيد لنا الكرامة التي امتهنت، وترجع الارض التي اغتصبت، عايش سالم بن علي العويس أزهى سنوات هذه الفترة، والتي تبدأ بقيام ثورة يوليو في العام الثاني والخمسين، وشاهد كل الانجازات التي تحققت، من تأميم القناة، الى انتصار السويس، الى قيام الوحدة بين مصر وسورية، وزوال شمس الامبراطورية الاستعمارية، وتهاوي أعمدة الاستعمار القديم، والتصدي للاستعمار الجديد حين برز بأحلافه وطموحاته للحلول محل الاستعمار القديم، وأحس شاعرنا بحرارة المشاعر القومية التي عانقتنا جميعاً . . أقول : عايش العويس ــ رحمه الله ــ بداية الحلم، وذاق الكثير من بواكير ثماره، ولكن القدر كان رحيماً به، فمات قبل أن يتداعى الحلم الجميل، وتتهاوى ركائزه بدءاً بالانفصال وضياع الوحدة الامل، وانتهاء بالنكسة، وما أصيبت به جماهيرنا العربية من الماء الى الماء من مرارة وإحباط وخذلان.

ونستطيع أن نلخص محاور هذا البعد القومي الذي انطلق منه شاعرنا الى آفاق إبداعه فيما يلي :

القضية الفلسطينية التي تعتبر المنطلق الاساسي لكل هذه المحاور، والامل في استرداد الارض المغتصبة وعودة الحقوق المشروعة الى أصحابها، والنضال من أجل استرجاع هذه الحقوق، وحفز الهمم العربية التي استنامت لهذا الواقع الذليل الى الصحوة والتصدي للغاصبين ومن يقف وراءهم من سدنة الاستعمار الجديد، وأذنابه في كل مكان.

ثورة يوليو الامل والحلم بانجازاتها الرائعة وتجمع الجماهير العربية حول مفجرها وقائدها الزعيم الخالد جمال عبدالناصر، وما بذره في نفوس العرب من بذور العزة والكرامة والقدرة على تحقيق الطموحات.

ثورة الجزائر العربية، ثورة المليون شهيد، ووقوفها الصامد والباسل في مواجهة الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الذي حاول طمس هويتها العربية وفرنستها، ولكنها وبفضل المؤازرة العربية من مصر وشقيقاتها استطاعت الصمود وانتزاع النصر الكبير.

التأكيد على عروبة الخليج، وربط دوله بشقيقاتها العربيات.

الوحدة بين مصر وسورية، وما أحيته في نفوس العرب من آمال كبار في ظل وحدة شاملة تضم الشتات العربي في دولة كبيرة قادرة على التصدي للاعداء واسترداد الحقوق العربية الكاملة.

الصحوة العربية في كل بقاع الوطن العربي الكبير والتي هي وليد شرعي لحلم عربي تحقق في شكل مثلث أحد اضلاعه ثورة يوليو العربية بانجازاتها وثورة الجزائر بانتصاراتها، ودولة الوحدة بارهاصاتها، هذه الصحوة التي كان من أهم ثمارها وعي كامل بما يدبر لامتنا العربية من فخاخ استعمارية جديدة في شكل أحلاف عسكرية ومعاهدات مشروطة تصدت لها الجماهير العربية وأسقطتها وعلى رأسها حلف بغداد المشبوه.

هذه هي وبدون ترتيب أهم محاور هذا البعد القومي في شعر سالم العويس، ومن الطبيعي أن يتأثر شاعر في مثل وعيه بهذه المحاور المصيرية في حياة أمتنا العربية، وأن تتردد أصداؤها مدوية في شعره بكل هذه القوة، وكل هذا الوضوح في الرؤية والتناول.

والآن نبدأ باستعراض بعض أصداء المحور الأول وأعني به القضية الفلسطينية في شعر سالم العويس :
لنستمع اليه يقول في قصيدته : «أطماع الصهيونية» :

ضلّ اليهود عن الصراط وأدبروا
إن اليهود إلى الخيانة أقرب
قل لليهود دخلتمو في مأزق
لن تربحوه، وما تسامح يعرب
حلفاؤكم حلفاؤهم من قبلكم
ولهم إلى رد الصداقة منكب
وتكفكف الواقي لكم آيزنهاور
مما على طغيانكم يترتب
ضاق الخناق وليس فيه شعيرة
تلقى النعيم ولا طبيب يثقب

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن المأزق الذي وضع اليهود أنفسهم فيه

حين تصدوا لمعاداة العرب، وكيف أن الخناق قد ضاق عليهم بحيث أصبحوا في موقف يستعصي على العلاج، وحتى حماتهم كأيزنهاور لن يستطيع أن ينقذهم مما ورطوا أنفسهم فيه.

ويستطرد شاعرنا العويس في هذه القصيدة مشيرا إلى هيئة الأمم، وانحرافها عن ميثاقها حين عملت على إقامة إسرائيل، وتشريد أهل البلاد الأصليين :

كم هيئة الأمم التي هي سركم
تلوي وعن ميثاقها تتنكب
قد شرّدت أهل البلاد وتوّجت
من قد نفاهم غاصب أو كاذب
أغضت على تلك القذاة وهذه
تلك القذاة لهدمها تتوثب
ميثاقها عجب العجاب وقومها
في بغضه الميثاق قوم أعجب
كتبوا لها ما يكرهون لغيرهم
فتخبطوا وتنكبوا وتذبذبوا

يشير الشاعر هنا إلى إغضاء هيئة الأمم عما تفعله إسرائيل، وكيف تمنحها ما لا تمنحه لغيرها، وهذا ما يتناقض مع ميثاقها، وإذن فالأمر كله تخبط وتذبذب وتنكب عن الطريق الصحيح.

وإذا كان هذا الوعد المشؤوم الذي رمانا به بلفور هو الذي حوّل الحلم الصهيوني إلى حقيقة، وهو الركيزة الاولى في هذا البناء الاستعماري الذي أدى الى ضياع أرضنا واغتصابها، فلا غرو أن يراه شاعرنا العويس أقبح نبأ سمع، وأنه طغيان ما بعده طغيان . . يقول في قصيدة له بعنوان : «لبنان والوحدة العربية» :

يا وعد بلفور ما لله من قدر
لا يجتليه وراء الغيب إنسان

رموك أقبح ما في السمع من نبأ
ولا تخطاك فوق الارض طغيان
إذ كنت كالسيف للغاوين توقظهم
ولليهود أتى معناك نيران
والموت جاور دور اللاجئين وكم
وافاه طفل ومسغوب وعريان
والموت تطرب أيام الجهاد له
وكم ثوت فيه قحطان وعدنان
فلا اعتراف ولا سلم وإن سقطت
بعد النشوب ليوم الزحف تيجان

وعد بلفور إذن في نظر الشاعر أقبح نبأ سمعه كما يراه طغيانا يفوق كل طغيان، واذا كان هذا الوعد قد أيقظ أعين العرب ونبههم الى ما يدبر لهم، فقد أشعل الحماس في نفوس اليهود، فأعملوا القتل في أهل فلسطين، ولم يستثنوا من ذلك طفلا ولا جائعا ولا عريان، والشاعر يذكر العرب بضرورة الجهاد، فهو أمر محبب الى نفوسهم فلا بد منه لاسترداد الحقوق، وإذن فلا بد من رفض الاعتراف باسرائيل، ورفض السلام معها حتى ولو سقطت العروش في سبيل هذا الجهاد المقدس.

فلنقارن بين هذا الموقف الشجاع والمشرف للشاعر، وبين المواقف التي أدت الى معاهدات السلام والتطبيع، ولنر الى أي حد كان الشاعر واعيا بمدى الاخطار الناجمة عن الصلح مع اسرائيل، ولنردد معه مرة أخرى :

فلا اعتراف ولا سلم وإن سقطت
بعد النشوب ليوم الحرب تيجان
من ذاك أصلب من جزائرنا
إن العروبة عود يأنف اللينا

ويصل الشاعر بعد هذه المحاور الى المحور الذي نتناوله في هذا الجزء من الدراسة فيقول :

والغرب جاء باسرائيل ميتة
أو أغبياء أسارى كي يميتونا

وهنا تثور في عروقه دماء الغضب لما يراه من تقاعس العرب إزاء هذه القضية فيرتفع صوته بالتقريع والتأنيب ليستثير في النفوس أحاسيس العزة القومية، فيتحركوا ليفعلوا شيئاً من أجل فلسطين، فيقول :

ماذا فعلتم رجال العرب نحوهم
أيقظتموها أحاسيسا ملايينا
كنتم قليلا ظلام الليل يستركم
واليوم أنتم بنور الشمس بادينا
ماذا فعلتم وأهل الشرق قد يئسوا
منكم جميعاً وملوا ما تقولونا

وفي قصيدته الرائعة «الحرب الصليبية الجديدة» يبرز المحور الفلسطيني من خلال محاور أخرى يشير فيها الشاعر إلى ماضينا المجيد فيقول :

يا من غزانا أتنجو من أراضينا
فإن نجوت فما تدري بماضينا
كنا على الروم قمنا يوم ثورتنا
وما علمنا لكم إذ ذاك ملعونا
حتى استتب الى أعتاب أنقرة
عن المدينة إخوان موالينا
هذا العراق يرى ما لاتراه له
وقوم لبنان والاردن تشجينا

وفي هذه القصيدة يشير إلى تضحيات الثورة الجزائرية، وصلابة عودها ـ كقوة عربية ـ في مواجهة الاستعمار الفرنسي فيقول :

ولا الجزائر في سلم وإن قتلت
في حربها بشراً خمسين مليونا

ومن القصائد الجيدة التي تتناول المحور الفلسطيني أيضاً في شعر سالم العويس، قصيدة بعنوان «الاستعمار الجديد» يصور فيها شاعرنا الاستعمار الجديد الذي بدأت أمريكا تمارسه بعد الحرب العالمية الثانية على دول الشرق الاوسط بصورة جديدة تغاير الصورة التي مارست بها الدول الاستعمارية دورها في الماضي في استغلال هذه الدول التي خضعت لسيطرتها :

إن «الولايات» في جدٍّ وفي لهف
تهوى على الشرق والسكان ما كانوا
تلكم سياسة أمريكا وساستها
أن يتبع الحرب إذلال وبهتان
والظن يجزم أن الظلم مرتكز
بين اليهود وأن الظلم خسران
لا بد من نكبة للعرب توقظهم
حتى اليهود لها من هولها لانوا
إن المهيضة في ميثاقها أمم
ما قدروها وهم للسلم أركان
قد شوهته فرنسا واليهود ولم
يردعهما بعد طول القهر إنسان
متى تناثر هذا العقد وانفرطت
فما فلسطين للأمجاد أوطان

ما في فلسطين إن لم تحمها دول
إلا المقطم يحميها وثهلان

إن القصيدة تصور اللعبة الاستعمارية الجديدة والتي تهدف من ورائها أمريكا إلى استذلال الشعوب، ولما كان اليهود هم صنائع أمريكا، وهم في نفس الوقت أداتها لاذلال العرب، فإن الشاعر يراهم مصدر الظلم الاساسي الواقع علينا.

والشاعر يرى أن العرب لكي يستيقظوا من سباتهم لابد لهم في نكبة تحل بهم حتى يتنبهوا ويدركوا مدى الظلم الواقع عليهم.

ولعل الاشارة الى فرنسا واليهود هنا ايماء الى الاحتلال الفرنسي للجزائر، والى الاحتلال الصهيوني لفلسطين، كما أن البيت الاخير يشير الى ضرورة التكاتف العربي من أجل إنقاذ فلسطين.

والحقيقة أنني لو تناولت المحور الفلسطيني في شعر العويس بالتفصيل لطال البحث كثيرا، وحسبي أن أشير الى بعض القصائد الأخرى التي تتناول هذا المحور مثل :

قصيدة : لا تسكنوا غير السلاح

قصيدة : الصبر كرم

وإذا كنت قد أطلت الوقوف أمام هذا المحور من محاور البعد القومي في شعر سالم العويس فما ذلك الا لاحساسي بأهمية أن نظل باستمرار مفتوحي الاعين، مشدودي الاعصاب ازاء القضية الفلسطينية حتى نسلم مما تدبره المخططات الاستسلامية والحلول التصفوية لهذه القضية التي هي قضيتنا الاساسية كعرب وكقوميين عرب.

ولا أود أن أقف طويلا أمام محور ثورة يوليو ودور الزعيم عبدالناصر في بعث الاحساس القومي في النفوس فقد تعرض أخي الاستاذ الناقد رأفت السويركي لهذا المحور بإفاضة في محاضرته بالأمس عن : جمال عبدالناصر في شعر سالم العويس.

وأكتفي بإيراد قصيدة واحدة تمثل هذا المحور، هي قصيدة «تحية الزعيم» التي يقول فيها العويس :

حيوا جمال كثيرا أيها العرب
لم يجدكم قبله مال ولا نسب
كنتم غثاء السيل يحملكم
إلى المفاوز لاذنب ولا سبب
حتى منيتم باسرائيل وهي لكم
من كيد أحلافها ركن به عطب
دعوا السياسة إن الله قلدها
من لا يمن ولا يطغى به العجب
كم حاولت مصر والسودان مرتفقاً
فما استطاعت وسارت فوقها الحقب
حتى أتى ملك حاشاه من بشر
هذا وتعرفه لو تنطق السحب
فهز مصر مع السودان وانتشرت
جنداً من الشم من عاداته الغلب

بهذا الوعي يقدم العويس هذه الصورة الدقيقة والصادقة لهذا الزعيم الذي قدم لعروبته الكثير.

وحول المحور التالي من محاور البعد القومي في شعر سالم بن علي العويس، محور الوحدة بين مصر وسورية يقول الشاعر حين قامت هذه الوحدة، محذرا من مكائد الاستعمار، وما يدعو اليه من أحلاف لربط الشعوب بمخططاته، في قصيدة له بعنوان «الاستعمار والاحلاف» :

هي الوحدة الكبرى أباحت صراعكم
وأوحت لامريكا قباح المغارب
فما بالها ترضى لها كل صالح
وتأبى لنا الا جسام المعاطب

تعين عصابات اليهود وتدعي
ولا قول للكذاب بعد التجارب
ووحدتنا الكبرى أثارت وساوسأ
لدى الغرب، إن الغرب أظلم غالب
رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة
إذا ما رمى زهر النجوم الثواقب
ولكن سنمضي للصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد إحدى العجائب
يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى
وضاق بأشباح الليالي الشواحب

[فما بالها ترضى لها كل صالح : يقصد اسرائيل]

ويقول في نفس القصيدة محذرا الغرب الذي يسعى الى تقسيم العرب وتجزئتهم، وينكره بوقفة الجزائر الرائعة ضد الاستعمار الفرنسي :

فلا تنخدع ياغرب واربأ فإنما
نصدك عنا بالقباح الرواسب
تقطعنا نصفين ساعت مشيئة
وتلك مشيئات الاماني الكواذب
فنكر جنود الغرب كيف تفجرت
أوراس إذ نودي بها للمصاعب

ويستمر في مخاطبة الغرب مذكرا إياه بأنه مهما شرد ومهما أنزل الكوارث، فإن الوحدة العربية تواجهه بكل صلابة وتصميم على الاستبسال والنضال في سبيل التصدي له :

فما هي إلا وحدة عربية
تجابهه بالجد فوق الحواجب

ويرفض الشاعر الاغراءات المادية التي كان الاستعمار يمني بها، ويصر على مقاومته بالسيف، فهو وحده سبيل التفاهم معه، ونحن العرب نشترك في هذا النضال جميعابمن فينا من نساء وأطفال :

ترانا حيال المال عفٌ كأنه
هو القتل إما جاءنا من محارب
وأطفالنا في سعيهم ونساؤنا
غوالب في حشد القنا للغوالب
وإن يك من مجد فإنا وراءه
إذا أحرقت فينا حبال الحواطب

[يقصد إذا ما دبرت الدسائس والأحابيل]

وشاعرنا حريص على قيام الوحدة العربية الشاملة ولذلك فهو يقسو على لبنان بدافع من حبه للقومية العربية والوحدة ـ حين يراها ترددت في الانضمام الى محادثات الوحدة بين مصر وسورية، فيقول في قصيدة له بعنوان «لبنان والوحدة العربية» :

قد أخجلتنا بطول المطل لبنان
كأن من سكن الفيحاء طليان

[أي ليسوا عربا]

غسان منكم وفي الفيحاء قد عبثت
فيكم فرنسا فدنتم مثلما دانوا

وهنا يشير الى الاصل العربي الغساني الواحد لسورية ولبنان، كما يشير الى تعرضهما معاً لويلات الاستعمار الفرنسي وقت أن كان مسيطراً على بلاد الشام :

قد امتسكتم جميعاً في الكفاح على
عيسى وأحمد عند الله إخوان

تأتي الشماتة فيكم من مجالسكم
كأن فيكم لاسرائيل أعوان

وآخر هذه المحاور التي انطلق منها شاعرنا العويس معبرا عن هذا البعد القومي في شعره التركيز على عروبة الخليج، وإبراز هويته العربية الاصيلة، لنستمع اليه يقول في قصيدة له تحت عنوان «عروبة الخليج» :

يباديك من أهل الخليج ركود
وما هو منهم غفلة وجمود
منازع من أهل الخليج صحيحة
وما من مقيم في الخليج بليد
تميد بهم أعطافهم في دمائهم
ليوم تبدى للنفوس جديد
وقد كانت الاحلام قبل بعيدة
فدارت، ولا في الظن ثم بعيد
ولا سد عبدالناصر الباب دونهم
وبالامس باب النازحين وصيد
وكل شقي في حدود بلاده
يكاد ولا يهتم يوم يكيد
فبدل عبدالناصر الوضع فانجلت
معالم منها قائم وحصيد
فلو قيل في ساعات يوم وليلة
هم العرب التفوا ولات حدود
لما كان من شيء غريب وإنما
هي القوم تبني بيتها وتشيد
فكم رسموا أهدافه وحدوده
وهم في حياة المالكين عبيد

قضى العرب عمرا ماقضاه مثابر
عنيد وعمر الاكرمين عنيد
فما كل ثوب حاضر يلبسونه
ولا كل رأي زوّروه رشيد
فلا بد من مس الغوارب بالضحى
ليحيا محب أو يموت حسود

وشاعرنا في هذه القصيدة يحذر من أن يتصور البعض أن مايبدو من سكون أهل الخليج هو غفلة أو جمود، فأهدافهم واتجاهاتهم صحيحة، وليس بينهم من هو بليد الاحساس، وإنما تثور الدماء العربية الاصيلة في النفوس، وإذا كانت الاماني في الماضي مستحيلة أو صعبة التحقيق فلم يعد الامر كذلك الآن، فباب الوحدة العربية أصبح مفتوحاً أمامهم، وعبدالناصر لايصد من حاول الدخول معه، فتجربته مكفولة للجميع، وحصادها من حق العرب جميعا، ولو تحققت الوحدة العربية الكاملة الآن لما كان الأمر غريباً، فهو البيت العربي يشيد وتقام دعائمه من جديد.

والآن أعتقد أنني قد جلوت بعض جوانب البعد القومي بمحاوره المختلفة في شعر سالم بن علي العويس وأعترف أن ما فعلته لا يعدو أن يكون مجرد إضاءة مصابيح لكشف جوانب هامة في تجربة الشاعر الابداعية، والأمر متروك للدارسين بعد ذلك ليثروا تجربة الشاعر بدراساتهم وأبحاثهم، وشاعرنا ـ بحق ـ يستحق ذلك.

● من الدراسات التي قدمت خلال الاسبوع الثقافي الذي أقامه اتحاد كتاب وأدباء الامارات احتفاء بمئوية الشاعر.

دراسة موضوعية فنية في شعر سالم بن علي العويس

الدكتور عادل جميل أحمد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد درج أكثر الدارسين للادب في منطقة الخليج على تحديد ميدان جغرافي لدراستهم يشمل كلا من الامارات العربية المتحدة، والبحرين، وعمان، وقطر، والكويت.(١) ويرجع هذا التحديد إلى «أن هذه المنطقة قد جمعت مجموعات من السكان لها خلفيات ثقافية، ودينية، وعنصرية واحدة»(٢) ويمكن ارجاع «هذه المجموعات السكانية على اختلاف بلدانها الى عناصر عربية قد انحدرت من هذه القبيلة أو تلك . .»(٣) ونضيف الى هذا سهولة الاتصال والانتقال بين بلدان هذه المنطقة في تلك الفترة مما جعلها تبدو وحدة واحدة، ونحن وإن كنا نرى وجاهة هذا التحديد الميداني، الا أنه لابد من الاشارة الى أن جزءاً من المملكة العربية السعودية، والجمهورية العراقية تخضعان لهذا الميدان الجغرافي، ولكن الدارسين أخرجوهما نظراً لظروف سياسية وثقافية تجعل لكل منهما شخصية مستقلة.

والناظر الى الحركة الشعرية في منطقة الخليج منذ منتصف القرن التاسع عشر، يستطيع أن يرى أوجه التقارب والتشابه بين شعراء المنطقة، سواء في الموضوعات التي تناولوها والقضايا التي تعرضوا لها، أم في المنهج والطريقة التي عالجوا بها موضوعاتهم.

وقد حظيت هذه المنطقة في الآونة الاخيرة ببعض الدراسات الادبية التي تناولت الشعر في الخليج نذكر منها على سبيل التمثيل دراسة عبدالله آل مبارك : «الشعر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية» ١٩٧٤ ودراسة الدكتور عبدالله الطائي «الادب المعاصر في الخليج العربي» ١٩٧٤ ودراسة الدكتورة نورية الرومي «الحركة

الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور» ١٩٨٠ ودراسة الدكتور ماهر حسن فهمي «تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج» ١٩٨١ ودراسة الدكتور محمد ابراهيم حور «فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي» ١٩٨٤، يضاف الى هذه الدراسات الادبية تلك الدراسات التي تناولت بيئة منفردة من بيئات الخليج كدراسة عواطف خليفة الصباح «الشعر الكويتي الحديث» ١٩٧٣، ودراسة علوي الهاشمي «الشعر المعاصر في البحرين ١٩٢٥ ــ ١٩٧٥ » ١٩٧٨، ودراسة محمد عبدالرحيم كافود «الأدب القطري الحديث» ١٩٧٩م. وكذلك صدرت مجموعة من الدراسات التي تناولت شخصيات أدبية كدراسة خالد سعود الزيد «خالد الفرج حياته وآثاره»١٩٦٩ ودراسة عبدالله زكريا الانصاري «صقر الشبيب وفلسفته في الحياة» ١٩٧٥، ودراسة نورية الرومي «شعر فهد العسكر دراسة نقدية وتحليلية» ١٩٧٨، ولها أيضا محمود شوقي الايوبي «حياته وتراثه الشعري عرض ونقد» ١٩٨٢، وغير ذلك من الدراسات التي أثرت الدراسة الادبية في منطقة الخليج والتي حمل لواءها أبناء المنطقة الذين عمدوا الى تسجيل رسائل علمية في دراستهم العليا تتعلق بأدب المنطقة وأدبائها، وكذلك الاساتذة العرب الذين وفدوا الى المنطقة بعد افتتاح الجامعات في دول الخليج. وعلى الرغم من وفرة هذه الدراسات الجادة، حيث اقتصر جهد الدارسين على كتابة بعض المقالات في الجرائد اليومية أو المجلات الدورية، ولعل ذلك يعود الى قلة مابين أيديهم من نتاج أدبي وخاصة في الشعر، فلا نعرف ديوانا من دواوين الشعراء المعاصرين لشاعرنا في الامارات قد طبع قبل ديوان الشاعر سالم بن علي العويس، الذي تم طبعه بشكل كامل بعنوان «نداء الخليج» في مطلع هذا العام ١٩٨٧م حيث كان هذا الديوان مجزأ الى جزأين تحت نفس العنوان «نداء الخليج» وصدر الجزءان في عامي ١٩٧٩، ١٩٨٠ وأما ديوان شعر سلطان بن علي العويس الذي جمعه حمد أبوشهاب، وصدر سنة ١٩٨٥م فإنه يمثل مرحلة تالية لشاعرنا، ويمثل جيلا آخر لا يصح الجمع بينه وبين شاعرنا، وهكذا فإننا نرى افتقار الميدان الشعري في دولة الامارات العربية المتحدة للمادة الشعرية التي يمكن أن تكون موضوع دراسة الدارسين.

وبعد، فانني سأتناول ديوان الشاعر سالم بن علي العويس «نداء الخليج» مستعرضا أهم الموضوعات الشعرية التي تناولها، والتي رأيت أنه من الممكن حصر هذه الاغراض في ثلاثة اتجاهات : أولها : اتجاه سياسي تناول فيه الشاعر الجوانب السياسية المحلية والعربية والعالمية، وثانيهما : اتجاه ديني اهتم الشاعر فيه

بالوعظ والدعوة للاخلاق الحميدة، ومدح الرسول الكريم «عليه الصلاة والسلام»، وثالثها : اتجاه اجتماعي اهتم الشاعر فيه بمجموعة من القضايا البارزة والمؤثرة في مجتمع الامارات خاصة، وان كانت بعض تلك القضايا مشتركة بين الامارات وغيرها من دول المنطقة. ويضاف الى هذه الاتجاهات تلك الأغراض الشعرية التقليدية التى تناولها الشعراء على مر العصور الادبية كالمديح والغزل والرثاء . . الخ.

أولية الشاعر :

يحدثنا الاستاذ عبدالعزيز بن ناصر العويس في مقدمة ديوان الشاعر سالم بن علي العويس «نداء الخليج» أن الشاعر بدأ قرض الشعر وكتابته «وهو فتى لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره(٤) وهذا يعني أن الشاعر بدأ يقرض الشعر في العقد الاول من القرن العشرين حيث أنه ولد سنة ١٨٨٧، والناظر الى الشعر في دولة الامارات في هذه الفترة لا يجد بين يديه شيئا من النتاج الشعري بإن ديوان «نداء الخليج» هو النتاج الشعري الوحيد في دولة الامارات في هذه الفترة، ولم يظهر هذا الديوان بصورته الحالية سوى عام ١٩٨٠، لا اعتقد ان الشاعر بدأ قرض الشعر باللغة الفصيحة في هذه الفترة المبكرة، ولا شك أنه كان ينظم الشعر النبطي ــ الشعبي في دولة الامارات ــ فإن القصائد المدونة في ديوانه تدل موضوعاتها وتواريخ بعضها على أنها متأخرة عن هذا التاريخ. وأما ثقافة شاعرنا فهي الثقافة المتاحة في هذه الفترة، فهي تعتمد اعتمادا أساسياً على القرآن الكريم، وقد بين لنا مقدم الديوان أنه تتلمذ على يدي الشيخ عبدالصمد والشيخ عبدالوهاب ابني عبدالعزيز بن عبدالله التميمي، الوافدين من نجد . .(٥) كما يحدثنا عن اشتراكه ببعض المجلات التي تصدر في العالم العربي كمجلة «الفتح» التي تصدر في القاهرة، ومجلة «أم القرى» التي تصدر في مكة المكرمة، ولكن يبدو لي أن الشاعر كان مطلعاً على بعض المجلات والاصدارات الاخرى، وقد تكون هناك مصادر اخرى ساهمت في ثقافته كما يبدو أنه كان مهتما بالتراث، ومطلعا على بعض شعراء العربية القدماء، وهذا ما نلاحظ ظلاله في شعره، ومن هذا ينشأ عندنا اعتقاد بأن الشاعر قد اعتمد على نفسه في تنمية ثقافته واطلاعه، ولم يقف عند تلك المعلومات التي تلقاها عن شيوخه، أو التي أتيحت لأقرانه فقط

موضوعات شعره :

بين أيدينا ديوان شعر للشاعر سالم بن علي العويس يحمل عنوان «نداء الخليج» وهو يمثل الاعمال الكاملة للشاعر، وقد قدم لهذا الديوان الاستاذ عبدالعزيز بن ناصر العويس، وقد اقتصر الديوان على القصائد التي نظمها الشاعر باللغة الفصيحة، وعلى النهج التقليدي للقصيدة العربية، وقد أشار مقدم الديوان الى أن هذا المجموع الشعري هو أقصى ما أمكن الوصول اليه من نتاج الشاعر(٦) ، وقد استّبعد الشعر النبطي من الديوان، وتعتبر المادة الشعرية الموجودة في الديوان كافية لتمثيل شعر الشاعر من الناحيتين الموضوعية والفنية، وقارىء الديوان لا يصعب عليه تتبع الاغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر، ونظرة في هذا الديوان يتبين لنا أن الشاعر قد نظم في أغلب الاغراض الشعرية التقليدية، كالمديح والرثاء والغزل، على أن ما يلفت الانتباه أن الشاعر قد أولى اهتماما زائدا في القضايا السياسية، فان الحس الوطني، والانتماء القومي، يشكل الغرض الاساسي للشاعر، كما أن القضايا الانسانية قد شغلت جانبا لا بأس به من اهتمامه، ويسير مواكبا لهذا الاتجاه ولا يقل أهمية عنه الاتجاه الديني، يضاف الى هذا وذاك معالجة الشاعر للقضايا الاجتماعية التي شغلت المجتمع في عصره، كتعرضه للحديث عن صيد اللؤلؤ، وقطاع الطرق، وسنستعرض في دراستنا بعض هذه الموضوعات التي تناولها الشاعر.

أولا : الشعر السياسي :

قارىء ديوان سالم بن علي العويس يستوقفه هذا الكم الكبير من القصائد التي يتعرض فيها للمشكلات السياسية، ولا غرابة في ذلك فقد عاش الشاعر فترة من أحرج فترات المجتمع العربي، بل العالمي، فعلى المستوى العالمي عاصر الحرب العالمية الاولى والثانية، وكثيرا من الاحداث العالمية، كما عاصر على المستوى الاسلامي والعربي انحسار الخلافة العثمانية، وتقسيم العالم العربي بين الدول الاستعمارية، كبريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، وعاصر قضية المسلمين والعرب ــ القضية الفلسطينية ــ وتابعها منذ بدايتها حتى النكبة سنة ١٩٤٨م مرورا بتصريح بلفور، وصراعات مريرة خاضها أبناء فلسطين على المستعمر البريطاني كما واكب تآمر الدول الاستعمارية على القضية حتى الاحتلال، وعاصر بداية انطلاق الشعب العربي

نحو التحرر، وخاصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر، وكذلك وحدة مصر وسوريا، وغير ذلك من أحداث جسام مرت على الوطن العربي من محيطه الى خليجه، وعلى المستوى المحلي، واكب الشاعر أحداث المنطقة، كانتصار السعوديين في المنطقة، واحتلال الانجليز للخليج العربي، واستغلال ثرواته، وغير ذلك من أحداث داخلية. فلا غرابة اذن أن يزخر الديوان بهذا العدد الكبير من القصائد السياسية، حيث كان الشاعر حاضرا بجسده ووجدانه في هذه المناسبات، متابعا لها، متفاعلا مع الاحداث. ولكي تكون هذه الدراسة مجدية فإننا سنقف عند شعره السياسي ونسير فيه على محورين : القضايا القومية، والقضايا العالمية.

القضايا القومية :

وأقصد بهذا العنوان تلك القضايا التي تهم العالم العربي سواء في منطقة الخليج أم خارجها، وقد استأثرت هموم الوطن العربي باهتمام الشاعر، واستحوذت على تفكيره، فكانت هاجسا يلاحقه ليل نهار، وكثيرا ما تسبب له الانزعاج، فلا يقر له قرار، فيهرع الى الشعر يفرغ في قوالبه هذه الهواجس، ويضمنه تلك الانفعالات، فنراه يقول(٧) :

مالي اسهد لايقر قراري
فكأن قلبي لاهب من نار
أظننت تكرار القصيد يفيدني
فقضيت ليلي شاعرا ونهاري
لا بل تعذر من يوافق فكرتي
فطفقت أسمر بالخيال الساري
لا تخبروني عن عقائد أمتي
فاكون غما قطعة من قار
أوَ ما كفى مانحن فيه وليس في
ما نحن فيه نهاية لصغار

الوحدة العربية :

على رأس القضايا القومية قضية الوحدة العربية فقد كانت هذه القضية وما زالت حلما يداعب أبناء لغة الضاد، والعرب من المحيط الى الخليج يتطلعون الى تحقيق هذا الحلم، وقد نظروا الى سابق تاريخهم فوجدوا فيه صفحات بيضاء مشرقة سطرها الاجداد بتكاتفهم ووحدتهم، فما أن أعلنت التجربة الوحدوية بين مصر وسوريا حتى تجاوبت لها آفاق المشرق والمغرب العربي، وكان شاعرنا سالم العويس يمثل لسانا ناطقا لهذه الوحدة، مشيدا بقيادتها، مدافعا عنها، داعيا الى التمسك بها، والمحافظة على هذا الكسب الفريد، محذرا من الاستعمار وكيده لهذه التجربة الوطنية الرائدة، فنرى قوله(٨) :

عراك لأخرى خطوة بالمخالب
واخواننا شم كرام المناقب
هي الوحدة الكبرى أباحت صراعهم
وأوحت لامريكا قباح المغارب
فما بالها ترضى لها كل صالح
وتأبى لنا إلا جسام المعاطب
تعين عصابات اليهود وتدعي
ولا قول للكذاب بعد التجارب

الى قوله :

ووحدتنا الكبرى أثارت وساوسا
لدى الغرب ان الغرب أظلم غالب
رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة
إذا ما رمى زهر النجوم الثواقب
ولكن سنمضي في الصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد احدى العجائب

يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى
وضاق بأشباح الليالي الشواحب

وها هو يدعو للوحدة، ويدافع عن زعيمها، وينادي باتباع منهجه الذي يرى فيه سبيل النجح والرشاد فيقول(٩) :

هي الوحدة الكبرى تراث الأكابر
وقل لي هل آمنت أم غير قادر
ولولا زعيم لا يجادل رأيه
حكمت على أحلامنا بالخسائر
ولكنني مما تبينت لا أرى
سوى النجح إن النجح حظ المصابر
ومما علمنا من سلوك زعيمنا
هو الصبر حتى اليأس من كل صابر

ونلاحظ كيف يرى الشاعر عبدالناصر زعيما قوميا، فتارة يقول «زعيم» وتارة يضيف اللفظ الى ضمير الجماعة، وكأنه يوجه الانظار الى زعامة عبدالناصر القومية، والى الانضمام الى ركب الوحدة فيقول «زعيمنا» وكثيرا ما يبدو إعجابه بهذه الشخصية القومية فيصف رأيه بأنه لا يجادل، لان الوحدة قوة ضد المحتل الصهيوني، وقوة ضد الغرب الذي لايرحم ضعيفا، ولا يعرف غير لغة القوة، فاستجابة سوريا لنداء الوحدة تهديد لاعداء الامة فنرى قوله في نفس القصيدة السابقة(١٠) :

دمشق طغى منها الشعور فأسست
لاحلاف اسرائيل حز الحناجر
يكاد باسرائيل يقترب المدى
فتلفظ أنفاس الغرور الأواخر
ولا تحسبن الغرب يرحم حائرا
ضعيفا ولا يرنو عيون الدوائر

فَسِرْ بردى واسق الحقول فإنها
لقومك لا غاز من الغرب خاسر
فيا بردى نابذ عداتك جهرة
وسر تحت أحلام الزمان السوائر
تربص باسرائيل فالله عنده
لها لا عَدانا الغيب احدى المجازر

وهكذا يستمد الشاعر من الوحدة قوة تجعله يحمل سيف التهديد في وجه عدو الامة العربية، فيهدد اسرائيل متوعدا بمجزرة يخبئها لها الغيب.

وتقف لبنان مترددة في الانضمام لمحادثات الوحدة سنة ١٩٥٧م، فلا يعجبه هذا التردد، فيصرخ في وجه قادة لبنان، ويوجه اتهاماته لهم، منكرا اياهم بأيام الاستعمار الفرنسي الذي أذاق الويل لهذا الجزء من الوطن العربي مستغلا ضعفه وضعف العرب، وفرقتهم، ويعيد الى الاذهان موقف اللبنانيين الاحرار مسلمين ونصارى يدا واحدة في وجه المستعمر فيقول(١١) :

قد أخجلتنا بطول المطل لبنان
كأن من سكن الفيحاء طليان
غسان منكم وفي الفيحاء قد عبثت
فيكم فرنسا فدنتم مثلما دانوا
ثم امتسكتم جميعا في الكفاح على
عيسى وأحمد عند الله إخوان
تأتي الشماتةُ فيكم من مجالسكم
كأن فيكم لاسرائيل أعوان
ما خامر الشك لي نفسا يزعزعها
ولا رماني بسهم الشك شيطان
لكن ياقوم وجه المطل مخجلة
وفيه للساسة الظلام ميدان

وهكذا نرى شاعرنا يحمل لواء الدعوة للوحدة العربية، ويحذر الامة من الشرق والغرب، والانجراف خلف أحدهم، فما لهذه الامة سوى هذا الزعيم الذي تبنى شاعرنا فكره، فيرى فيه «نبيا للسياسة» ويعرض بمن يتخلف عن السير في ركابه فيقول(١٢) :

أتاكم نبي في السياسة وحدها
ففي سرهم أمر وفي سرهم زجر
جمال يقول : الغرب يحفر هوة
ليسكنها حي وفي يده النشر
ونحن سكنا قبلهم كل حفرة
نسام بها خسفا وليس لنا أجر
تحداه نوري في السياسة مرة
وهان لدى بغداد في ظهره كسر
تخير نصر الترك عن نصر يعرب
ومن يعرب فيه العمومة والصهر
جمال بمغناطيسه قيد الورى
وليس له رمح وليس لهْ حبر
ينادي له فوق العواصم هاتف
وليس له صوت فيحجبه الوقر
ينادي على الاحرار وهي مسامع
فاوراقهم من بعد ما افترقوا خضر
ولبنان يخشى المسلمون ضلاله
وليس بأيدي المسلمين به ضر

ويسير شاعرنا مع الوحدة، ويواكب حركتها، ويحدوه أمل كبير في أن يجتمع العرب حول قائدها، ليتحقق الامل بالوحدة الكبرى، وفي حماس وأمل يوجه رسالة لجمال عبدالناصر يقول فيها : «سيدي جمال عبدالناصر : السلام عليك :

سم دولتكم مع سوريا العرب المتحدة اقرع أذنك بها ثم انظر أثرها، وكما هي فيك هي في كل العرب . .(١٣) » فالامل يطل من كلمات الرسالة، فقد ظن شاعرنا أن العرب سيتسابقون للانضمام الى الوحدة، ونتظره يجسد أمله في قصيدة أرفقت مع الرسالة في الديوان فيقول(١٤) :

ولى زمان المعبده
ولى زمان المفسده
شرف كذاب ليس فيـ
ـه العرب المتحده
واذا زمان وهي فيـ
ـه فإنه ما أمجده
من ذا يقول ويدعي
أن العراق على حده
عندي تكاد أصوله
تذر الزمان وموعده
والحق في قلب الكذ
ـانة منه بيض الافئده
والوحدة الكبرى بلا
أهل العراق مقيده
والوحدة الكبرى إذا
هي بالعراق مشيده
وأسمع بصنعا والرياض
واسمع بأرض موصده
فالقوم قبل الوحدة الكب
ـرى تلوح مهدده
واليوم نحن مهددون
وخوفنا ما أبعده

إنا نهدد جهرة
هذي اليهود المفسده
من تختفي في غيرها
وتسن فينا العربده
آيزنهور : اللاجئون
أولو الحقوق المبعده
بالنصف ما واعدتهم
ولسوف تجزيك العده
ناواك في ظلم السياسـ
ـة بارع ما أكيده
ناواك نابغة الكنـ
ـانة ذو الخلال الصامده
أرداك في وضح النهار
بجو حرب بارده

لقد كان تفاؤل الشاعر بقيام الوحدة الكبرى عظيماً، فإذا كبر هذا الأمل في نفسه لا يستغرب قيامها في ساعة من ليل أو نهار فيقول : (١٥)

فلو قيل في ساعات يوم وليلة
هم العرب التفوا ولات حدود
لما كان من شيء غريب وإنما
هي القوم تبني بيتها وتشيد

ويطول حديث شاعرنا عن الوحدة والدعوة لها، والحديث عن زعيمها، ويزهو بهذه الوحدة ويعجب بها، ويرى فيها الامل، فتتفجر في نفسه كل القوى التي يواجه بها الاعداء، فيواجه اسرائيل، وأمريكا، وكل من يحاول الاساءة أو مس الوحدة من قريب أو بعيد، وما ذلك الا لأنه يظن أن العرب جميعا يعيشون هذه المشاعر والاحاسيس التي تختلج في نفسه، وتخامر فكره.

قضية فلسطين :

قضية العرب الاولى التي أصبحت مقياس الوطنية في العالم العربي، يتحدث بها القاصي والداني، فيصرخ صادق الوطنية يستثير العزائم ويحدو الهمم لتحريرها، ويتشدق مدعي الوطنية لغاية في نفسه، وللوصول الى هدف يسعى اليه، وقد تجاوب شعراء العربية في شتى بقاع الوطن الكبير مع القضية منذ أيامها الاولى، فبصدور «تصريح بلفور» في الثاني من نوفمبر «تشرين الثاني» سنة ١٩١٧م بدأ الشعراء يحذرون مما يخبىء هذا التصريح، ومن الاخطار المحيطة بفلسطين « وقد تفاعل شعراء الخليج مع قضية فلسطين في هذا الوقت المبكر . (١٦) »، وكان شاعرنا من أوائل الشعراء الخليجيين الذين التفوا حول القضية – إن لم يكن أولهم – (١٧) فعن تصريح بلفور نجد قوله(١٨) :

«بلفور» من هز العروبة فاستوت
بعد التربع في الحضيض الاسفل
«بلفور» لم تمخض به عربية
وبنات يعرب لم يلدن بمشعل

وفيه أيضا يقول(١٩) :

يا وعد بلفور ماله من قدر
لا يجتليه وراء الغيب انسان
رموك أقبح ما في السمع من نبأ
ولا تخطاك فوق الارض طغيان

وهو دائم التفكير في هذه القضية، فإذا رأى ظلم المستعمر البريطاني لشعب فلسطين ورأى الشعب الفلسطيني يقف مستبسلا مضحيا في وجه المستعمر، فتخضب دماء الشهداء أرض الوطن، وبريطانيا على رأس الدول الاستعمارية تساند اليهود فتمدهم بالعتاد والطاقة البشرية من أفواج المهاجرين، حتى استأسدوا بعد

ذل وهوان، ولو تركتهم لرأت فيهم كلابا ضعيفة مهينة، يسجل الشاعر هذه المعاني في قصيدة نظمها سنة ١٣٤٨ هـ، نختار منها هذه الابيات(٢٠) :

ما نام طرفي ولم يبرد لهم نفسي
قوم يقومون دون الحق في القدس
كم ذا تخضب أطراف البلاد بهم
وهم يردون رد العاقل الحمس
عَرّف بريطانيا العظمى صداقتنا
فلهي أبصر من يرنو الى الغلس
أو كان ترعى لمكماهون حرمته
ما بالقلوب ولا الأفواه من خرس
وأمة العدل من اعطت وان عظمت
حق الضعيف بلا سيف ولا فرس
دعوا اليهودي إن كان التراث له
لتبصروا الليث كلبا غير مفترس

ويقف الشاعر مستهزئا بقرارات هيئة الامم التي ساندت اليهود وأعطتهم من الحقوق ما لا يستحقون، وقضت في الوقت ذاته بتشريد أهل البلاد وأصحاب الحقوق لتقيم الغاصب المعتدي مقامهم، وينظر الشاعر نظرة تفاؤل للقوة العربية، فهو يرى أن اليهود قد زجوا بأنفسهم في مأزق نتيجته الخسران، فإن العرب لن يتسامحوا بحقوقهم ولن يرضوا بالمذلة والهوان، فلا يغرن اليهود مساندة الغرب لهم، فقد غدروا بحلفائهم السابقين من العرب، مشيرا بذلك الى وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال، ونكثهم لوعودهم بعد أن تم لهم النصر في الحرب العالمية، فنجد قوله(٢١) :

ضل اليهود عن الصراط وأدبروا
إن اليهود الى الخيانة أقرب

قل لليهود دخلتمو في مأزق
لن تربحوه وما تسامح يعرب
حلفاؤكم حلفاؤهم من قبلكم
ولهم الى رد الصداقة منكب
كم هيئة الامم التي هي سركم
تلوى _ وعن ميثاقها تتنكب
قد شردت أهل البلاد وتوجت
من قد نفاهم غاصب أو كاذب
أغضت على تلك القذاة وهذه
تلك القذاة لهدمها تتوثب
ميثاقها عجب العجاب وقومها
في بغضه الميثاق قوم أعجب
كتبوا لها مايكرهون لغيرهم
فتخبطوا وتنكبوا وتذبذبوا

ويمجد الشاعر الشهادة في سبيل الله والدفاع عن فلسطين، فما دام الموت نهاية كل حي، فمن الخير أن يسلك الانسان طريق الشهادة، ويبدو أنه في قصيدته «وخير أن تكون شهيدا» يسجل موقفا تقدم فيه معونة مالية للمجاهدين، فيدعوهم لأخذها واستغلالها في شراء السلاح، ويشيد بهذا الشعب المجاهد، الذي يستمد من ضعفه قوة، ومن أنينه زلزالا يهز به عدوه فنرى قوله(٢٢) :

خذوها تشترون بها حديدا
دراهم من يحب لكم مزيدا
إعانة من يقدركم بحق
ويعلم فيكم الشعب العنيدا
حرام أن تحيد واذ تداري
فلسطين وان قلت عديدا

فلا يطمعك لين الصوت فيها
فقد مزجت به بأسا شديدا
يهزون العوالم من أنين
وبين أنينهم مضغوا اليهودا
فلا تعذل شباب الحرب منهم
إذا ألقوا على النار الوقودا
فإن الموت آخر كل حي
وخير أن تكون به شهيدا

وهكذا يواكب الشاعر قضية العرب المركزية، وكانت له نظرة ثاقبة في هذه القضية فهو يرى أن الحق الذي اغتصب بقوة العدوان، لا يعود لاصحابه الا بقوة الجهاد الذي خبره المسلمون، فأفنى من أوائلهم ـ قحطان وعدنان ـ الكثير، بل كأني بمؤتمر القمة العربي في الخرطوم ـ مؤتمر اللاءات الثلاث ـ يستلهم قول شاعرنا(٢٣) :

والموت تطرب أيام الجهاد له
وكم ثوت فيه قحطان وعدنان
فلا اعتراف ولا سلم وان سقطت
بعد النشوب ليوم الحرب تيجان

قضايا قومية أخرى :

وبجانب هذه القضايا الأساسية للعالم العربي، نجد بعض القضايا الأخرى التي يقف فيها الشاعر موقف الحريص الغيور على قومه ووطنه، فإذا نشب خلاف بين الملك عبدالعزيز آل سعود والامام يحيى إمام اليمن حول نجران وزيارة الاسطول الايطالي للموانىء اليمنية، وتصل أخبار هذا الخلاف على صفحات الجرائد التي كانت تصله ـ على قلتها ـ فيمضه الأسى والحزن، وتعتريه الحيرة، ويضيق صدره لهذا الصدع، فيتمنى زوال المحنة، ويرسل هذا النداء مستصرخا ومستثيرا الهمم، ومذكرا بالوشائج الوثيقة التي تربط أبناء يعرب فيقول :(٢٤)

من لي إلى اليمن الحبيب رسولا
أبناء يعرب والملوك الأولى
انبت لكم سود الصحائف مقولا
وتعودت أن تفعلوا ما قيلا
فكانني من بعد ما طالعتها
حجر بصدري أو حملت ثقيلا
حيران أمشي القهقرى في خطوتي
من بعد ما جبت العلا تأميلا
مالي أرى كل الشعوب تآزرت
وشجارنا لايقبل التعديلا
أتقاتلون ابن السعود - وما رأت
أبصاركم لابن السعود مثيلا

ويقف الشاعر مدافعا عن «ابن السعود» ويوجه اللوم للامام الذي يشك في نوايا الخير ورسل السلام، ولا يحذر العدو الحقيقي «موسوليني» الذي جاء بأسطوله مستغلا «قانصا» لخيرات البلاد، فيتعامى عن النوايا الخبيثة للمستعمر، ويسلم له النوايا، وهو الوحش المفترس الغادر، ويتنكر للأخ الحريص ويرى فيه «غولا» تثور هواجسه خوفا منه، ويصور خيبة الأمل التي تعتري النوايا الصادقة، وتؤول تلك النوايا وتفسرها تفسيرا مخالفا لهدفها فنراه يقول :(٢٥)

انحى لكم رسل السلام محبة
فظننتموه بزعمكم تضليلا
إن الرزية لا رزية بعدها
أن تلق صدقك مشبعا تأويلا
عجبا تنام مع الأسود ولا ترى
إلا أخاك من الهواجس غولا
هل لي ألومك يا إمام أم انقضى
زمن الملام فما يفيد فتيلا

أم أنت تعلم أن «موسو» قانص
يسعى ليطعم شعبه المهزولا

وأما إذا تلاقى الأخوة، وانكشفت غمة الخلاف، وزال ما بين الأشقاء من تنافر، فإنه يهتز فرحا، ويطربه هذا الوفاق، فها هو يهتف مباركا ذلك اللقاء الذي تم بين ابن السعود والشريف سنة ١٣٤٨ هـ ، ويصور مصرع الشيطان وقد نكص على عقبيه في ذلك اللقاء فيقول :(٢٦)

اليوم مات من الميدان شيطان
وأسفر الليل فالكفران شكران
لقد تنفس يوم ما توهمه
وهمٌ ولا ظنه من قبل إنسان
ما أثبتاه حديثا سيدا مضر
على الضمائر والآمال عنوان
قد أخرجا خير تاج يفخران به
إن كان توجد في الأعمال تيجان
يا هيئة لبني الاسلام مقبلة
في صدرها وعلى التيجان قرآن
أقول والهم يدنيني ويبعدني
وللافاضات خلجان ووديان
هذا العراق ونجد تم حلفهما
ومات بالبحر يوم السبت شيطان

وهكذا يعطينا شاعرنا درسا في التفاعل مع أحداث أمته، فنرى فيه إنسانا مخلصا وفيا لبني قومه، يفرح لفرحهم، ويأسى لما يصيبهم، فيتمثل لنا فيه الوطني الحريص الذي تشغله هموم هذه الأمة، وتثقل كاهله، وتكون غصة في حلقة، ثم إذا به يشدو لانتصاراتها، ويهتز طربا لأدنى تقارب بين أرجائها، فكأني به يقف

على مشرف من الأرض يرقب هذا الميدان الفسيح، فيتأمل، ويوجه، ويبكي، ويضحك.

قضايا إنسانية :

تتعدد وجوه الظلم الاستعماري وتتنوع، ويبقى الاستعمار بشتى وجوهه ووسائله، وفي كل مواقعه، ذلك الوجه البشع البغيض الذي تحاربه القوى الوطنية في كل مكان، وشاعرنا يؤمن بهذا إيمانا راسخا، فهو يقف في وجه المطامع الاستعمارية مع الأمم المطالبة بحقوقها، المدافعة عن وجودها، ولا يقتصر في هذا على المستوى القومي، بل يتعداه إلى العالم كله، فإذا طالبت الصين بتحرير جزرها من الاستعمار يقف معها مطالبا، ويربط بينها وبين الجزائر العربية، وكأنه يقول : إن الظلم في كل مكان وفي كل زمان هو الظلم، وإن وجه الاستعمار واحد، هو ذلك الوجه القبيح، ومحاربة الاستعمار لا تعرف العرق أو الجنس، فها هو يقول :(٢٧)

جزر الصين الأبيه
هي للصين الفتيه
والجزائر شمس حق
حيث صدت عربيه
جزر الصين الأبيه
عند هذا الغرب نيه
والجزائر قد تمطت
في ثياب عمليه

ويقف الموقف نفسه مع عمال الهند العزل في مقاومتهم للاستعمار البريطاني الذي يريد نهب خيرات البلاد الفقيرة، وتسخير جهود أبنائها لخدمته فنرى قوله : (٢٨)

يا ضيعة العمال كيف تأول
يا ليت أن على الوزارة شرشل
أيضيع هذا الهند وهو مبطح
والترب أخضر والمدافع أعزل ؟
أيضيع والسكسون ليس بلادهم
بلد غني بالحبوب فيأكل ؟

وعلى الرغم من المستوى الفني الضعيف لهذه الأبيات الشعرية إلا أننا نستشف منها موقف وفكر هذا الشاعر الذي عاش عصره على الرغم من الامكانات المحدودة جدا له، فنرى أنه لم يكن في معزل عن القضايا الانسانية التي تشغل الناس، فقد سخر قلمه لمناصرة الحق في كل مكان، ولكل مطالب بحقه، مثبتا بذلك إنسانية رائعة تحدثنا بها آثاره وأشعاره.

ثانيا : الشعر الديني :

يسير الشعر الديني جنبا إلى جنب مع بقية أغراض شعر سالم بن علي العويس، ويزخر ديوانه بالقصائد الدينية، فمنها ما ينهج فيه النهج الوعظي المباشر، ومنها ما يتخذ صورة الرفض لانتهاك الحرمات، ومنها ما يكون في مدح الرسول الكريم «صلى الله عليه وسلم» فإذا تأمل الشاعر الدنيا من حوله ورأى ما لا يرضاه نراه يدعو إلى الصبر المتأمل، وإلى الرجوع لدين الله بأسلوب وعظي لا يخلو من ألم الحريص على دينه فنراه يقول :(٢٩)

عض الحوادث في أديم حياتي
وتكاد تهدم مهجتي زفراتي
فاخلد إلى الصبر الجميل فإنما
لا عيش بين الناس دون أناة
والله يهدي من يشاء ويبتلي
بالسيئات السود والحسنات

يا صاح ما ثوب النعيم برحمة
أبدا ولا الآفات بالآفات
وإذا سلكت مع اثنتين على التقى
لا تطمئن لكاذب النزعات
هذا هو الدين القويم وجنده
نص الكتاب وصادق الصلوات
والله قد خلق العباد فكيف لا
يرضاه بعض الناس في الآيات
لا يستوي من يعلمون وإنما
يتخبط الجهال بالشبهات

ونراه يدعو إلى المثابرة على العمل، والمصابرة والتفاؤل، ونبذ اليأس، فما اليأس إلا للأموات، أو لمن يجعلون للشيطان سبيلا للاستيلاء على نفوسهم، وبث الخور في عزائمهم، فنرى قوله :(٣٠)

هي كنه ساعتك التي تمضي لها
والدهر مفترق على الساعات
إن أخلفت ميعاد سعدك ساعة
فلأختها في البشر والبركات
واليأس مع صنع اللعين وكيده
فاحذر من الأوهام في الأزمات
فاصبر فما يدريكَ ماذا في غد
فاليأس للمهزوم والأموات

وكثيرا ما يستلهم الشاعر معاني القرآن الكريم في دعوة الناس الى الخير والبر، ففي القرآن هداية للمستنير، وفيه العظة والعبرة، وبتكرار تلاوته راحة النفس وجلب وجوه الخير :(٣١)

كلام الله مرفوع البيان
ومرفوع الهداية والمعاني
تلونا ما تلونا من كتاب
لكل مهذب يقظ الجنان
وإن نحن استعدناه استقرت
ولم تأت بمعنى أي ثان
وان أنت استعدت الذكر يوما
كأنك تستعين بترجمان
ويدركه منيب مستنير
ولا يغني هشيم الناس غان

وكثيرا ما يقف شاعرنا في وجه انتهاك حرمات الاسلام، فالربا داء يفتك بالمجتمع وخاصة هذا المجتمع الفقير، ومهما أمهل الله المرابين فإنما ذلك ليأخذهم بظلمهم أخذ عزيز مقتدر، فقد صدق تعالى حيث يتوعدهم بحرب منه ومن رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»(٣٢). وشاعرنا يعطينا هذا المعنى القرآني بقوله :(٣٣)

صدق الكتاب وكذب العاصينا
محق «الرباء» ودمر المرْبينا
الله آذنهم بحرب فالتهوا
عما يقول فمكنوا تمكينا
حتى إذا أخذت جنان سبيلهم
تعطي الثمار وتعجب الرائينا
وتشكك المتشككون ورجحوا
أن لا عذاب وأشبعوه ظنونا

بدر العذاب يجوس في جنباتهم
فتخيلوه مُنازلا ماموناً

فغدوا يوالون النزال وكلما
برزوا لحرب يرجعون محيناً

فتلمسوا فُرَجَ الطريق فقابلوا
سداً من الله العظيم متيناً

فمضوا على سنن الخداع أذلة
يلوون بالكذب الصراح مشيناً . . الخ

ولما للناحية الاقتصادية من أثر في هذا المجتمع الفقير نراه يكرر تحذيره من عاقبة الربا، ويضيف إلى ذلك منع الزكاة فيقول في قصيدة أخرى :(٢٤)

حجب الزكاة وإرهاق الضعيف ربا
جرم تلبس بالأرواح والهمم

وأما حديثه عن الرسول «صلى الله عليه وسلم» فلا تكاد تخلو قصيدة دينية منه، ولعل أجمل قصيدة تمثل هذا الاتجاه قصيدة يعارض فيها ميمية البوصيري التي أكثر الشعراء من معارضتها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وقد بدأها بقوله :(٢٥)

يا سالف الدهر بين الحل والحرم
لأنت أشهر من نار على علم

ويذكر فيها مولد الرسول عليه الصلاة والسلام، وجهاده في سبيل نشر الدين الاسلامي، وفضله في تثبيت أركانه، كما يعيد إلى الأذهان العصر الذهبي للخلافة الراشدة فنرى قوله :

محمد ابن قريش خير من بُعثوا
إلى العباد فدكوا أنفس الأمم
لاحت بشهر ربيع شمس مولده
فاصبح الكون في مستقبل الكرم
هل يعلم المهد من ضمت جوانبه
حييت يا مهد عن قلبي وعن ألمي

الى قوله مختتما قصيدته :

أكرم بأيامنا الأولى ومن ولدت
عصر النشاط وعصر العز والشمم
يا ليت أن أبا بكر خليفتنا
أو السياسي طاوي دولة العجم
بل طارد الروم والمُقصي قياصرها
والناشر العدل والاحسان بالهرم
أو أن عثمان من سارت كتائبه
للشرق والغرب والأنجاد والتهم
يا ليتهم أو أبا السبطين سيدنا
والراكب الخصم بالأرماح واللجم
أولاء تمرضنا الأيام بعدهم
والذل ألذع ما قاسيت من ألم

ثالثا : الشعر الاجتماعي :

لا تقل أهمية معالجة القضايا الاجتماعية عن معالجة القضايا الوطنية، بل هي مسار آخر من مسارات الوطنية، فالشاعر ينطلق في معالجتها من منطلق وطني، وحرص على أبناء وطنه، حتى يكون المجتمع الذي يعيش فيه مجتمعا

سليما خاليا من الأدران والأمراض الاجتماعية، وقد كان شاعرنا ابن مجتمعه، تهمه قضاياه، وتسعده سعادته، كما تشقيه شقوته، وقد كانت مشكلة التعليم وما زالت من أهم قضايا مجتمعنا العربي، وقد كان للشعراء موقف من التعليم، فهم يدركون أهميته وشأنه، وكان شاعرنا حريصا في حياته على التعليم، بدا ذلك واضحا من تلمذته على يدي الشيخ عبدالصمد والشيخ عبدالوهاب ابني عبدالعزيز التميمي، وهذا هو القدر المتاح في تلك الفترة، ولكن قارىء ديوان الشاعر يلحظ خلاله اطلاعه الواسع على التراث، واعتناءه بتثقيف نفسه، وقد سجل شاعرنا موقفه من التعليم على باب المدرسة الأحمدية بدبي عند افتتاحها سنة ١٩١٠م ببيتين من الشعر كتبا على باب المدرسة يصور فيهما أهمية التعليم، ويبين الفرق بين المتعلم والجاهل وفيهما يقول :(٣٦)

يا نهضة الشرق قُومي علّمي قَومي
عليك مني تحياتي وتسليمي
«ليسوا» سواء قضيب غير ذي عوج
ومهمل يابس من غير تقويم

وعندما طلبت الكويت فتح مدارس لها في الامارات حيا الشاعر هذا الطلب مقدرا ذلك الصنيع لما فيه من مصلحة مرجوة، فأضاف إلى البيتين السابقين مجموعة من الأبيات تحدث فيها عن أثر العلم، وحث على التعلم مستعينا بصورة تبعث الهمم، وتشجع طلاب العلم، فقد جعل الأنعام أعلى منزلة من الجاهل المتخبط في ظلمات الجهل فيقول مكملا البيتين :

فهل سمعت بشعب في جهالته
أمضى الحياة ولم يسلك بمظلوم
وهل عبيد عبيد عند سيدهم
وخاضعين لأمر غير مرسوم
لا بل تباركت الأنعام منزلة
من خابط في ظلام الليل موهوم

إليك مني شباب اليوم خالصة
إذا تعلمت فاسمع كيف تعليمي
كم في الرياض التي أرجاؤها نهل
للمعطشين ولا تعباً بمزعوم
ولن تضل وكيف الله يضلل من
أم الكتاب بصدر منه ملهوم

ومع تقدير شاعرنا للعلم، ومعرفته لمكانته، إلا أنه يرى أن العلم وحده غير كاف، فلا بد أن يستند العلم على دعائم تحفظه وترفع مكانته، وأهم هذه الدعائم: القوة والعمل، فلنستمع قوله :(٢٧)

الحق أوضح من نار على جبل
فاستصبح السيف واسلك آية السبل
ما يفعل العلم في قوم بلا عمل
تهفو إليه وشمل غير مشتمل
لا تطلب العلم إلا أن ترى نزقا
من السيوف يداوي موضع العلل
أو قل على العلم أقفال مقفلة
من السياسة فيها عثرة السبل
طالب بسيف ولا تلهيك مدرسة
سيف من الحق من علامة بطل
سيف به مستبد من يصول به
أصم أبكم عن سفسافة العذل
حتى إذا تم أمر الله واتسعت
يد العروبة من غاد ومختبل
فاستأذن العلم إذ يغزو مدارسها
لا تطلب العلم إلا كثرة العمل

ومن دعائم العلم التي يراها شاعرنا تحفظ قدره، وتقدر مكانته : أخلاق حميدة توجهه لصالح الأمم والشعوب، وإلا فإن العلم يضل الطريق، وها هي الشواهد في الغرب واضحة، فما وصل إليه الغرب من علم لا مزيد عليه، ولكنه لم يُكتنف بالأخلاق الحميدة التي تحميه وتوجهه الوجهة الصحيحة، فإذا بأركان ذلك المجتمع العلمي تهتز، ومبادئه تمتهن وتطغى عليه المادية فنرى قوله :

والعلم علمان علم ممسك أبدا
بالروح أس نظام الكون والدول
علم المكارم بالأخلاق ما وسعت
روح امرىء من مساس الخلق بالعمل
وعلم ما علم الله العباد به
ما زين الأرض من ضرب من الحيل
سل دولة العلم : الأيام ما اقترفت
بعد العلوم يد الانسان من خطل
والغرب مازلّ واهتزت قواعده
إلا بما ضل من أخلاقه الأول

ومما عانى منه المجتمع في تلك الفترة عدم الاستقرار الذي بعثه انتشار فئة باغية عاثت في الأرض فسادا، فقتلت، ونهبت، فقام شاعرنا يدعو حكام الامارات إلى الاجتماع على هذه الفئة، ويحثهم على محاربتها بعد أن استفحل أمرها ونشرت الرعب في أرجاء البلاد، فإن لم تتحد كلمتهم ويصدوا هذا الخطر ساء الحال وعمت الفوضى البلاد، فنجد قوله في هذا :(٣٨)

لا تهدأ الدار حتى تنفح العيس
وليس زاد العلا غش وتدليس
ولا أخ المجد إلا كل مبتكر
يرى ويسمع لا يثنيه تلبيس

دبي والساحل الشرقي مضطرب
يسومه الخسف أنجاس مناحيس
دبي والساحل الشرقي إن عقدوا
عهدا يذوب وتنفيه الوساويس
يرون أن يجمع الرحمن شملهم
عار عليهم كما يرضاه إبليس
ما للعوامر يسقون البلاد دما
وما أصيبت لهم نفس وما خيسوا
قل للمشايخ أهل الحكم ويحكم
زمانكم وجلال الله مبخوس
خلفا تصدون إما قيل ثأركمو
وما البغاة بأنداد إذا قيسوا . . الخ

ولأهمية هذه القضية اجتمع الأمراء في عجمان لمعالجتها، ومحاولة القضاء على أولئك الذين شقوا عصا الطاعة، وكانوا يلتجئون إلى «بني قتب» في البر، فقال شاعرنا بهذه المناسبة :(٣٩)

إلام البر يغمره الفساد
فلا قحط لديه ولا جراد
وكم ذا يا ولاة الأمر صمتا
ولا خال لكم «وأبا» جماد
فما طول السكوت سبيل مجد
ولكن السبيل هو الجهاد
فقوموا إن عمر المرء يفنى
وحسن السعي يوم الحشر زاد
إلام العامري يجيء حيفاً
وأنتم ضاحكون وهم شداد

فلا ترضوا بني قتب يشذوا
فإن شذوا فمرهمهم صفاد
وبين جبالنا والبحر ظلم
تضيق به وتنكره الوهاد
فإن الله لا يرضى أميراً
أميراً ليس يغضبه الفساد
فإن لم تنصروا لله حقا
فليس لكم على الله اعتماد
وأرض الله إن لم تصلحوها
يحاسبكم ويصلحها عباد

والوطن همّ كل شريف، وفي سبيله ترخص النفوس، ويبذل كل نفيس، وها هو شاعرنا يذهله انشغاله بهموم وطنه، وأبناء وطنه عن نفسه وعواطفه، فقد أودى حبه لأمته بحبه لمحبوبته، فإذا نظر إلى ثروات البلاد يستمتع بها الأجنبي، وأصحاب هذه الثروة يصرعهم الفقر، وتقتلهم المسغبة، وقد قصر القائمون على الأمر وعجزوا عن الحفاظ على هذه الحقوق، فسمحوا للانجليز بامتياز البترول، فتوجه إلى الأمراء يبين لهم أن عزهم بعزّ رعيتهم، فإن ذلت الرعية انعكس ذلك دمارا وسوءاً على الراعي، فمن حق الشعب أن توجه ثروته لخدمته، فتكون في يد المحتاج الفقير، وفي الأكواخ والبيوت، وفي خدمة السياسة والحرب، هذه فلسفة الشاعر في ثروة البلاد ننظره يقول :(٤٠)

قولوا لمية لا حب ولا شجن
أودى بحبكِ هم بثّه الوطن
وللعوامر قل لسنا لكم غرضا
وهل يقاتل قرن درعه كفن
وللامارات قل ليس النفاق لكم
من السداد ولا نسيانكم حسن

فقر الرعية ركن في سياستكم
وعندكم شر من لاقاكم الفطن
فلو فرضتم حقوقا لا يقابلها
منكم جزاء وأمر القوم مؤتمن
اللفقير حقوق في جبايتكم
إذا فما باله مستجمع ضغن
لا تحسبوا العز إن ذلت رعيتكم
فإنما العز إن نل العدى الخشن
حرب السياسة في الاسلام ليس له
ند وليس له قوم ولا زمن
للكوخ منه نصيب من سياسته
يدعى بها الأمن أو يحسى بها اللبن
وللبيوت نصيب من سياسته
يرفا بها الخرق أو تطغى بها المحن
وللممالك نور من سياسته
يعلى بها الحب أو تستأصل الإحسن
وللحروب نصيب من سياسته
تزجى بها الخيل أو تحدى بها السفن

وقد ساد المجتمع ظلم أصحاب السفن الذين يسيطرون على تجارة اللؤلؤ، وهو مصدر رئيسي لأبناء الشعب الذين يعتمدون في حياتهم على هذه المهنة، فنجد شاعرنا يحذر هؤلاء وينذرهم عاقبة ظلمهم فيقول :(٤١)

لمن السفين تلوح كالأطلال
بعد الزعامة والمقام العالي
تلك التي رفعت لواء رجالها
في المهمه القتال عند الآل

تلك التي بنيت لتجني لؤلؤا
الله أكبر من حصاد لآلي
رفعت لواء المسرفين وأثبتت
داء السلال بكل من ذي مال
عصفت رياح السوء في أعطافهم
فلووا رؤوسا في رقاب جمال
ما قوم هود أو شعيب وصالح
منهم بعيد والخراب الخالي . . الخ

وتتسع نظرة الاصلاح الاجتماعي عند شاعرنا، فكما قاوم الاعتداء على الآمنين ودعا إلى التعليم، وإلى القضاء على الفقر والفاقة، فإنه يقف مرة أخرى في وجه الظلم، فيرى أن أبشع الظلم يتمثل في ظلم الانسان لأخيه الانسان، ويتمثل هذا في الاتجار بالنفس الانسانية روحا وجسدا، فالانسان ذلك المخلوق الذي كرمه الله، يجب أن يرتفع عن المهانة والذل، ولكن ظلم الانسان يعرضه سلعة رخيصة في الأسواق يباع ويشترى فيكون ملكا لمن يدفع الثمن، فتصدر صرخة من شاعرنا في وجه منتهك حرية البشر فيقول :(٤٢)

كم أهدر الناس فوق الأرض من خلق
وأهدر الخلق العالي من الشيم
تجارة الرق في الاسلام حرمها
رب العباد ومكر الناس في الامم

ويتشوق الشاعر إلى رؤية الحق، يتمنى أن تعلو كلمته فلا تكمم الأفواه، فالانسان خلقه الله حرا مالكا لنفسه، وله الحرية في إبداء رأيه، ولا يحق لأحد أن يسلبه هذا الحق، ويستنجد الشاعر بالتاريخ الاسلامي المجيد، ويستشهد بعظمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» وهو يستمع الى امرأة تبدي رأيها وتطالب بحقها الذي أعطاها إياه الله، فتأخذ ما تشاء دون أن تمس كرامة أو مكانة الخليفة الذي يعترف بخطئه دون كبر أو تردد، هكذا يريد شاعرنا للرأي،

وهكذا يريد للانسان أن يأخذ حقه، وهكذا ينادي بحرية الكلمة :(٤٣)

حرية القول بعد البين زورينا
لعل نفحك بعد الموت يحيينا
باتت ضمائرنا في طيها ألم
نخشى عليها إذا صدت تناجينا
هل في الزمان زمان نستطيع به
قولا وألا يضل الدهر محزونا
جاءت إلى عمر الفاروق سيدة
تقول أين من الأجداد والينا
فصاح يسمع لا كبر لا غضب
وراح يخطب منصورا وممنونا
لم تستلب منه يوم الرد منصبه
بل ظل بالحق والايمان مفتونا

وهكذا نجد شاعرنا يسجل حضوره في مختلف الاتجاهات التي تهم مجتمعه. ولم تكن الموضوعات الشعرية عنده مقتصرة على هذه الأغراض، بل نراه يطرق كافة الأغراض التقليدية التي عرفها الشعر والشعراء قديما، ففي المديح نجد له مجموعة من القصائد التي يمدح بها شخصيات عربية، وخاصة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ففي قصيدة يمدحه بها وقد دخل مكة المكرمة منتصرا بقوله :(٤٤)

الطير ماد وهزنا غريده
ونشيده عبدالعزيز وعيده . . الخ

وفيه أيضا يقول :(٤٥)

المرجفون وإن طاروا وإن طربوا
أنت المؤمل أن تعلو بك العرب . . الخ

كما نجده في قصيدة مدحية يشيد بالقواسم ويسجل مواقفهم المشرفة وأمجادهم فيقول :(٤٦)

سلام الله يتبعه سلام
على من في النفوس له مقام
لقد أحيا مسالك دارسات
له في نشرها سلف كرام
إذا نهض الزمان بقاسمي
رأيت الأرض يشغفها غرام
ملوك نذكر الاحسان منهم
فندعو أن يزين لهم مقام . . الخ

وعندما زار الشيخ عبدالعزيز الثعالبي التونسي دبي، ونزل ضيفا على الشيخ مانع بن راشد المكتوم نجد شاعرنا يرحب بنزوله فيقول :(٤٧)

ليهن أمتنا هذي ليهنيها
هذا ابنها البر هذا المرتجى فيها
هذا الهمام الذي يسعى لوحدتها
إذا سعى في تجزّيها أعاديها

وفي ميدان الغزل نجد شاعرنا يسجل مشاعره في عدة قصائد في الديوان، وإن كنت أعتقد أن أكثر شعره الوجداني قد أفرغه في الشعر النبطي، ولكننا نجد له بعض القصائد الغزلية كقوله في قصيدة «ظبية زاخر» : (٤٨)

تخاذل إن أغرى به الصد كلما
خذال ضعيف القوم ممن تعزّما
هو الحب قد مالت بصبرك وخده
فليتك غير الحب صارعت ضيغما

ومن ذلك قصيدة «سلوا آل ليلى» وفيها يقول :(٤٩)

أسالٍ فاسلو أم حزين فامسك
وما هو إلا كل ما كنت أملك
تجلله هول النقاب وإنه
لعينين من سود الليالي لأحلك
رعى الله شمسا لم تر الشمس مثلها
ولا استشرقت فيها على الأرض أبرك . . الخ

وكثيرا ما تتردد في قصائده الغزلية بعض الأسماء التي تعودناها منذ شعرائنا القدامى كقصيدة «الأيام»(٥٠) وقصيدة «مناجاة»(٥١) وكأني به يستلهم التراث العربي القديم متمثلا بهذه الأسماء التراثية.

وكذلك يسهم شاعرنا في الرثاء، فنجده يرثي والدته بقوله :(٥٢)

أمي كفاني يوم بنت هداك
وحبا فؤادي بالرضى مولاك . . الخ

ومن الرثاء السياسي عنده رثاء سعد زغلول حيث يقول في ذلك :(٥٣)

لم تأت ظلما وما أحدثت تبديلا
فارزق عبادك تفويضا وتجميلا
ما فقد زغلول خطب يستهان به
فابعث بكل بلاد منك زغلولا
رعى المهيمن روحا رفرفت ومضت
وحاط نعشا على الأعناق محمولا . . الخ

وكذلك يرثي المرحوم عبدالله بن صالح المطوع أحد أبناء الامارات فيقول :(٥٤)

قل أجمع الشعب والتفت قرارته
على الفقيد الذي حلت خسارته

على ابن صالح عبدالله فهو وإن
قد سار عنا فما سارت مرارته

ومن أجمل مراثيه ـ تلك المرثية التي سجل فيها الود العظيم الذي تضمه جوانحه لصاحب المنار «رشيد رضا» الذي جمعته به المودة الأدبية، وتبدو فيها أصالة العلاقة الأدبية الكريمة، فمن قصيدة طويلة في ذلك يقول :(٥٥)

غرر الليالي ما لهن دوام
مات الحبيب وهكذا الأيام
هذي المنار تلوح فهي يتيمة
أخذت بها وبلبها الآلام . . الخ

الدراسة الفنية :

بعد هذا الاستعراض لموضوعات الشعر عند سالم بن علي العويس، لابد من وقفة نستعرض خلالها أهم الملامح الفنية التي تميز بها شعره، فلا نصدر في أحكامنا قبل الوقوف على أسس ننطلق منها، فكثيراً ما نجد بعض الأحكام التي يصدرها أصحابها متأثرين بعاطفة آنية أو انفعال مؤقت، تكون نتيجة صورة غير حقيقية تبعدها عن الواقع، وسأتناول هنا مجموعة من الملاحظات الفنية التي تتعلق بالقصيدة الشعرية لدى الشاعر سالم العويس لما لهذه الملاحظات من أثر في الوصول إلى أحكام سأتوخى فيها الموضوعية بعيداً عن أي عاطفة أو تسرع، وخاصة أن الشاعر يمثل مرحلة متقدمة للشعر في دولة الامارات العربية المتحدة.

أولا : منهج القصيدة : بينا في دراستنا الموضوعية أن أغراض الشعر تنقسم في ديوان الشاعر إلى قسمين، تقليدي تناول فيه الشاعر الاغراض التقليدية كالمديح والرثاء، والغزل، وقسم آخر تناول فيه مجموعة من الاغراض التي برزت في عصر النهضة، وتلاءمت مع مجموع الظروف المحيطة بالشاعر، وقد نهج الشاعر في القسم الأول نهج القصيدة القديمة في بعض الأوقات، كأن يبدأ بمطلع طللي، فيقف على الأطلال ويبكيها، مستوحياً تلك الصور التي وقف عندها شعراء العربية فنرى قوله مفتتحا إحدى غزلياته :(٥٦)

هلا ادخرت ليومك المنهال
دمعاً يقوم بواجب الأطلال

إلى قوله :

طلل لعزة لم تغب آياته
ويقيم لي من أهل عزة خالي
ماكنت أعرف يوم عزة سلوتي
في الناس غير غرارة الأطفال . . الخ

وفي قصيدة مدحية يمدح فيها أحد آل سعود نجده يفتتحها بقوله :(٥٧)

عج بالديار وقبّل ربعها الخالي
إما مررت وعانق روحها الغالي
وقفت أسفح دمعاً كاد يقتلني
من الوجيعة في أطلال جرفال

ونلاحظ أن الشاعر إنما يلجأ إلى المطلع الطللي في الأغراض التقليدية فقط، أما إذا كان الموضوع جديداً فإننا نجده يدخل في موضوعه مباشرة دون تلك المقدمات التقليدية، ويذكرنا هذا بأولئك الشعراء العباسيين الذين دعوا إلى نبذ المقدمة التقليدية واللجوء إلى المقدمات الملائمة للعصر، فقد وقف مجموعة من الشعراء معارضين لهذا التقليد، وعلى رأسهم أبو نواس، ولكنهم مع ذلك يعودون إلى المقدمة الطللية عندما يقفون أمام الخلفاء أو القادة، إرضاء للأذواق التي ألفت هذا النمط، أو بناء على مطالبة الممدوح للشاعر صراحة بذلك، فهذا أبو نواس يعبر عن رغبة الاتجاه الرسمي بقوله :(٥٨)

دعاني إلى وصف الطلول مؤمر
يعز عليّ أن أرد له أمرا

فسمعا أمير المؤمنين وطاعة
وإن كنت قد جشمتني مركباً وعرا

ولا شك أن شاعرنا يلجأ إلى هذا المطلع من باب التقليد المحض متأثراً بثقافته واطلاعه على شعر القدماء من ناحية، وتقديره لهذا التراث واعجابه به من ناحية ثانية.

ثانياً : اللغة الشعرية : عاش شاعرنا في فترة زمنية هيأته لأن يمثل شعر الامارات في عصر النهضة، تلك النهضة التي تمثلت بمدرسة الاحياء، حيث ارتكزت على القديم، وجعلته نموذجاً يحتذى. فكان القديم زادها الذي تزودت به، وتتبعت خطاه في طريقها لرسم الشخصية التي مثلتها فيما بعد، وارساء قواعد المدرسة التي حملت على عاتقها الأخذ بيد الأدب وبعثه من رقدته سواء في منهج القصيدة أو لغتها أو موسيقاها، وكانت اللغة الشعرية عند شاعرنا تمثل هذا القديم، وقد انعكس هذا في مجموعة من الألفاظ التراثية، تلك الألفاظ التي نشم منها رائحة القديم، بما فيه من أصالة، ورجوع إلى الجذور، فنرى قوله :(٥٩)

أواه قد جرف الغرور كرامة
من دونها العيوق والجوزاء

والعيوق والجوزاء من الكواكب، وقد ورد ذكرهما في الشعر القديم وضرب ببعدهما المثل فقيل : «أبعد من مناط العيوق»(٦٠)
وقال ابن المعتز :(٦١)

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرط أرادته وقد سقطا

ونراه في قصيدة يقول :(٦٢)

لا تهدأ الدار حتى تنفح العيس
وليس زاد العلا غش وتدليس

ولا يخفى ما في كلمة العيس من توغل في التراث اللغوي، ونجده كذلك يكثر من ذكر الأسماء القديمة التي تغنى بها شعراء العربية ورددوها، فمن ذلك قوله (٦٣):

تلك الخلافة قد بانت معالمها
أكرم بوارث قحطان ومعتصم

فذكر قحطان كناية عن العرب، وذكر المعتصم كناية عن الحادثة التاريخية المعروفة، ثم نراه يعجب بهذه الأسماء القديمة، وكأنه يرى فيها إحياء للتراث الاسلامي العربي، وبعثًا للمجد الغابر، فيقول :(٦٤)

بغداد تشهد بالجميل وجلق
ويولولون وتسهر الحمراء

وجلق اسم دمشق القديم، والحمراء دار الحكم في غرناطة الاسلامية.

ويدخل في هذا الباب تلك الأسماء الغزلية الرمزية التي كثر ورودها على ألسنة الشعراء القدماء، فاستوحاها الشاعر كقوله :(٦٥)

رسم لأسماء لم يطمس على القدم
يلوح كالنجم أو كالنار في العلم

وقوله :(٦٦)

نبكي سعاد وليلى في مراثينا
ولا سعاد ولا ليلى تعزينا
نبكي لعزة أطلالا مهدمة
كانت هوانا وكانت في روابينا

وكما وجدنا هذه الألفاظ والأسماء، نجده أيضاً ابن عصره في استعمال الألفاظ الدالة على المستحدثات العصرية، ففي مدحه للملك عبدالعزيز آل سعود وذكر مناقبه واصلاحاته يقول :(٦٧)

الملك شيد فلا مناص لجاحد
واليك طياراته وبريده
المسجدان مرفهان من الهنا
ورصيف بين المروتين شهيده
والغاديات الرائحات ومركز
للكهرباء يغير عنه وقوده
ومنضد فوق الرصيف له الفضا
والباخرات الماخرات تزيده
خشب ونعل للترام وعدة
لتلذ في البيت الحرام وفوده

ومن ذلك أيضاً قوله مستعملا بعض الكلمات العلمية الحديثة :(٦٨)

ماثم غير الهيدروجين وثابت
من دونه لا ينفع التدبير

فالتعبير بكلمة الهيدروجين للدلالة على «التفجير» لأنه العنصر الرئيسي في هذه العمليات التي أضحت سمة من سمات العصر، وهو من عناصر الحربين العالميتين.

ويبدو أثر الثقافة الاسلامية في شعره، وخاصة أن القرآن الكريم هو المعين الأول لثقافة الشاعر، لذا نرى الألفاظ القرآنية تتردد كثيراً في شعره كقوله :(٦٩)

لا يستوي من يعلمون وإنما
يتخبط الجهال بالشبهات

إشارة إلى قوله تعالىٰ : «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»(٧٠)
وفي حديث يوجهه لأصحاب السفن، ويحذرهم سوء العاقبة يقول :(٧١)

ماقوم هود أو شعيب وصالح
منهم ببعيد والخراب الحالي

إشارة إلى قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : «وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد»(٧٢).

ويضيق المقام عن تتبع ما ورد في شعره من هذا الباب، فهي من الوفرة بحيث لا يضل طالبها.

وقد حاول الشاعر أن يظل محافظاً ـ قدر طاقته ـ على صحة اللغة وديباجتها، ولكننا في كثير من قصائده نجده يلجأ إلى الألفاظ التي يغلب عليها الاستعمال العامي، حيث تضيق هنا ملكته اللغوية فيضطر، إلى ذلك اضطراراً، وقد يكون ذلك من قبيل عدم معرفته الدقيقة بأصول اللغة فنجد قوله :(٧٣)

«وما في» مقيم في الخليج بليد

وقوله :

أتاني كتاب «كهرب الجو» فانبرت

وقوله :

معان من «الطرز الرفيع» مكانه

وقوله :

يطوي البلاد كأنه «الوابور» وأظنه يعني القطار

وهي كثيرة جداً في الديوان. كما نجده يشتق بعض المشتقات على غير قياس أو استعمال كقوله :

ونظامها للمبصرين «هداء» فاشتق هداء من هدى بمعنى الهداية وكقوله :

وسوابح أعيا الزمان «خطارها» فأخذ كلمة خطار بهذه الصيغة ولم تستعمل الصيغة بمعنى «الخطر» أو بمعنى «السير» الذي بهما يمكن توجيه المعنى، ونجده يقول في موضع :

ما للقرى وهي ذات الباع ضامرة
وعندها الجند والبزل العواميس

فقد استعمل كلمة «البزل» قاصداً جمع البالغة من الابل وهي «بزل» جمع «بازل» و «بزول» وأما «البزل» بالسكون فمعناها العنز ولا يخفى الخلل، كما أنه

وصف هذا الجمع بقوله «العواميس» يريد ان هذه الابل شديدة قوية كالاسد، و«العموس» و«العميس» هو الأسد الشديد وجمعها «عُمُس» و«عُمْس» وهذا كثير في شعره.

ويؤخذ على الشاعر بعض الأخطاء النحوية كقوله :

ومكبل رهن الحديد كأنه
مالذ قط ولم «يطيب» هجوده

فلم يجزم الفعل «يطيب» ولو جزم لكسر البيت، وكقوله :

كي «تدفعينهم» إلى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال

فلم ينصب الفعل «تدفعينهم» ولو نصب لكسر البيت أيضاً :

ثم ننظر إلى قوله :

والنوم يأخذ كل صاحب يقظة
والليث وهو يغط ذو المخلاب

فقد غمض المعنى في البيت حتى صعب على الفهم، «فالليث» موقعها النصب لأنها معطوفة على «كل» مفعول يأخذ، وكذلك «ذو المخلاب» ولكنه أتى بهما مرفوعين فحدث الغموض.

ونجد كثرة استعمال الضمائر عند الشاعر، وهي في كثير من المواضع تسيء إلى المعنى وتفقده الوضوح، فلا نجد مرجعاً للضمير كقوله :

حرب تدب وأمرها يتشعب
قدر يجنبها السلام ويسغب

وقوله :

مضى علم الاسلام واتجه الركب
ويضحكني هذا الغثاء إذا تكبو

فقوله «يجنبها»، و«تكبو» لامرجع للضمير فيهما.
كما نراه يدل بضمير الجمع على المثنى كقوله :

يا نهضة الشرق قومي علمي قومي
عليك مني تحياتي وتسليمي
«ليسوا» سواء قضيب غير ذي عوج
ومهمل يابس من غير تقويم

فقال «ليسوا» وحقه أن يقول «ليسا» وقد نجده في بعض الاحيان يضطر الى استعمال ما لا موجب لاستعماله ولا مبرر له، وانما يدفعه إلى ذلك اقامة الوزن كقوله :

حتى أتى ملك حاشاه من بشر
هذا وتعرفه لو تنطق السحب

فاسم الاشارة هنا قد زج ولا موجب له غير الوزن، وكذلك قوله :

هو الدهر أقسى بالضعيف وأعسف
ولا الدهر أولى بالرجال وأعرف

فلا مبرر لوجود حرف النفي «لا» فالمعنى لا يستقيم معه. وقد يخطىء التعبير وتخونه العبارة، فيأتي بما يناقض المعنى الذي يريده، كقوله في محبوبته :(٧٤)

رعاها وحياها هواء مبرح
يسيخ له أيدي الجمال فتبرك

فقد دعا عليها «بالهواء المبرح» الذي تسيخ له أيدي الجمال فتفقد صبرها ولا تستطيع مواصلة السير، وإنما أراد أن حبه لها وهيامه بها يرعاها ويحييها، ومن هذا القبيل قوله :(٧٥)

صحونا ومن صحت عقائدهم لهم
طغى الجهل فيهم ثم غاض التكلم

فكيف يكون الصحو وصحة العقيدة طريقاً لطغيان الجهل ؟

ثالثاً : الصورة الشعرية : يلجأ الشعراء عادة إلى الصور الفنية بغية الوصول إلى توضيح الفكرة، وكلما ازدادت الموضوعات التي يطرقها الشعراء ازدادت الحاجة إلى الصورة الفنية، وإذا كان شاعرنا سالم العويس في الامارات يمثل الشعراء الذين نهجوا نهج القدماء فلا شك انه سيعمد إلى كثير من الصور التي طرقها القدماء ليقدم لنا رسماً فنياً لموضوعه، وتزداد صلة الشاعر بهذه الصور عندما يكون موضوعه تقليدياً، فهو عند حديثه عن الخلافة مثلا يبدأ بهذه الصورة الطللية فيقول :(٧٦)

رسم لأسماء لم يطمس على القدم
يلوح كالنجم أو كالنار في العلم
رسم لأسماء من عهد الرسول له
ذكر مبين وشأن غير منكتم

وصورة الطلل والرسم في الشعر العربي من أوائل الصور وأقدمها وهو في حديثه هذا يعكس ما أراد الشعراء تصويره من زوال الأثر وانمحائه، فبقاء الرسم طرقه الشعراء قديماً، وقد رأينا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في رثائه للرسول (صلى الله عليه وسلم) يرسم هذه الصورة بقوله :(٧٧)

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

كما أن صورة العلم الذي في رأسه نار رأيناها عند الخنساء بقولها :

وإن صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

وصورة الحرب يرسمها في قصيدة يتحدث فيها عن اجهاض ثورة فيصل الدويش سنة ١٣٤٨ هـ والقاء القبض عليه فيقول :(٧٩)

غزى بمخيسات كالروابي
يطأن الأرض باعاً ثم باعا
ولو شاء انتهبن الأرض نهباً
بلا أين وخلفن السراعا

فهي معركة يستوحي فيها الشاعر صورة المعركة القديمة بنوقها وجمالها، بل إنه يكني عن المعركة بما كنى عنه زهير بن أبي سلمى فيقول :(٨٠)

ولا تبعثوا قبل التمام ذميمة
فمعولها في هدمكم أي معول

وكأنه ينظر إلى قول زهير في معلقته يصف الحرب :(٨١)

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم

وتكثر هذه الصور التي طرقها الشعراء قديماً في شعر شاعرنا ونستعرض بعض هذه الصور فنجده يقول :(٨٢)

فمن لم يمت بالسيف مات من العصا
ويستعبد الأفراد ألفئة الألب

فهو ينظر إلى قول ابن نباتة السعدي :(٨٣)

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والداء واحد

وقوله :(٨٤)

تسيل على حد الظباة نفوسها
إذا عصفت بالظلم أهل الجزائر

فهو ينظر إلى قول عمرو بن شأس :(٨٥)

تسيل على حد الظباة نفوسنا
وليست على غير السيوف تسيل

وقوله :(٨٦)

قد التفت الأحرار عنه فاصبحت
«فعرفاء» إن ساءوا وزهلول «أرقط»

فهو ينظر الى قول الشنفرى :(٨٧)

ولي دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

وقوله :(٨٨)

إن الرسول لنور يستضاء به
وما سواه إلى هديٍ بمعصوم

فهو ينظر إلى قول كعب بن زهير في بردته : (٨٩)

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وقوله :

بلادي وإن لم تؤوني لكريمة
وقومي وإن طاردوني لأكرم

فهو ينظر الى قول البحتري :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

وقوله :

وما أنا الا من غزية إن غوت
غويت ومن لي أن تطول رقابها

وقوله :

وما هي الا من غزية إن غوت
تعذر عنها بالقيام وقودها

فهو ينظر فيهما إلى قول دريد بن الصمة :(٩٠)

فهل أنا إلا من غزية ان غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهذه الصور كثيرة جداً في شعره، وإنما اشرت الى بعضها مكتفياً به، لأنها تشي باطلاع الشاعر على التراث القديم وتبين لنا مصدراً هاماً من مصادر شعره، ولكنه لم يتوقف عند نقل الصورة القديمة بمبانيها التي بنيت عليها للدلالة على معنى، فقد نجده يستغل الصور فيقلبها لتخدم موضوعه وتتلاءم مع معناه كقوله :(٩١)

لظلم ذوي القربى أرق وأرحم
إذا علم الانسان من هو أظلم

وكأنه يعارض طرفة في رأيه، فهو كي يصور بشاعة الاستعمار يستمرىء ظلم ذوي القربى الذي استبشعه طرفة في قوله :(٩٢)

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

وكذلك نراه يقارن بين كثرتنا وقلة أعدائنا، ومع ذلك فهم المنتصرون علينا فيقول :(٩٣)

وما ساءني إلا بأن عديدنا
كثير وعد الظالمين قليل

فهو يقلب معنى قول السموأل :(٩٤)

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

وهكذا تتلون صور تعامله مع الصورة الشعرية القديمة، وقد يولد صوراً من القديم تبدو وكأنها مبتكره، فعند حديثه عن الأمة العربية وماضيها التليد وتبدل الحال عليها يقول :(٩٥)

تطوى السنين الغابرات وتنجلي
غدراً تبدل ماؤها بسراب
لُكْ ما استطعت فما تلوك هو الحصى
والهدم إن مضغ الحصى في الناب

وقديماً وجدنا الفرزدق يصور قوة قومه وشدة بأسهم فيقول :(٩٦)

أما العدو فإنا لا نلين لهم
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وهي صورة جميلة طرقها الشعراء للدلالة على شدة البأس فنجدها في قول الأعشى :(٩٧)

كناطح صخرة يوماً ليفلقها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

هكذا هي صورة الأمة التي يريدها شاعرنا، صامدة متماسكة، هيهات أن تخضع أو تلين، فمن تعود الأنفة والسيادة لايذل فهو يرسم صورة هذه الأمة بصورة مبتكرة جميلة في قوله :(٩٨)

أمن الأسود تروضون حلوبة
بعدا ألا شلت يد الحلاب

وفي نفس القوة يستهزيء باستنزاف قوى الشعب، ومحاولة اخضاعه بالقوة فيصور لنا رفض الانصياع بقوله :

وسائل العلم ليست في مدافعكم
ما أنبت الماء من صم الحصى طينا

وهو يصور التحالف مع الاعداء، والتنكر للأهل والأصدقاء بقوله :

عجباً تنام مع الأسود ولا ترى
إلا أخاك من الهواجس غولا

وإذا أراد أن يرسم صورة الحيرة فإنه يلجأ إلى صورة معروفة مألوفة لدينا، تلك هي صورة الحجر الذي يجثم على الصدر، فيثقله ولا يملك حامله حراكاً، فهو يقف أمام موقف الامام يحيى إمام اليمن في خلاف وقع بينه وبين الملك عبدالعزيز آل سعود محتاراً فينقل صورة الحيرة بقوله :

من لي إلى اليمن الحبيب رسولا
أبناء يعرب والملوك الأولى
انبت لكم سود الصحائف مقولا
وتعودت أن تفعلوا ما قيلا
فكأنني من بعد ما طالعتها
حجر بصدري أو حملت ثقيلا
حيران أمشي القهقرى في خطوتي
من بعد ما جبت العلا تأميلا

هكذا نرى بعد هذه الجولة في الصورة الشعرية لدى شاعرنا أنه لم يقف جامداً عند الصور القديمة، وإن ظلت مصدراً هاماً من مصادر صوره، ولكنه في موضوعاته الجديدة يطور تلك الصور بما يتلاءم مع الجدة تارة، ويطرق صوراً جديدة تبدو مبتكرة تارة أخرى، وبشكل عام فقد ظلت الصورة الفنية عنده بسيطة واضحة، بعيدة عن التعمق، ولاشك أن الثقافة المحدودة للشاعر كان لها كبير الأثر في ذلك.

رابعاً : الأوزان والقوافي : لقد ظل الشاعر محافظاً على الأوزان الخليلية المعروفة، كما ظل ملتزماً بالقافية الموحدة للقصيدة، فلا نجد في ديوانه خروجاً عن هذا التقليد سوى في قصيدة واحدة يسدس فيها قصيدة للشاعر السوري محمد البزم، حيث نوع القافية وقد قادته المحافظة على هذا النهج الخليلي إلى بعض الضرورات الشعرية كقوله :

ولا تنفع الشكوى ولا يردع «الحسْب» بتسكين السين في كلمة «الحسْب» وحقها الفتح وفي نفس القصيدة يقول :

ويستعبد الاحرار «ألفئة الألب» فقطع همزة الوصل في كلمة الفئة وكلاهما لو صحح أخل بالوزن وكقوله :

«ماقوم هود أو شعيب وصالح»، فقد اضطره الوزن الى عدم تنوين شعيب، وهي كلمة مصروفة.

وأما القافية، فنجده يقول :

وما سن مثل الاضطرار طريقة
وأفسد مثل النوم والأكل والشرب

وبعده قوله :

ولا عيش إلا بعد حرب أليمة
ولا ظلم الا في عواقبه حرب

وقد انطبق معنى البيت على حال شاعرنا في اضطراره فقد ارتكب عيباً من عيوب القافية وهو الاقواء فكسرها وبعدها ضم،وهذا ما نبه عليه أهل المدينة النابغة الذبياني في قوله :(٩٩)

زعم البوارح أن رحلتنا غداً
وبذاك حدثنا الغراب الأسودُ

بعد قوله :

أمن آل مية رائح أم مغتدي
عجلان ذا زاد وغير مزودِ

ونجد هذا يتكرر عنده، فنراه في قصيدة أخرى مرفوعة الروي يقول فيكسر الروي :

ولا يوم إلا وهو يبني بلادنا
يشيد ومن بين الخرائب يهدم

وكذلك نجد عنده عيوباً أخرى في قوافيه «كالاصراف» في قوله :
والله ينصر من يصون «عهوده» -
حيث أن روي القصيدة بالرفع وعهوده مفعول يصون منصوبة.

ويطول بنا المقام في تتبع هذه الضرورات، ولعل فيما نكرنا ما يفي بالغرض.

وبعد :
فإننا بعد هذه الجولة التي استعرضنا فيها الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر سالم بن علي العويس، نرى أن الشاعر قد طرق أبواب الشعر، فتعرض لمجموع الأغراض الشعرية الأساسية القديمة وأضاف إلى تلك الأغراض مازخرت به الحياة الجديدة، فتفاعل معها، وخاض بها، ولم يأل جهداً في المشاركة بما يحيط به، وفيما يهم مجتمعه، وقد كان الشاعر متميزاً بهذا الاستقصاء في الموضوعات وهذا مما يسجل له، ومما يجعله يمثل بحق شاعر الامارات الذي رسم لنفسه طريقاً سار عليه، ولم يحد عنه في شعره، ولا شك أنه يمثل صاحبه، وقد تمثل هذا الطريق بمجموعة من المبادىء التي برزت في مواقفه الواضحة من بعض القضايا التي تتعلق بالوطن العربي عامة. أو منطقة الخليج العربي خاصة، فمن ذلك ما نجده في دعوته إلى النهوض من السبات العميق الذي غفلت فيه أمتنا العربية، لاعادة أمجاد أجدادهم العرب القدماء من المحيط الى الخليج :

فليحيي ما طمس العفا آثاره
من طارق حتى خليج القلزم

وهذا يدعوه للايمان الصادق بأصالة هذه الأمة منذ جاهليتهم.

ماخامر الشك لي نفساً يزعزعها
ولا رماني بسهم الشك شيطان

آمنت حتى بأهل الجهل من عرب
فوق الجزيرة هم أو حيثما كانوا
بأنهم عانقوا الجوزاء مفخرة
كأنهم في الروابي الشم عقبان

فهذه أمة واحدة لا فرق بين جزيرتها وخليجها، أو مصرها وشامها أو مغربها وعراقها أو يمنها وسودانها.

قالوا خرجت من الموضوع قلت لهم
ما موضع القول الا نكبة القدس
فما فلسطين الا سوريا وهما
الا العراق بلا لبس ولا دلس
هم الأحبة في نجد وفي يمن
وفي عمان وفي أقصى طرابلس
والله مكة سماها بحكمته
أم القرى ليصد القوم للجرس

ثم إن شاعرنا قد وقف موقفاً ثابتاً من الاستعمار أينما كان، وبكل صورة من صوره، وقد أدرك من بعيد أن رأس الاستعمار هو أمريكا وأنها عدو لدود للعرب، وأن اليهود صنيعة أمريكا وربيبتها فكل من وقف معادياً لأمريكا كان على صواب في موقفه، ومن هذا المنطلق كان توجيهه هذا القول :

قل ما تشا ايزنهور
واذهب ذهابك في الهذر
إن اليهود وإن صدد
ت هم الضمير المستتر
ومنابع البترول فيها
انت وحدك مؤتمر

والروس لاضرر بهم
ولأنت ملموس الضرر
والروس لا خطر بهم
أبداً وأنت هو الخطر

وبناء على هذه القناعات ارتسمت في ذهنه الصورة التي يجب أن يكون عليها العربي، كي يكون قادراً على مواجهة أعدائه، فلا بد أن يأخذ العرب بأسباب القوة، فإن صوت القوي هو المسموع، أما الضعيف فإن صوته لا يتجاوز حنجرته :

من يحسبون السلم أنجع مسلكاً
سلبوا الحروب عزيزة الأسباب
والحرب في الأحياء ويحك سنة
والحرب لا تجدي بغير حراب
فاسلك الى سبل السلام محارباً
ومتى وليت فأنت في الأسلاب
لك كل مافوق الثرى مستعمر
فانظر خدين السلم في الأصحاب
والناس لا تولي المسالم لفتة
الا التفاتة غضبة وعقاب
فاخلط فحبل السلم واه وحده
والحرب تسعى وحدها لخراب

وأما الجانب الفني، فقد استعرضت خلاله مجموعة من القضايا التي تتعلق بالقصيدة،من حيث بناؤها، ولغتها، وموسيقاها، وصورها وإن كانت هناك بعض الهفوات قلّت أو كثرت فإننا نلتمس العذر لشاعرنا، وقد كان رحمه الله مدركا حقيقة هذه الهفوات، وكان يشعر بهذا، ولم يكن مدعياً مغروراً، فلم يجد بأساً في تسجيل مشاعره تجاه فنه، ففي قصيدته «الشعر نفحة الشعور» يسجل بكل صدق تقصيره معللا ذلك التقصير بقوله :

اقول وإني ما حييت فخور
أذ الصاع من جهد العقل كثير
وإن تنتقد مني ركاكة مقولي
فقولي لفهم السامعين اسير
وما الشعر الا نفحة من محيطه
فكيف وما بالسامعين شعور
ولو أن قومي مرتقون وجدتني
مجيداً وهم لي جذوة ونشور
ولكن لي منهم جناحي مكسر
يرف ولكن لا يطيق يطير
إذا أنت حادثت السميع تفجرت
عليك من القول المتين صخور
وإن أنت حادثت البليد تبادرت
إليك معان كالبلادة بور
إذا جاء منك الشعر حياً فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وإن جاء منك الشعر ميتاً فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور

وإذا جاز لنا أن نتغاضى عن هذه الهفوات آخذين بعين الاعتبار بالاضافة الى ما ذكره في قصيدته مجموعة من العوامل أهمها عزلة منطقة الخليج عن المنابع الثقافية في ذلك الوقت، ووضعها السياسي، وعدم توفر الكثير لشاعرنا كي يصقل موهبته وينمي شاعريته، فإننا نجد أنفسنا نعذر هذه الموهبة الفنية التي كان يمكن أن تؤدي دوراً أكثر فعالية وتحتل مكانة أسمى في عالم الشعر لو أتيحت لها الفرص، وتهيأت لها الظروف.

ولهذا فإننا نجد أنفسنا أمام هذه المعطيات مضطرين للاعراب عن تقديرنا لهذه الموهبة التي لو لم يكن لها سوى السبق، والندرة في هذه الحقبة الزمنية، وبهذه البقعة المكانية لكان كافياً.

ولا يفوتني هنا أن أتوجه بالشكر لمن ساعد في نشر هذا الديوان الشعري الوحيد الذي يمثل هذه الفترة في شعر دولة الامارات العربية المتحدة، والذي أتمنى عليه أن يعيد النظر فيه لكثرة الأخطاء التي تؤدي في كثير من الأوقات الى سوء فهم النصوص الشعرية فيه، وخاصة أن الحاجة اليه ماسة لأنه يمثل مرحلة مجهولة من شعر الامارات وأتوجه أيضاً الى أولئك الذين تربطهم بأدباء هذه الفترة أو قبلها أو بعدها روابط قربى أو صداقة، ولديهم من شعرهم المخطوط ــ وأعتقد بوجود مثل هذا التراث ــ مهما كان قليلا أن يعملوا على اخراجه الى النور من باب الوفاء للآباء والأجداد من ناحية، ومن باب خدمة الوطن والأدب من ناحية ثانية، فلعله يتوفر لدى الدارسين مادة أدبية يمكن أن تكون ميداناً لدراسات قادمة يقوم بها أبناء هذا البلد إن شاء الله.

الهوامش

١ ــ ينظر الحركة الشعرية في الخليج العربي د. نورية الرومي ص ١١.
الادب المعاصر في الخليج العربي د. محمد عبدالله الطائي ص ٩
فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي د. محمد حور ص ٨ .
النقد الادبي الحديث في الخليج العربي د. محمد عبدالرحيم كافود ص ١١
٢، ٣ ــ الحركة الشعرية في الخليج العربي د. نورية الرومي ص ١١
٤، ٥ ــ مقدمة ديوان نداء الخليج سالم بن علي العويس.
٦ ــ نفس المصدر السابق
٧ ــ نفس المصدر السابق ص ٢٢٨
٨ ــ نفس المصدر السابق ص ١٦، ١٧
٩ ــ نفس المصدر السابق ص ١٠٠
١٠ ــ نفس المصدر السابق ص ١٠١ ــ ١٠٢
١١ ــ نفس المصدر السابق ص ٦٦
١٢ ــ نفس المصدر السابق ص ١٠٥، ١٠٦
١٣، ١٤ ــ نفس المصدر السابق ص ١٤٨ ــ ١٥٠
١٥ ــ نفس المصدر السابق ص ٣٠ ــ ٣١
١٦ ــ فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي د. محمد حور ص ١٥

١٧ ـ اشار الدكتور محمد حور في المرجع السابق ص ١٥ الى ان خالد الفرج اول الشعراء الخليجيين الذين نظموا شعراً في قضية فلسطين حيث نظم قصيدة سنة ١٣٤٨ هـ تحدث فيها عن الهجرة اليهودية وازديادها الى فلسطين، وتحرك الشعب الفلسطيني لمواجهة هذا الخطر. وسنرى ان الشاعر سالم العويس قد نظم قصيدة في نفس السنة حول تعصب الانجليز لليهود في فلسطين فيكون شاعرنا والشاعر خالد الفرج قد نظما في نفس العام حول هذه القضية.

١٨ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٣٢

١٩ ـ نفس المصدر السابق ص ٦٧

٢٠ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٠٨.

٢١ ـ نفس المصدر السابق ص ٢١ ـ ٢٢

٢٢ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٣٦

٢٣ ـ نفس المصدر السابق ص ٦٧

٢٤ ـ نفس المصدر السابق ص ٨٤ ـ ٨٥

٢٥ ـ نفس المصدر السابق ص ٨٥

٢٦ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

٢٧ ـ نفس المصدر السابق ص ١٦٣

٢٨ ـ نفس المصدر السابق ص ٥٥

٢٩ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٨

٣٠ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٩

٣١ ـ نفس المصدر السابق ص ٧٣

٣٢ ـ سورة البقرة ٢٧٨ ـ ٢٧٩

٣٣ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٤١

٣٤ ـ نفس المصدر السابق ص ٥٨

٣٥ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٣١ . ٢٣٥

٣٦ ـ نفس المصدر السابق ص ١٢٨

٣٧ ـ نفس المصدر السابق ص ١٨٥ ـ ١٨٦

٣٨ ـ نفس المصدر السابق ص ٤١ ـ ٤٢

٣٩ ـ نفس المصدر السابق ص ١٦٦ ـ ١٦٧

٤٠ ـ نفس المصدر السابق ص ١٩٠ ـ ١٩١

٤١ ـ نفس المصدر السابق ص ٥٠

٤٢ ـ نفس المصدر السابق ص ٥٨

٤٣ ـ نفس المصدر السابق ص ٧٠

٤٤ ـ نفس المصدر السابق ص ٣٢

٤٥ ـ نفس المصدر السابق ص ٢١١

٤٦ ـ نفس المصدر السابق ص ١٦٤

٤٧ ــ نفس المصدر السابق ص ١٥٨
٤٨ ــ نفس المصدر السابق ص ٦٣
٤٩ ــ نفس المصدر السابق ص ١٢٠
٥٠ ــ نفس المصدر السابق ص ٥٣
٥١ ــ نفس المصدر السابق ص ٧٢
٥٢ ــ نفس المصدر السابق ص ٤٨
٥٣ ــ نفس المصدر السابق ص ٨٢
٥٤ ــ نفس المصدر السابق ص ١٦٠
٥٥ ــ نفس المصدر السابق ض ٢٢٥
٥٦ ــ نفس المصدر السابق ص ٥٣
٥٧ ــ نفس المصدر السابق ص ٢١٣
٥٨ ــ ديوان ابي نواس/ ٢١/ تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي/بيروت
٥٩ ــ ديوان نداء الخليج ص ٩
٦٠ ــ مجمع الامثال للميداني/ج ١/١١٥/ المثل رقم ٥٧٥
٦١ ــ شعر ابن المعتز/ تحقيق يونس احمد السامرائي جـ ١/٣٠
٦٢ ــ ديوان نداء الخليج ص ٤١
٦٣ ــ نفس المصدر السابق ص ٥٧
٦٤ ــ نفس المصدر السابق ص ٩
٦٥ ــ نفس المصدر السابق ص ٥٧
٦٦ ــ نفس المصدر السابق ص ٧٢
٦٧ ــ نفس المصدر السابق ص ٣٣، ٣٤
٦٨ ــ نفس المصدر السابق ص ١١٢
٦٩ ــ نفس المصدر السابق ص ٢٨
٧٠ ــ سورة الزمر/ ٩
٧١ ــ ديوان نداء الخليج ص ٥٠
٧٢ ــ سورة هود/ ٨٨
٧٣ ــ ديوان نداء الخليج ص ٣٠
٧٤ ــ نفس المصدر السابق ص ١٢٠
٧٥ ــ نفس المصدر السابق ص ١٣١
٧٦ ــ نفس المصدر السابق ص ٥٧
٧٧ ــ ديوان حسان بن ثابت / دار صادر/٥٤
٧٨ ــ تاريخ الادب العربي/ د. عمر فروخ/ دار العلم للملايين/ جـ ١/٣١٩
٧٩ ــ ديوان نداء الخليج ص ٢٠٥
٨٠ ــ نفس المصدر السابق ص ٢١٦

=

٨١ ـ المعلقات السبع للزوزني/ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد/ ١٥٦
٨٢ ـ ديوان نداء الخليج ص ٢٥
٨٣ ـ وفيات الاعيان/ لابن خلكان/ تحقيق د. احسان عباس/ ج ٣/ ١٩٣
٨٤ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٠٢
٨٥ ـ الامالي/ ابو على القالي/ دار الآفاق/ لجنة احياء التراث/ ج ٢٦٩/١
٨٦ ـ ديوان نداء الخليج ص ١١٩
٨٧ ـ ذيل الامالي/ ابو علي القالي/ دار الآفاق/ ٢٠٣
٨٨ ـ ديوان نداء الخليج ١٢٩
٨٩ ـ تاريخ الادب العربي د. عمر فروخ/ ج ١/ ص ٢٨٥
٩٠ ـ جمهرة اشعار العرب/ ابو زيد القرشي/ تحقيق د. محمد علي الهاشمي/ دار القلم/ ج ٥٩/١
٩١ ـ ديوان نداء الخليج ١٣٠
٩٢ ـ المعلقات السبع للزوزني/ ص ١٢٣
٩٣ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٩٣
٩٤ ـ الامالي/ للقالي/ ج ٢٦٩/١
٩٥ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٤
٩٦ ـ ديوان الفرزدق ج ١/ ٢٤٤
٩٧ ـ ديوان الاعشى الكبير/ تحقيق د. محمد محمد حسين/ دار النهضة/ ص ١١١
٩٨ ـ ديوان نداء الخليج ص ١٥
٩٩ ـ الشعر والشعراء ابن قتيبة/ ج ١/ تحقيق احمد محمد شاكر/ ص ١٥٧ ويراجع كذلك ص ١٩٥.

مراجع الدراسة

حسب ورودها في البحث :
١ ـ الحركة الشعرية في الخليج العربي د. نورية الرومي ط ١ ١٩٨٠ الكويت
٢ ـ الأدب المعاصر في الخليج العربي د. محمد عبدالله الطائي ١٩٧٤ القاهرة
٣ ـ فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي د. محمد إبراهيم حور ١٩٨٤ دبي.
٤ ـ النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي د. محمد عبدالرحيم كافود ط ١ ١٩٨٢ ـ الدوحة.
٥ ـ ديوان نداء الخليج شعر سالم بن علي العويس ط ١ ١٩٨٧ عمان
٦ ـ ديوان أبي نواس تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي بيروت.
٧ ـ مجمع الأمثال للميداني/ ج ١ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
٨ ـ شعر ابن المعتز/ ج ١ تحقيق يونس أحمد السامرائي ١٩٧٨ بغداد

=
٩ ـ ديوان حسان بن ثابت دار صادر
١٠ ـ تاريخ الأدب العربي/ج ١ د. عمر فروخ ط ٢/١٩٧٨ بيروت.
١١ ـ المعلقات السبع للزوزني تحقيق محمد محي الدين عبدالحمد القاهرة.
١٢ ـ وفيات الأعيان/ ابن خلكان جـ ٢ تحقيق د. احسان عباس ١٩٧٠م بيروت.
١٣ ـ الأمالي والذيل لابي علي القالي/ لجنة احياء التراث ١٩٨٠ بيروت.
١٤ ـ جمهرة أشعار العرب/ جـ ١ ابو زيد القرشي تحقيق د. محمد علي الهاشمي ط ١ ١٩٨٦ دمشق.
١٥ ـ ديوان الفرزدق دار صادر بيروت.
١٦ ـ ديوان الأعشى الكبير/ تحقيق محمد محمد حسين ١٩٧٤ بيروت
١٧ ـ الشعر والشعراء لبن قتيبة جـ ١ تحقيق احمد محمد شاكر ١٩٨٢ القاهرة.

● من الدراسات التي قدمت في ندوة الأدب في الخليج العربي التي نظمها اتحاد كتاب وأدباء الامارات، بالتعاون مع الامانة العامة لاتحاد الادباء والكتاب العرب، والمجمع الثقافي في أبوظبي. للفترة من ١٠ ـ ١٥ يناير «كانون الثاني» ١٩٨٨.

قراءة في ادب الامارات
سالم بن علي العويس

شاعر الوجدان القومي العميق وأبو الشعر في الامارات
محمد العبدالله

إن التحري عن تاريخ وجذور الحركة الثقافية في الامارات العربية المتحدة، ورصد الأعلام ورجال الفكر والأدب الذين واكبوا هذه الحركة وانبثقوا عنها، يصطدم بالغياب شبه التام للتوثيق وللمستندات المطبوعة التي تضيء طريق البحث.

فلقد كان على شاعر كبير مثل سالم بن علي العويس، يمثل واحدة من أرومات الحركة الشعرية والثقافية في الامارات، إن لم نقل الأرومة الأكثر بروزاً ووثوقاً، كان عليه أو علينا أن ننتظر حتى عام ١٩٧٩ لكي تظهر أولى أعماله الشعرية مجموعة في ديوان مطبوع بعنوان : «نداء الخليج».

وإذا كان الشعر النبطي وهو الشعر الشعبي في الامارات يشكل مرجعاً ومستنداً لثقافة شعبية، تستطيع تبرير ظاهرة مثل سالم العويس وغيره ممن جاءت أخبارهم وضاعت آثارهم، فإن المسوغ الحقيقي لمثل هذه الظاهرة يجد أسبابه في «الديني» المتوارث وفي حركة التفاعل الحضاري والثقافي التي عرفتها الامارات منذ بداية القرن، حيث راحت بخطى متسارعة تخرج من عزلة دامت عدة قرون.

ومن الفترة الأولى لحركة التفاعل يتبقى لنا شاهد حسب الدراسة التي كتبها علي محمد راشد في مجلة شؤون أدبية التي بدأ يصدرها اتحاد كتاب وأدباء الامارات العدد الأول شتاء ١٩٨٧ هو مخطوطتان تركهما عبدالله صالح المطوع من الشارقة، وحميد بن سلطان الشامسي من أم القيوين الذي أرخ لحكام الامارات تحت عنوان «نقل الأخبار».

لقد ارتبط خروج الامارات العربية من العزلة ونشوء الحركة الثقافية فيها بتطور أسباب وأساليب التجارة والانتقال بين الحواضر الذي استتبع تطور طرق المواصلات واستحداث طرق جديدة. وهكذا فإن فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ وازدهار الخط

البحري للتجارة البريطانية إلى بومباي عبر قناة السويس والذي كانت إمارة دبي إحدى محطاته الرئيسية، قد أعاد ربط الخليج العربي عامة بمصر والشام وبدأت تظهر في المنطقة الكتب والمجلات والصحف الواردة من القاهرة، كما نشطت حركة مراسلة بين هذه المجلات والدوريات والصحف وبين طلائع المهتمين بالأدب في منطقة الخليج، وابتداء من ١٩٠٢ سوف تتعزز حركة التفاعل بالحركة الملاحية الدورية التي نشأت بين دبي وبومباي وستصبح الامارات عرضة لهواء الحضارة الغربية الأوروبية حيث سيكون مركز العلاج الطبي في بومباي وسوق اللؤلؤ الرئيسي فيها، أرضاً صالحة لانطلاقة حركة ثقافية هناك من المدرسة العربية التي أنشأها محمد بن زينل إلى المكتبات الثلاث التي تبيع الكتب العربية الى المطبعة العربية نفسها. ثم كان لفتح الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق سنة ١٩٢٤ أن بدأت تتدفق المطبوعات عن طريق البصرة ومنها مجلة «الفتح» القاهرية التي كان الشاعر سالم العويس مشتركاً فيها.

وكثمرة لهذه الحركة من التفاعل والأبواب التي انفتحت شرقاً وغرباً ظهرت المدرسة الأولى سنة ١٩٠٣ (مدرسة التيمية في الحيرة)، وتلتها بوتائر متسارعة مدارس عديدة أخرى في مختلف أرجاء المنطقة عرفت معلمين من خريجي الأزهر. وعرفت المنطقة زواراً من رجال الفكر العرب أمثال أمين الريحاني وعبدالعزيز الثعالبي (تونسي)، وأخذ مثقفو الامارات يشتركون في تحرير الصحف والمجلات الوافدة إليهم بوساطة المراسلة، مثل مبارك الناخي، ثم توجت هذه الحركة التربوية الثقافية الناهضة بأن حول ابراهيم المدفع دكانه في الشارقة الى المكتبة الوطنية بالتعاون مع الشيخ عبدالله المحمود والأديبين مبارك بن سيف وعبدالله المطوع، ودرجت العادة على اقتناء المكتبات الخاصة : عمران بن سالم العويس، راشد لوتاه وغيرهم . . بعد ذلك توالت الجمعيات والأندية الثقافية لتنتهي الحركة الثقافية مع ابراهيم المدفع الى اصدار صحيفتي «أم القرى» و«عمان» ١٩٢٨.

في هذا الاطار من بدايات حركة التفاعل الثقافي والحضاري الذي عرفته الامارات العربية في بداية القرن، نشأ الشاعر سالم بن علي العويس ليكون تجسيداً عيانياً وشعرياً لثمار هذه الحركة وليكون أيضاً فاتحة النتاج الأدبي في الامارات فيما هذا الأدب تعبير عن آمال وآلام هذه المنطقة وطموح الى الادلاء بدلوها في مسيرة النهضة العربية الصاعدة آنذاك.

ولد سالم بن علي العويس في بلدة الحيرة الواقعة بين إمارتي الشارقة وعجمان

سنة ١٨٨٧ ميلادية وبدأ نظم الشعر في السادسة عشرة من عمره وهو يتتلمذ على الشيخين عبدالصمد بن عبدالعزيز بن عبدالله التميمي وأخيه عبدالوهاب القادمين من نجد، وعمل في دبي بتجارة اللؤلؤ مما جعله يصل الى الهند بين فترة وأخرى، ثم اتجه الى الزراعة بعد أن خذلته التجارة ومرض وتوفي سنة ١٩٥٩ بعد أن ترك حصيلة خمسين سنة من القصائد التي ضاع قسم منها. ذلك أنه ـ كما يقول عبدالعزيز بن ناصر العويس في تقديمه لديوان سالم «قد تناثرت أوراقه هنا وهناك، ذلك أن سالماً كان كثير التنقل والترحال، أو لعله لم يخطر بباله أن تراثه الشعري سيوثق بعد رحيله في كتاب أو أكثر فيحرص عليه».

يحظى الشاعر سالم العويس باحترام وتقدير كبيرين لدى عامة أدباء الامارات وخصوصاً الأدباء والشعراء الشبان الذين يبدون حرصاً خاصاً على التعلق بالتراث والجذور في موازنة مع الاقتلاع الذي تحدثه الثورة البترولية في أنماط الحياة والسلوك. وكأب للشعر في الامارات ومرجع تراثي شبه وحيد له يكاد سالم العويس يتبوأ ساحة خالية يتخذ مركزه الكبير فيها ويعزز هذا المركز بجودة والتزام شعره في مرحلة ومنطقة من المساحة العربية مازال يجهلها الكثيرون: هكذا يقدمه الشاعر الشاب عارف الخاجة باسم اتحاد كتاب وأدباء الامارات الذي يعتزم الاحتفال بمئوية العويس (جريدة البيان ـ الجمعة ٣٠ كانون الثاني ـ يناير ١٩٨٧).

«كان مسكوناً بهاجس أمته، يرف لها قلبه، وتتحرك فيه شرارة التألق الابداعي، كلما أغمضت جفنيها أو فتحتهما . . لم تلهه تجارته أو زراعته عن ارتباطه بقضايا وطنه الكبير وعن هموم الانسان . . كان يجسد شعلة الوعي العميق في فترة كان الظلام سيدها، والجري وراء المشاغل الصغيرة والهموم البسيطة ديدنها . . . » .

ويختتم عارف الخاجة بالقول :

«شاعرنا الكبير سالم بن علي بنْ ناصر العويس، نحتفل هذا العام بمرور مئة عام على ولادته، وسنظل نحتفل طيلة العمر بإبداعاته الكبيرة العامرة بالحس الوطني والنبض النزيه . . لنقول للأجيال المقبلة انظروا كم كان أجدادكم عظماء».

لا يفارق الشاعر سالم العويس في نظمه عمود الشعر الكلاسيكي المعروف، غير أنه عمود رققته أسباب التطور والحضارة، وانتزع الموضوع الملتزم منه غريب الكلام وهو القاصد الوصول الى أفهام الناس وأسماعهم، فنستطيع أن نعتبره بحق واحداً من أعلام الكلاسيكية الجديدة التي انطلقت مع شعراء النهضة العربية : أحمد شوقي، خليل مطران، معروف الرصافي، حافظ ابراهيم، رشيد سليم الخوري، بشارة

الخوري وغيرهم . . نهضة تنازعها قطبان : الاحياء والعودة الى التراث بعد قرون من الانحطاط والاستجابة لمعطيات عصر جديد بدأ يقرع أبواب المنطقة منذ حملة نابليون على مصر وإصلاحات محمد علي وما تبعهما . . وخصوصاً المسألة السياسية التي شكلت حجر الرحى في منطقة بدأت تنتهبها صراعات من نوع جديد على درجة عالية من التعقيد وبدت ساحة لنزاع دولي مرير في الوقت نفسه الذي بدأت نسائم الاستقلال والحرية تهب عليها وهي تتلمس هويتها القومية وشخصيتها المميزة.

ويميل سالم العويس في نظمه ميلا كاسحاً الى الأوزان والأعاريض الأساسية التي تستجيب لدواعي الفخامة والرنين مثل البسيط والكامل والطويل والوافر وتتردد عنده قوافي الباء والراء واللام والميم التي ترددت في دواوين أساطين الشعر الكلاسيكي.

غير أن الموضوع هو ما ينبني عليه شعر سالم العويس وهو الذي يستحوذ على اهتمام صاحبه استحواذاً كلياً، لذلك نراه ينصرف انصرافاً شبه تام عن اللعب البياني والبلاغي ولا يتصيد سوى السوانح الشوارد من طريف الصور التي تأتي عفو الخاطر دون كد ولا استقصاء. ويجد هذا الانصراف عن «التفنن» مسوغه في التزام عميق للشاعر بالقضية القومية وقضايا التحرر عامة كما بالقضية الاجتماعية في بعضه، التزام جعله يقدم المعنى على التشكيل والبساطة على التعقيد الصوري والبياني.

ويطغى هذا الموضوع، السياسي طغياناً تاماً على مجمل قصائد سالم العويس التي تضمنتها أعماله الكاملة بعنوان «نداء الخليج»، لا ينازعه سوى بعض القصائد التي اتجهت الى التأمل الديني والحكمة والوجدانيات النادرة وخارج هذين القطبين السياسة والحكمة قلما نعثر على موضوع أو معنى يستوقف الشاعر أو يشد انتباهه. فمن أصل القصائد الـ «١١١» الاحدى عشرة ومئة التي تضمنها الديوان نقع على اثنتين وعشرين (٢٢) قصيدة في موضوعاتها التأمل الديني والحكم وما تبقى يقع في السياسي مباشرة دون مواربة ابتداء من المناسبة السياسية أو الحادث السياسي الذي يتوقف عنده الشاعر وانتهاء بالمقولات القومية العامة مروراً بقضايا الحياة والصراعات اليومية.

وقد يثير دهشة الكثيرين من الذين لا يعرفون هذا التراث من أدب الخليج والامارات العربية، أن نجد مثل هذا الشاعر الذي يواكب المسألة القومية التي اندلعت منذ بداية القرن وعرفت أولى ثمارها الكبرى في الخمسينات مع الثورة المصرية التي قادها جمال عبدالناصر. وقد تزداد الدهشة لدى هذا البعض أن نجد

الشاعر نفسه يغطي بشعره مساحة المنطقة العربية بأسرها من الجزائر الى مصر الى عمان فالسعودية فالخليج فالعراق وسوريا، ويتجاوز ذلك في وعي سياسي حاد ليدلي بدلوه في قضايا دولية من منطق الالتزام القومي إياه، فنراه ينشد الشعر بمسائل في الهند وفي هيئة الأمم وفي الحرب العالمية الأولى والثانية والصين . . الخ.فإذا نحن ازاء وجدان قومي شامل مجسد في هيئة شاعر، وجدان يهتز لأدق القضايا والمسائل التي تعتري الامة ويستجيب لها أسرع استجابة. يتمحور هذا الوجدان على ثوابت ثلاثة : الوحدة العربية، قضية فلسطين والصراع مع الصهيونية، مناهضة الاستعمار الجديد والقديم، ويتفرع عنها قضايا تفصيلية تصب فيها.

تشغل الوحدة العربية والتضامن العربي تحقيقاً وحلماً جزءاً هاماً كماً ونوعاً من شعر سالم العويس وهي لكثرة ترددها تستحق وقفة عند كل قصيدة منها مما يضيق به المجال، لذلك يمكن أن نكتفي ببعض النماذج للدلالة على هذا الهم والأمل الوحدوي الملازم للشاعر سالم العويس.

فعلى صعيد العناوين ومن حيث اللفظ المباشر نقرأ : الجامعة العربية، لبنان والوحدة العربية، دعوة للتضامن، وحدة سوريا ومصر، الوحدة تراث الأكابر، الوحدة العربية، الوحدة الكبرى، وثمة عشرات القصائد الأخرى التي تشتمل على الموضوع دون أن تسميه لفظاً في العنوان، ومن المفيد أن نقدم بعض النماذج :

من قصيدة الاستعمار والأحلاف التي نظمت في الوحدة بين مصر وسوريا :

وحدتنا الكبرى أثارت وساوساً
لدى الغرب إن الغرب أظلم غالب
رمى المغرب الأقصى بسهم مكيدة
إذا ما رمى زهر النجوم الثواقب
ولكن سنمضي في الصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد إحدى العجائب

من قصيدة الجامعة العربية :

لا مصر مصر ولا الرياض بروضة
للمقتفين ولا بجلق شام

كلا ولا بلد الرشيد رشيدة

إن أهملوا اليمن السعيد وناموا

أو أخلفوا من حضرموت ومسقط

بلداً أو استثنى الخليج نظام

من قصيدة الوحدة تراث الأكابر :

هي الوحدة الكبرى تراث الأكابر

وقل لي هل آمنت أم غير قادر

ولولا زعيم لا يجادل رأيه

حكمت على أحلامنا بالخسائر

ولكنني مما تبينت لا أرى

سوى النجح إن النجح حظ المصابر

المسألة الثانية التي تشكل واحداً من ثوابت الوجدان القومي لدى الشاعر العويس وتتردد في قصائده تردد المسألة الوحدوية هي قضية فلسطين والصراع مع الصهيونية التي عايشها الشاعر منذ وعد بلفور وحتى إنشاء الكيان الصهيوني وما تلاه من حروب وصراعات عربية ـ اسرائيلية، ونكتفي هنا بالشواهد التالية :

من قصيدة القوي . . والضعيف :

دخان العالمية في السماء

يصم أولي الحجا بأولي الهراء

ونادى كل كذاب مبين

بمن لا يستجيب إلى النداء

يهوديون من قاص ودان

وما وعدوه ليس بذي خفاء

من قصيدة أطماع الصهاينة :

ضل اليهود عن الصراط وأدبروا
إن اليهود إلى الخيانة أقرب
قل لليهود دخلتمو في مازق
لن تربحوه وما تسامح يعرب
كم هيئة الأمم التي هي سركم
تلوي وعن ميثاقها تتنكب
قد شردت أهل البلاد وتوجت
من قد نفاهم غاضب أو كاذب

الثابت الثالث من ثوابت الوجدان القومي عند سالم العويس وفي شعره هو الصراع مع الاستعمار، ونلمس في هذه المسألة وعياً ثاقباً يستطيع تمييز الاستعمار الجديد أو الاستعمار المقنع الذي حل في المنطقة بعد انسحاب الجيوش، وهو يسميه باللفظ الصريح في أكثر من قصيدة :

من قصيدة الاستعمار والأحلاف :

فذكّر جنود الغرب كيف تفجرت
أوراس إذ نودي بها للمصاعب
فلا تنس من شردتهم وردتهم
ولا تنس أكباد النساء النوادب
فما هي إلا وحدة عربية
تجابهكم بالجد فوق الحواجب

من قصيدة الاستعمار الجديد :

ان الولايات في جد وفي لهف
تهوى على الشرق والسكان ماكانوا

تلكم سياسة أمريكا وساستها
أن يتبع الحرب اذلال وبهتان
إن المهيضة في ميثاقها أمم
ماقدروها وهم للسلم أركان
قد شوهته فرنسا واليهود ولم
يردعها بعد طول القهر إنسان

من قصيدة الحرب الصليبية :

يامن غزانا أتنجو من أراضينا
فإن نجوت فما تدري بماضينا
قتل النبيين لن ينساه غابرنا
وما نسيناه فادروا كيف تبنونا
كنا على الروم قمنا يوم ثورتنا
وما علمنا لكم إذ ذاك ملعونا
كانت فلسطين من أرجائها عربا
مستعمرين وكنا نحن غازينا

هذا الوجدان القومي العميق يزداد تعمقاً عبر القضية الاجتماعية التي يلتفت إليها سالم العويس أكثر من التفاتة لنجد أنفسنا أمام حس نضالي يرى جيداً تلازم القضية القومية مع القضية الاجتماعية، وأمام شاعر يواكب الطليعة من أنداده النهضويين، مثل جبران وأمين الريحاني . . الذين ذهبوا بعيداً في الطرق على المسألة الاجتماعية ورأوا أن صحة الأمة أمر مرادف وملازم لصحة مواطنيها اذ لايمكن أن نمارس فعل الحرية والتحرر من الخارج وضد الاستعمار دون الاستناد الى حرية داخلية تؤهل المواطن بالفعل لمثل هذه المواجهة.

وهاهو العويس يحث حكام الامارات للوقوف في وجه قطاع الطرق وتوفير الأمن لكافة المواطنين بعد أن رأى قطاع الطرق من العوامر وغيرهم يتسلطون على القوافل فيقتلون وينهبون وقد عاثوا في الأرض فساداً :

دبي والساحل الشرقي مضطرب
يسومه الخسف انجاس مناحيس

ما للعوامر يسقون البلاد دماً
وما أصيبت لهم نفس ولا خيسوا

ما للقرى وهي ذات الباع ضامرة
وعندها الجند والبزل العواميس

أيهدمون حقوق الناس من صلف
وفي السلاح لهم ذل وتأسيس

إن السلاح متى أعطي إلى نفر
جاء العميد مطيع وهو قسيس

وهاهم أهل ساحل عمان يجنون اللآلىء من الغوص في البحار مما حمل أصحاب السفن على ظلم البحارة والعمال فيتصدى لهم العويس محذراً من عواقب الظلم متخذاً صراحة جانب العمال والغواصين :

والشعب إن قلت مرافق يومه
وضح النهار ولات حين خيال

للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال

كي تدفعيهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال

انذر بأصحاب السفينة كل من
خان السبيل لمطمع في مال

وها هو يعود مرة أخرى الى مسألة العوامر فيقول :

إلام البر يغمره الفساد
فلا قحط لديه ولا جراد

وكم ذا ياولاة الأمر صمتاً
ولا خال لكم وأبٌ جماد
وما طول السكوت سبيل مجد
ولكن السبيل هو الجهاد

بالبعدين القومي والاجتماعي يتبدى لنا سالم بن علي العويس شاعراً من الامارات يعيش هموم وآمال النهضة العربية في انطلاقتها ويواكب هذه النهضة مع فحولها من الشعراء مع ميل خاص للالتزام السياسي والاجتماعي لم يمنع من التأملات الصوفية والدينية وقد نعثر بين حين وآخر على مقطوعة غزلية تنحو منحى العتاب أو قصيدة إخوانية رداً على رسالة من صديق ولكن كل ذلك يقع في باب الخطرات الهامشية قياساً على الالتزام الأساسي وعلى الوجدان القومي الذي زاده اشتعالا جمال عبدالناصر فكان للشاعر ملهماً وأملا عزز من خلفيته فشرب كأس النضال حتى الثمالة ليشكل ظاهرة شعرية في الخليج العربي والامارات قلما كنا نتصور وجودها بمثل هذا الزخم وهذا المستوى الفني.

يبقى من المناسب أن نثبت هذا التعريف الشعري للشعر والذي يتابع فيه سالم بن علي العويس منهجه ورؤيته معتبراً الشعر ابن بيئته وواقعه قبل أن يكون شطحات مخيلة وهواجس ذات متفردة :

وما الشعر الا نفحة من محيطه
فكيف وما بالسامعين شعور
إذا جاء منك الشعر حياً فإنما
قبيلك حي والقبول مثير
وإن جاء منك الشعر ميتاً فإنما
قبيلك ميت والرجال قبور

● نشرت في مجلة شؤون أدبية/ اتحاد كتاب وأدباء الامارات/ السنة الاولى/ العدد الثاني صيف ١٩٨٧.

شعر العويس
رؤية للحياة من منظور إسلامي

الدكتور نجيب الكيلاني

اننا لن نستطيع أن نتبين الحقيقة إلا إذا اعتمدنا المنهج الصحيح والنظرة الموضوعية المحايدة، وأمسكنا بالأدلة الملموسة، وبلغنا مكان المنبع الحيوي لابداع المبدع، وفكر المفكر، وفلسفة الداعية وأسسها، وآثارها، فيما توفر لدينا من قول وأحكام وممارسات، من هنا نستطيع أن نضع التصور الأقرب الى الصواب، فلا نضل أو نحيف، وما أكثر الكتاب الذين يميل بهم الهوى، فيضعون تصوراً مسبقاً، ثم يحاولون أن يؤولوا ويزيفوا، ويجهدوا تفكيرهم في خلق قالب معين أو اطار صلب لشخصية من الشخصيات، كيما تعبر عما يعتنقونه هم، أو يبدو على النمط الذي يخضعون لتأثيره وينفعلون به.

الشاعر سالم بن علي العويس، ولد في عام ١٨٨٧ وامتد به الأجل حتى عام ١٩٥٩م، فكانت حياته مصاحبة لأحداث كبار على الصعيد المحلي والعربي والعالمي، تربى في مدرسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والفقه الاسلامي بأحكامه الكثيرة، وعايش بفكره عصور الاسلام الفذة. وحضارته المتميزة، وفي هذه المدرسة أو الجامعة الكبرى استلهم قيم الحق والخير والفضيلة، مؤمناً أعمق الايمان ان الطريق الاسلامي هو الموصل للغايات والأهداف، وان الضلال كل الضلال في الانحراف عن ذلك الطريق أو تجاهله.

وانه الحل الأمثل لما يعانيه شعبه والشعوب العربية والاسلامية، بل والعالم أجمع من شقاء وتمزق ومظالم : ومن هزائم ونكبات، ومن استعمار وصهيونية، وعلمانية فاسدة، كان واثقاً ان الاستمساك بأهداف الدين والاعتصام بفريضة الجهاد، والعمل على الوحدة والتآخي على امتداد الساحة العربية هو المنقذ من المأزق الذي آل اليه وجودنا يقول الشاعر :

ألم تعلموا أنا على نبع شرعة
يزيد على مر الليالي جديدها
ولو قيل ماالاسلام قلت مكارم
وأركانه في الناس منها عمودها
ولا عرف الاسلام من قال غيرها
ولا عرف الاسلام من لا يزيدها

وحتى في تغنيه بالوحدة بين مصر وسوريا نراه يقول :

وان لساني للمليك بذلته
لرفع رشاد أو لهدم فساد
ويممت وجهي للرسول محمد
واسمعته منه صميم فؤادي

ان العزة والمنعة لا تتحققان الا في ظل الفضائل، وان الهداية الحقة لا تكون الا في ظل الايمان بالله ورسوله وبالمنهج الأسمى، فكتاب الله كما يقول العويس هو الميزان الصحيح لحركة الفرد والمجتمع، وهو النور الذي يهدي الأمه سواء السبيل، ويخلصها من الأوزار والأدران :

راجعوا الميزان في أعمالكم
وكتاب الله نعم المنتهى
ما حدا في أمة مظلومة
فتوانت دون ادراك العلا
يغسل الأمة من أدرانها
ويريها لمساريها الخطى

ويقول :

تكبر بإتيان الفضائل إنها
لعز، وفوق العز ما كبر الاجر
ولا تقترب حيث السفاسف انها
لذل، وفوق الذل ما كبر الوزر

ويقول أيضاً وهو يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

فمن استساغ الى المكارم سلماً
فليقبس الآراء من آرائه

ويشير الى أن التخلي عن شريعة الحق هو من أسباب ضياع السلطة والنفوذ :

لولا جنوح الموالي عن شريعته
ما اهدروا الملك بعد العز والظفر
لا علم من غير الرسول محمد
ان شئت فاستمسك وان شئت فاخرق

ان الحروب الطاحنة تدور، والخلافات تنشب أظفارها، وقطاع الطرق يهددون الأمن والسلام، وقوة المسلمين تحولت الى ضعف، وعزتهم الى ذلة، فما أبشع الفارق بين الأمس واليوم، فالمسلمون الأوائل فتحوا قلوبهم وعقولهم للعالمين دون تفرقة من لون أو جنس أو عقيدة، وغزوا العالم بفضائلهم، ومكارم أخلاقهم، وصدق نواياهم وتوجهاتهم، فقد كان الأوائل مثلا يقتدى بهم، وهداة يفتحون الأبواب المغلقة للخير والاخاء والعدل :

المسلمون الأولون كلامهم
وقلوبهم للعالمين سواء

والمسلمون الآخرون ظواهر
مكذوبة وضمائر لكعاء

ويقول :

هو الاسلام في الدنيا إمام
ولكن لم يروه من العماء

ان سالم بن علي العويس، الذي تربى في مدرسة القرآن الكريم، وعشق سنة نبيه، وهام حباً في سلوكه ومبادئه وجهاده، لا يمكّن الا أن يكون ترجمان صدق لتلك العقيدة، وسلوك مرشدها وحامل رسالتها :

واجعل عيونك في موازين الهدى
مفتوحة في كل فتحة باب
فاذا الحياة لقيتها بمحمد
جبت الحياة بقارح وثاب
واذا اهتديت الى رشاد محمد
لافضل في الايجاز والاطناب

ان مقياس الصلاح والرشد هو القرآن الدستور الخالد الذي لا لبس فيه ولا غموض، وحاشا أن يماري أحد في كلمات الله :

ما أنت راء كل شيء صالحاً
الا عليه من الكتاب ضياء
اذ علّم الأمم الغريبة رشدها
من بعد أن نشر الهدى الخلفاء

ونراه في الكثير من أشعاره لا يسوق آراءه دون تعمق وتحليل وبرهان، انه الشاعر الداعية الذي توفرت لديه وسائل الايمان والاقناع، فيبلور أفكاره في صيغة

منطقية بسيطة واضحة، لا تلتبس فيها المعاني، أو تتعقد العناصر، فهو خبير بمن يوجه اليه الخطاب، ويحفل بالمضمون ربما أكثر من احتفاله بالشكل الفني، فالقضية الأساسية عنده هي أن تصل الرسالة الى المتلقي جلية دونما ابهام أو اغراق في الرموز والتعقيد، ولم لا ؟ ؟ ألم يكن واعظاً ومصلحاً وخطيباً ومطوعاً بالاضافة الى كونه شاعراً ؟ ؟ ان الكلمة لديه سواء أكانت شعراً أم نثراً لها وظيفتها الأساسية في الابلاغ من أجل التحرر والخلاص من عبودية النفس وعبودية الغير وعبودية المال والسلطة والشهوة، ان القرآن الكريم هو عدة المجاهد وسلاحه، وهؤلاء المجاهدون هم جنود يجسدون نصوص الكتاب ويعجب كيف لا يؤمن المخلوق بما أنزل الخالق من آيات ويأسف على أولئك الذين يلقون بأنفسهم وعقولهم في متاهات الشبهات، فيضلون ويضلون.

هذا هو الدين القويم وجنده
نص الكتاب، وصادق الصلوات
والله قد خلق العباد فكيف لا
يرضاه بعض الناس في الآيات
لا يستوي من يعلمون وانما
يتخبط الجهال بالشبهات

ولست أدري لمن كان يوجه قصيدته «الايمان والصبر» ؟ ؟ ان الخطاب على أية حال ان لم يكن خاصاً، فان صفة العمومية فيه، وهي رسالة الى كل من تنكر للإسلام ومبادئه، واستبدل بنظامه وشريعته صيغاً مغايرة، ويؤكد الشاعر في هذه القصيدة على تشبث المسلمين بعقيدتهم، مهما كان الأمر، ثم يكل أمره لله، لأننا جميعاً ذاهبون الى ساحته يوم الحساب، ويؤكد ان ذلك اليوم المشهود سوف يتحقق فيه وعد الله، ويصدر حكمه المعصوم على من آمن واهتدى، وعلى من كفر أو حاد عن الطريق المستقيم :

فاذهب كما شئت انا ذاهبون الى
ما قد رأينا وبالاسلام نفتخر

فهل تراك على الاسلام معتمداً
أم هل تراك على آثار من كفروا
وكل نفس الى الرحمن راجعة
وسوف يأزف ما قالت به السور

وللشاعر موقف بالنسبة للحضارة والعلم، فهو يدين الممارسات اللاانسانية للدول الكبرى المستغلة المستعمرة، ويرحب بالعلم ويدعو اليه، لكنه يحذر من العلم الكافر ويطالب العرب خاصة والمسلمين عامة بالأخذ في روية ونقد ويقظة، فهو القائل :

فما كل ثوب حاضر يلبسونه
ولا كل رأي زوروه سديد

كما يقول في قصيدة أخرى :

خلطت (أوربا) عذبها بعذابها
وحثت على أبصاركم بغبار
فإن استبنت خرجت أحسن مخرج
ومتى عميت لويت في اعصار

وهو في هذا ينسجم مع أفكار كبار المصلحين في هذه الفترة الزمنية من أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا، والكواكبي، وغيرهم من دعاة التحرر والاصلاح.
وحمل الشاعر على العلماء المرتزقة الذين يسيرون في ركب المنفعة ويجعلون من علمهم بضاعة لمن يدفع أكثر، أو لمن يمسك بيده سوط الترهيب والتهديد ففي صفحة ٢٣٨ يقول :

أو ما كفى ما نحن فيه وليس في
ما نحن فيه نهاية لِصَغار

حتى جعلتم من أوامر دينكم
حقاً علينا طاعة الكفار
وجعلتمو قول الرسول مؤيداً
لكلامكم . . يا ضيعة الآثار

الى أن يقول :

لا تعبدن من الرجال عمامةً
واجعل فؤادك من خضوع عاري
مالي أُرَفِّعُ من رؤوس كثيرهم
وكثيرهم في طاعة الدينار
علماء سوء لا يُنَهْنَهُ غيهم
الا بكل كتيبة ومغار
غارات نثر أو متون قصائد
من كل سهل فائض مدرار
حتى يفكك من براثن فهمهم
شعب هوى لرذائل ودمار

ولقد كان لاهتمامه بالعدالة الاجتماعية مساحة رحبة على خريطة ديوانه نداء الخليج وكتب يدافع عن حقوق العمال والبحارة (قصيدة اللؤلؤ والغوص ـ صفحة ٥٠)، ويصور ما يعانونه من شقاء ومتاعب، وما يتعرضون له من ظلم واجحاف، وفي أماكن أخرى يقف مدافعاً عن حقوق العامة، وينعى على المتسلطين جورهم واستبدادهم، ويعلي من كرامة الانسان وحقه المقدس في الحرية والتكريم والأمن الاجتماعي، كما يدين الممارسات الخاطئة في ساحة الحكم والسياسة، وينبه دائماً في اشعاره التي تتناول تلك القضايا الى مبادىء الاسلام، ويحتكم اليه في آرائه، وفي مجال الحياة الاقتصادية يشن حملة شعواء على الربا ويحذر من خطره في الدنيا والآخرة، وذلك لخروجه على الشريعة الغراء، واستغلاله لأزمات الناس، وزيادة أعبائهم الثقال، ومتاعبهم التي لا تحد، كما يصور المرأة

بالصورة الفاضلة التي تجعلها أمّاً مسلمة صالحة، قادرة على رعاية الأجيال، وتوجيههم الوجهة الصحيحة، فاذا قرأت القصيدة التي يرثي فيها امه، ابان لك عن وجه التميز الذي رفع هذه الأم الى المكانة السامية التي تليق بها.

وكان أساس مواقفه السياسية كلها نابعاً من قيم العقيدة الاسلامية ومبادئها، فهو في هذا المجال يهجو أو يمدح، منطلقاً في ذلك كله من مفهومه الاسلامي الصحيح، لقد مدح عبدالعزيز آل سعود، ولم يكن مدحه له لهبة يطمع فيها، أو مركز يتطلع اليه، لقد مدح فيه همته العالية في جمع الشمل، وتنقية الدين من الخرافات، وتوحيد الامة، والانضواء تحت راية الحق والعدل والنظام، وهجا عبدالناصر ثم مدحه، وفي كلا الحالين كان صادقا مع نفسه، هجاه حينما رأى مواقف وسياسات تخرج عن تصوراته التي يعتنقها، ثم مدحه حينما دعا الى الوحدة العربية، وتصدى للصهيونية والاستعمار والاحلاف العسكرية الغربية، وهجا نوري السعيد، والحكام الذين لم يلتزموا بالمبادىء الصحيحة، ومدح سعد زغلول ورشيد رضا وحكاماً وأمراء وكان في مدحه وهجائه يستند الى وقائع ومواقف، فلم يجند قلمه كما قلنا لكسب مادي أو معنوي، فقد كان أعف من ذلك، بسبب نشأته وتربيته الاسلامية ولأنه كان يعيش في بحبوحة من العيش فالتجارة الحلال هي مصدر رزقه الأول ولم يبطره الغنى أو تضلله الثروة أو تصرفه عن هموم دينه وأمته ومجتمعه الذي يتجول في أنحائه، ويشعر بمعاناته وأمراضه.

ولقد سار العويس على نهج اسلافه من الشعراء القدامى، فحفل بالحِكَم في شعره، فلا تكاد تقرأ قصيدة له الا وضمنها العديد من الحِكَم والعِبر، فيتحدث عن تقلبات الأيام وتحولات الأوضاع، وكأنه يستخلص من التاريخ القديم والجديد سنناً وقواعد ونظريات، وهو حين يدبج تلك الحِكم انما يستحضر تجاربه الشخصية، وقراءاته في التاريخ وما يشهده على مسرح العالم الكبير من حوله، وخارج حدود بلاده، ويصوغ ذلك أبياتاً من الشعر تجري مجرى الأمثال، وهي في عمومها لا تخرج أو تنفصل عن ثقافته الدينية وممارساته العملية.

ان اصدق ما قيل عن شعر سالم بن علي العويس هو ما ذكره الاستاذ عبدالعزيز بن ناصر العويس في مقدمته لديوان الشاعر، لقد قال بالحرف الواحد :
«. . . ولكن القرآن الكريم كان المصدر الرئيسي لشعره معنى ومفردات . . . »
والواقع ان الناظر الى الديوان لا يحتاج الى كبير جهد كي يكتشف هذه الحقيقة الساطعة التي لا مراء فيها، لكن من الأمور التي تدعو الى الدهشة ان بعض من

كتبوا عن شعر سالم بن علي العويس، قد حاولوا أن يتجاهلوا تلك الحقيقة الدامغة أو يلمحوا اليها في غموض أو مرور عابر وأبرزوا أموراً عجيبة لا تمت الى واقع شعره بصلة وثيقة، فتحدثوا عن «القومية» في شعر العويس مع ملاحظة ان كلمة قومية لم ترد في ديوانه، وخلطوا بينها وبين الوحدة العربية. ان القومية مصطلح له تعريفه لدى ساطع الحصري وغيره من فلاسفة القومية في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية وغالبية هؤلاء المنظرين أو الفلاسفة ينحون منحى علمانياً، وفي الغالب يسقطون عنصر الدين من الحساب، وليس هناك دليل واحد على ان العويس من هذا الصنف من المفكرين. أما الوحدة العربية التي دعا اليها العويس وتغنى بها في شعره فهي وحدة نسيجها ولحمتها القيم الروحية وبالتحديد القيم الاسلامية، مع التأكيد على حقوق الجميع مسلمين وغير مسلمين في العيش في رحابها بحرية وسلام واخاء، وليس هناك تناقض بين الاسلام والعروبة في واقع التجربة التاريخية الاسلامية، فمحمد صلى الله عليه وسلم، عربي والقرآن نزل بلسان عربي مبين، والمجاهدون الأوائل من العرب، هم الذين حملوا أنوار الهداية الى العالم، ولم يأت الاسلام للعرب وحدهم ــ كما يزعم بعض الزائغين من دعاة القومية وانما للناس كافة عرباً وعجماً، وفي حديث للرسول كان الأنبياء من قبلي، يبعث كل نبي الى قومه، وبعثت للناس كافة أو كما قال : وجميع المذاهب تتفق على عموم الرسالة الاسلامية، ويعتبرونه أصلا من أصول العقيدة.

في ظل هذا المفهوم، كان شعر سالم العويس، سواء وهو يتحدث عن الدين والعقيدة، أو يتحدث عن الوحدة العربية، أو يدعو الى قيم العدل والشورى والاخاء والمحبة بين الناس على اختلاف مشاربهم وملتهم وأجناسهم والذين يحاولون طمس هذه الحقيقة الباهرة المبهرة في شعر العويس، انما هم يبعدون كل البعد عن الصدق والموضوعية.

ولا يفوتني في هذا المجال ان اشير الى الدراسة القيمة التي قدمها الاستاذ الباحث بلال البدور عن الشاعر وهويته الاسلامية الجلية، كما أشير الى الدراسة الرائدة أيضاً التي ألقاها الاستاذ عبدالله عبدالرحمن الذي أماط اللثام عن جوانب عدة من حياة الشاعر.

لقد عاش العويس في حقبة زمنية كثر فيها عدد الشعراء المجيدين من أمثال شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي والجواهري، والأخطل الصغير وبدوي الجبل،

وخليل مطران والعقاد وشكري والأسمر، وفهد العسكر، كما ظهر شعراء مجيدون أيضا في الجزيرة العربية وعمان وقطر والبحرين والامارات، وكان لكل شاعر ظروفه وثقافته وامكاناته الابداعية، وكان المفروض ان نتناول شاعرنا بالدراسة المقارنة بينه وبين أبناء جيله، على الأقل في الجزيرة العربية وبقية دول الخليج العربية، ومع ذلك فان الاحتفاء بالشاعر على النحو الذي جرى، ما هو الا خطوة على طريق طويل يحتاج الى مزيد من البحث والتوثيق والتجميع، كما يحتاج بالدرجة الأولى الى برامج مرنة واضحة، وعلماء متخصصين.

وبعد، لقد حاولت في هذه العجالة أن أركز على المضمون الفكري لشعر الشاعر ولم ألمس الشكل الفني أو الصياغة الفنية له على الرغم من الارتباط الوثيق بين الشكل والمضمون الا انه يحتاج الى جهد آخر، وعلى الباحثين ان يهتموا بهذا الجانب، في اطار الزمان والمكان والأدوات التي توفرت لدى شاعرنا، الذي يعتبر بحق معلماً من معالم الطريق في هذه المنطقة التي لم ولن تعقم عن انجاب المبدعين والمفكرين والهواة المصلحين في أي عصر من العصور.

وبعد، أترى العويس يوجه الينا من وراء السنين ذلك النداء الذي وجهه الى أبناء جيله:

هل يعلم الناس ان الدهر حصحص عن
بين الرسول وعما فيه من كرم
كم جانب الناس هدي المسلمين وكم
زجوا بأنفسهم في حالك الظلم
ان الزمان يواري كل قارعة
ويطرق السمع بالماضي عن الصمم
يتلو على الناس آيات منزلة
وحادث الدهر شيء غير متهم
حجب الزكاة وارهاق الضعيف «ربا»
جرم تلبس بالارواح والهمم

نعم، مازلنا في حاجة الى سماع ذلك الصوت المؤمن القوي الواثق ، ذلك النداء الذي جاء في أول قصيدة له بالديوان«الله أكبر ليس فيه مراء»ان ذلك النداء هو سر العزة والكرامة والقوة والوحدة سر النصر الأعظم الذي حلمنا به طويلا طويلا «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين».

---

* نشرت في مجلة المنتدى ـ العدد ٥٤ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ يناير ١٩٨٨م.

الرؤية الاسلامية في شعر العويس

سعيد حارب

يعتبر الشاعر سالم بن علي العويس من ابرز شعراء الامارات الذين اثروا الحياة الادبية خلال فترة تعتبر فترة تخلف علمي وركود ثقافي، فقد برز هذا الشاعر برؤيته الثاقبة نحو قضايا امته ومجتمعه وتميزت هذه الرؤية بواقعيتها ومعاصرتها، فلم يتغن بالامجاد السالفة فقط، وانما تفاعل مع قضاياه المعاصرة فكتب في الوحدة العربية، والتحرر ومساندة الشعوب . . والامم المتحدة . . والعروبة والثورة . . وغير ذلك من المعاني التي لم تكن قد اخذت حقها من الادب والشعر السائد في المنطقة في ذلك الوقت . . الا عند القليل من الشعراء . . الذين كان من ابرزهم شاعرنا، العويس.

ولذا فان ما قوبلت به مئوية العويس من الاحتفال بها . . واعداد البحوث والدراسات الادبية حول شعره وفكره وأدبه ليست الا جزءا من الاهتمام الذي يحظى به هذا الشاعر الكبير.

وقد تعددت الابحاث والدراسات حول شعر العويس، وكتب اهل الاختصاص في كل جانب من جوانب شعره، الا ان هناك جانبا مهما في حياة سالم بن علي العويس اثر في شعره، وادبه وهو الجانب الاسلامي، فعلى الرغم من ان العويس قد اخذ من المعاصرة حظاً وافيا الا انه لم ينسلخ عن عقيدته، ودينه بل كان ذلك رائدا له في فهمه لاهداف الشعر وغاياته . . ولذا فان الجانب الاسلامي يكاد يصبغ شعر العويس ــ بصفة عامة ــ وان لم يبرز ذلك من خلال الكلمات والالفاظ . . فالتحرر عنده لا يتم الا من خلال عقيدة . . والتقدم مطلب اسلامي . . وفلسطين قضية اسلامية.

بل انه افرد لبعض القضايا الاسلامية قصائد محددة . . سواء كان ذلك في

الدعوة الى التمسك بالدين او ذكر فضائل القرآن او مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

وليس ذلك بمستغرب على شاعر مثل العويس عاش فترة من الزمن تميزت بالتمسك الاسلامي حيث كان المجتمع الخليجي اكثر التزاما بالاسلام، وتلقى تعليمه على يد شيوخ الدين الاسلامي وعلمائه وكان تعليمه الاساسي تعليما قرآنيا، فانعكس ذلك على حياة الشاعر وشعره فنراه وهو لا يتجاوز السادسة عشرة يتصل بأم الصحف الاسلامية في ذلك الوقت وهي مجلة «الفتح» التي كانت تصدر عن دار المكتبة السلفية ويسطر فيها الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس تحريرها ــ قضايا الاسلام المعاصرة ــ في ذلك الوقت . . ومن ابرزها الدعوة الى التحرر من الاستعمار العسكري الذي تمثله الدول الغربية والاستعمار الفكري الذي كان المستشرقون الحاقدون رواده وقواده.

ونجد العويس كذلك متفاعلا مع ما يحدث في عالم الاسلام . . فنراه مستقبلا ومرحبا بالشيخ عبد العزيز الثعالبي العالم التونسي بقصيدته «قدمت اهلا ووطئت سهلا»، كما نجده يتأثر لفقد عالم اسلامي جليل هو الشيخ محمد عبده فيرثيه في قصيدة «علماء العمائم» قائلا :

خسرنا ومن يخسر محمد عبده
يؤازره ليل من العلم أدهم

وعندما يموت الشيخ رشيد رضا يرثيه بقصيدة طويلة أسماها، «مات الحبيب» :

غرر الليالي مالهن دوام
مات الحبيب وهكذا الايام
ياابن الرسول ومقتفي آثاره
منا عليك وان بعدت سلام

الى ان يقول :

يارب عبدك كان دونك كله
نادت به الايام والاعوام

فاجعل له في دار خلدك مسرحا
لا فيه آفات ولا آثام

لقد كان تفاعل العويس مع ما يدور حوله من القضايا الاسلامية لا يتوقف عند رثاء العلماء او الترحيب بهم وانما شمل جوانب متعددة في الاغراض الاسلامية للشعر، وسنحاول ان نلقي الضوء على بعض هذه الجوانب التي لا يمكننا ان نجملها في مقالة او مقالتين . . بل تحتاج آلى دراسة واستقصاء ولكننا نشير اليها بايجاز لعله يأتي من الباحثين واهل الاختصاص من يوفي هذه الجوانب حقها دراسة وتحليلا . . ليبرز لنا جانبا مهما في حياة الشاعر سالم بن علي العويس . . الا وهو الجانب الاسلامي في شعره . . الذي برز في :

١ ـ الاهتمام بالدين ـ عموما ـ فالدين عند العويس هو الامام والقائد والموجه.. فهو لا يرى للعلم دورا في التشييد والبناء الا من خلال التزام العلم بالاسلام . . فنجده يقول في قصيدته «القوي والضعيف» :

هو الاسلام في الدنيا امام
ولكن لم يروه من العماء
اما لو عُلّم الاسلام فيهم
لأكبرت المشيد من البناء

بل انه لايرى طريقا للانقاذ والنجاة الا من خلال الاسلام . . وانه لا بديل عنه سوى التخبط والضياع . . واتباع منهج الآخرين الذين لا يريدون للامة نصراً ولا عزاً . . فيقول في قصيدته «الايمان والصبر» :

اما علمت بأن الله يملك ما
رأت عيونك والاسلام ينتصر
فاذهب كما شئت انا ذاهبون الى
ما قد رأينا وبالاسلام نفتخر

فهل تُراك على الاسلام معتمدا
ام هل تراك على آثار من كفروا

بل انه يصرح بأن غاية شعره هي نصرة الدين والعمل على رفعته مهتديا بالرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان الوحدة المنشودة تتحقق من خلال هذا التصور الذي يبرزه في قصيدته «وحدة سوريا ومصر» :

حياة لدى الرب الكريم كريمة
لخير كثيرا من جهاد عوادي
وان لساني للمليك بذلته
لرفع رشاد او لهدم فساد
ويممت وجهي للرسول محمد
وأسمعته مني صميم فؤادي

ونراه يستشرف للدين اطلالة يعود فيها منتصراً سيدا يقود البشرية وينقذها مما تعانيه من سيطرة وقهر وتغلب للظالمين عليها فيقول في قصيدته «صقر الجزيرة»

لا بد للدين من يوم يدل به
على الخليفة مرفوعا عن الدنس

٢ ـ وهو حين يدعو للدين وللالتزام به لا يقف عند التصور النظري، بل يطل بنظرة فاحصة الى حالة امته وقومه . . يدقق في حالهم فيقوّم المعوج، ويبين الخطأ، ويوجه الى الحق . . كل ذلك في عبارات بسيطة سلسة . . يستنهض بها المسلمين اليوم داعيا اياهم للاخذ بسنن الاوائل ممن قاد البشرية وعمل لخيرها.. فنراه يوازن بين حال المسلمين اليوم . . وحالهم بالامس . . فيقول في قصيدته التي تتصدر ديوانه «من المفقود» :

الله اكبر ليس فيه مراء
فالكون حمدٌ كله وثناء

الدين بين يديك اكبر رتبة
فالطف بعبدك انه خطاء

الى ان يختتم قصيدته بقوله :

المسلمون الاولون كلامهم
وقلوبهم للعالمين سواء
والمسلمون الآخرون ظواهر
مكذوبة وضمائر لكعاء

والمسلم الحق ــ في نظر شاعرنا ــ ليس هو ذاك الرجل الذي يرضى بالهوان والذلة، ويأخذ من الدين جانبا ويترك جانبا . . او يتمسح بمظاهر هي من الدين ولكنها ليست كل الدين . . فالمسلم الحق عنده هو ذلك العزيز المقدام في الشدة والكرب ،السخي المتواضع للناس . .

والمؤمن الحق من لاوهن فيه على
دك الضلال ولا نبض من الخور
يشمر الثوب يوم الكر والمحن
ويبسط النفس للشاكي من الكدر

هكذا عبر عن رؤيته للمسلم من خلال قصيدته حب المال وقصيدته «الاطلال» التي يقول فيها :

نادِ على سادة الدنيا واسمعهم
فصلا من الذكر في الاسباب والسيم
واضرب بهم ولهم من دونهم مثلا
واستشهد الدهر واحلل سنة الحكم
فالمسلمون متى اشتدت عزائمهم
لا يوصمون غداة الروع بالندم

وحين يعرج على ما اصاب المسلمين من خضوع للمستعمر وسيطرة لاعدائهم على مقدساتهم لا يرى في ذلك الا رؤية اسلامية واضحة، فالسيطرة اليهودية على فلسطين ليست عند شاعرنا الا صورة للصليبية الجديدة . . فالصراع بيننا وبين اليهود اليوم لا يختلف عن صراعنا مع الصليبيين بالأمس فهو صراع عقائدي قبل كل شيء ويعبر الشاعر عن ذلك من خلال قصيدته التي اسماها «الحرب الصليبية الجديدة».

٣ ــ والشاعر العويس حين يفند واقع المسلمين . . كأمة واحدة نجده يخاطب جزءا من هذه الامة من ابنائها . . وينتمون اليها . . ولكنهم يختلفون عنها ولاء وانتماء . . فيعيب عليهم ذلك المنهج ناصحا لهم وموجها الى سبيل الرشاد . . فنراه يقول في قصيدته «حكم وتأملات» :

ياصاح ما ثوب النعيم برحمة
ابدا ولا الآفات بالآفات
واذا سلكت مع اثنتين على التقى
لا تطمئن لكاذب النزعات
هذا هو الدين القويم وجنده
نص الكتاب وصادق الصلوات
والله قد خلق العباد فكيف لا
يرضاه بعض الناس في الآيات
لا يستوي من يعلمون وانما
يتخبط الجهال بالشبهات

ويفرق الشاعر بين من التزم طريق السداد والصواب فكان من الناجين ومن سلك سبل الضلال والغواية فكان من الهالكين فيقول في قصيدته «القوي والضعيف» :

وما سنن الطبيعة باللواتي
تغالي او تحابي او ترائي

احل الله فيها كل خير
فجادت بالمحبة والاخاء
وكل من انتهى رجل مطيع
سديد الحالتين على السواء
ومن كفروا فوقع السوء فيهم
كوقع الشمس في الارض الفضاء

ويرى شاعرنا ان الفريق الناجي هو الفريق المؤمن فيقول وهو يتحدث عن الصراع بين المسلمين واعدائهم من الصهاينة المحتلين للارض المقدسة في قصيدته «اطماع الصهاينة» :

هي سنة الله التي في خلقه
يعزي بها الايمان كفرٌ يُحجب
هي سنة الله التي في خلقه
والمؤمنون بها الفريق المنجب
خذ بالهدى والحق أخذة مؤمن
واترك هداية من يقيس ويحسب
ضل اليهود عن الصراط وادبروا
ان اليهود الى الخيانة اقرب

٤ ـ وننتقل الى جانب آخر من شعر سالم بن علي العويس، تبرز فيه الاغراض الاسلامية الا وهو الاهتمام بالقرآن الكريم باعتباره مصدرا للحياة الاسلامية في كل جانب من جوانبها . . فالعويس لا يرى في الحياة شيئا حسناً الا ويرى للقرآن اثرا فيه :

ما انت راء كل شيء صالحا
الا عليه من الكتاب ضياء
فله الفضائل في البسيطة كلها
ولغيره من بعده ما شاءوا

هكذا عبر الشاعر عن اقتناعه بالكتاب المنزل وبدوره في الحياة من خلال قصيدته «من المفقود» ويؤكد ذلك بقوله في ذات القصيدة :

واعلم على ان الكتاب منزل
وفق النظام وللسبيل ضياء
وبأنه ما حاد عن اسراره
وبأنه شرح له وجلاء

بل اننا نراه يبدي تعلقه بالقرآن من خلال افراد قصيدة له سماها «القرآن الكريم» يقول في مطلعها :

كلام الله مرفوع البيان
ومرفوع الهداية والمعاني

ولكنه لا يرى في القرآن الكريم كتابا مقدسا فقط بل يراه قرآنا حيا يوقظ الضمائر ويحرك النفوس ويسود الحياة . . يقود الناس في شتى جوانب حياتهم الاجتماعية، السياسية، التربوية. . . ويعيب الشاعر على اناس قدموا آراء الرجال واحكامهم على حكم القرآن فيقول في قصيدته «قضى القرآن» :

قضى القرآن في الماضين صدرا
يقدم حاكما في كل حال
ولما أن مضى زمن قليل
أحالوا الحكم في بعض الرجال

ولذلك يبين شاعرنا ان الهدى والحق مصدرهما القرآن وما ضل من تمسك به وعمل باحكامه وأن يتدبروا آياته وسوره فيقول وهو يخاطب طلاب العلم عن فتح المدارس في الامارات :

ولن تضل وكيف الله يضلل من
أمَّ الكتابَ بصدر منه ملهوم

وام الكتاب هي سورة الفاتحة التي يقرأها المسلم في كل صلاة :
ويبين الشاعر في قصيدته «المرابون» ان الهدى من القرآن فيقول :

والهدي والحق الصراح سبيله
هدي الكتاب وإن تباطأ حينا

ولذلك يخاطب سامع القرآن وقارئه داعيا اياه ان يفتح مداركه حتى يستطيع ان يتفاعل مع ما يقرأ ويسمع :

وان سمعت كتاب الله فاعط له
ما اسطعت منك بقلب بائع شاري
لا تحجبن فؤادا عن مراتعه
لقول زيد ولا اخبار عمار

٥ ــ واذا كان الشاعر العويس يرى في القرآن الكريم منهجا له في حياته ويدعو الآخرين للتمسك به والعمل باحكامه، فان شاعرنا قد تأثر بالقرآن من خلال دراسته له وتعلمه في مقتبل حياته فأثر ذلك في شعره من خلال اقتباسه لبعض الآيات القرآنية في شعره او لاستعماله بعض المصطلحات التي استعملها القرآن الكريم، فمن الاقتباس مثلا :

ولك الجواري المنشآت اذا جرت
تحت السماء يقلهن الماء

في قصيدته «من المفقود» فقد اقتبس ذلك من قوله تعالى «وله الجواري المنشآت في البحر كالاعلام» ــ الرحمن ٢٤.

وقوله كذلك في قصيدة الاضداد :

واصفح الصفح جميلا واصطبر
والتمس عمرك في الايتام بابا

فقد اقتبس ذلك من قوله تعالى «وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل» الحجر ـ ٨٥.

وقوله في قصيدته «الغوص واللؤلؤ» :

ما قوم هود او شعيب وصالح
منهم بعيد والخراب الحالي

فقد اقتبس ذلك من قوله تعالى «ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد» ـ هود ـ ٨٩.
وقوله في قصيدته «العلم والتعليم» :

وخصها بصراط لا يحيد بها
ذي مرة ليس في ضنك بمرجوم

فهو اقتباس من قوله تعالى «ذو مرة فاستوى» النجم ٦ ـ

وقوله كذلك في قصيدته : «قضى القرآن»

وحدثني اذا آنست نورا
باثناء المفصل والطوال

فذلك اقتباس من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام لاهله : «اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او أجد على النار هدى» ـ طه ـ ١٠ ـ
ومن يبحث في شعر العويس يجد الاقتباس القرآني واضحا من خلال استشهاده بالآيات الكريمة، اما استعماله للمفردات، والمصطلحات التي ذكرها القرآن . . مثل استعمال كلمة النعيم والعذاب وكلمة «غسلين» وهو ماء الحميم وكلمة «الغرفات» وهي اعلى درجات الجنة وكذلك كلمة «العاديات» من قوله تعالى «والعاديات ضبحا» وهي الخيل المسرعة وكذلك قوله «اصدع به في العالمين» فذلك من قوله تعالى للنبي «فاصدع بما تؤمر» وغير ذلك من الكلمات التي تدل على ان العويس تأثر تأثرا كبيرا بدراسته للقرآن الكريم وما أردنا من

استشهادنا بالاقتباس الا للدلالة علی هذا المقصود وليس لبيان ان الاقتباس غرض من اغراض الشعر.

٦ ـ ونقلب صفحة أخرى لنرى في العويس شاعرا زاهدا متبتلا يدعو للزهد في كثير من مواطن شعره ويدعو الى الفضائل والخيرات . . فنراه يقول في «حكم وتأملات» :

عض الحوادث في أديم حياتي
وتكاد تهدم مهجتي زفراتي
فاخلد الى الصبر الجميل فانما
لا عيش بين الناس دون اناة
والله يهدي من يشاء ويبتلي
بالسيئات السود والحسنات

ونراه صابرا محتسبا يكرر الصبر في كثير من ابياته :

لا تجزعن بما يأتي به القدر
فالفوز يكتب في الدنيا لمن صبروا
والصبر ان لم تكن تلقاه مبتسما
اضحيت في حزب من غشّاهم الكدر

هكذا يقول عن الصبر في قصيدة اسماها «الايمان والصبر» :
ويحذر من الدنيا وضلالتها فيقول في قصيدته «الناس والدنيا» :

دنياك دارك فاعرف كيف تبنيها
وقد لهوت وها قد قل باقيها
واصبر فان جزاء الصابرين يد
لا يبلغ الوصف وصفا من نواحيها

ويطلب شاعرنا من الانسان ان ينقي سريرته كما ينقي ظاهره حتى لا يخالف

الظاهر الباطن، ويطلب من الانسان ان يتمسك بذلك ولا يفرط فيه حتى يصبح سمة لازمة له، فيقول في قصيدته «كن خيرا» :

كن انت في السر خيرا منك معلنة
حتى تكون من التدريب اجباري

وتبدو ملامح زهد الشاعر وتبتله في قصيدته التي اسماها «يمم باب البر» التي يبدأها بقوله :

يمم بنفسك باب البر منتبذاً
عن المضلين وامرد مثل ما مردوا
واشرح لهم سيىء الأعمال منتقداً
فلن يروق لها ما انت منتقد

٧ ـ وينقلنا زهد سالم بن علي العويس الى الحديث عن الدعاء والرجاء في شعره.. فنراه يناجي ربه داعيا مبتهلا اليه ان يقيم امر الدين :

فيارب هذا الدين دينك فليقم
عليم على الطاغي شهاب مصمم

هكذا يناجي ربه في قصيدته «علماء العمائم» ويتبعه في ذات القصيدة بقوله:

نداء اليك الله تبعث عالما
يصيب اذا ضل السبيل المعلم

ويبرأ الى ربه من تقصير المقصرين وبعدهم عن كتابه ومنهجه، فنسمعه يقول في قصيدة «من المفقود» :

يارب لم تظلم عبادك انهم
قد خالفوا والواقعات قضاء

احسنت للكون الكبير دليله
والمنتمون الى الدليل اساءوا

٨ ـ اما الحكمة فلها في شعر العويس ميدان واسع ينم عن فطنة وذكاء عند شاعرنا ويكاد هذا الجانب يغمر اغلب شعره الذي يسخره لهدف وغاية، هو الدعوة للخير والعمل والبناء، ولا اعتقد اننا باستعراض بعض الأبيات نوفي هذا الجانب حقه في شعر العويس بل يحتاج الى صفحات وصفحات تسطر في الحكمة كغرض من اغراض الشعر عند الشاعر سالم بن علي العويس . . ولعلنا نقتطف زهرة من زهور حديقته العامرة بالوان الحكمة فنسمعه يردد في قصيدته «دورات الزمان» :

ولولا مقام الخير ما عرف الهدى
ولا عاش في الدنيا تقي ومسرف
ومن يعتبر يلق الحوادث عبرة
مواثل لا تعدو ولا تتخلف

ويقول في رائيته «عليم الزمان صبور» :

ومن يتساو الحمد والذم عنده
فليس الى غير البوار يصير

ويكمل بعد ذلك :

اذا انت حادثت السميع تفجرت
عليك من القول المتين صخور
وان انت حادثت البليد تبادرت
اليك معان كالبلادة بور

ونجده يتغنى بالعدل في حكمة رائعة يجعل منها نبراسا لكل من طلب الرفعة والعزة فيقول في قصيدته «نحن والعالم» :

لم يمت من شاد
للحق على الارض مكانا
واذا العدل اختفى
فقد الملك الضمانا
واذا العدل اختفى
رضي الناس الهوانا

ويجعل شاعرنا من المجد مطلبا اسلاميا يسعى له كل مسلم الا ان المجد عنده ليس ذلك المجد الشخصي الذاتي بل المجد هو مجد الامة التي ينتمي اليها الانسان ولذا فمن اراد المجد فعليه ان يتفانى في اصلاح امته والذود عن حماها، فيقول في قصيدته «وبعد العسر يسر» :

واستقبلوا الامر ان الامر مقتبل
لا يدرك المجد الا كل من كدحا
لا يدرك المرء مجدا دون اُمته
ومن تفانى على اصلاحهم صلحا

ونختم هذا الجانب بقوله في القصيدة التي اسماها «الصمود» :

ومن غفر الخطيئة عن كريم
وبادره الجميل فقد اجادا
ومن قرنت صراحته بحزم
ألانَ الناس واكتسب الودادا

وهكذا نجد للحكمة موضعا مهما في شعر العويس يضيف فيه جديدا من الحكم . . الى من سبقه من شعراء العربية وليؤكد على هذا الجانب المهم من اغراض الشعر عنده.

هذه اضاءات في شعر سالم بن علي العويس الذي يحق لنا بعد ذلك ان

نجعله في قائمة الشعراء الاسلاميين الذين عاشوا قضية الاسلام فكرا وسلوكا وتفاعلوا معها في كل ميدان وساحة ولا نعتقد اننا بهذه الاضاءات قد مررنا الا بجزء يسير من الرؤية الاسلامية عند شاعرنا، ومازال في شعره جوانب اخرى تنتظر من يجليها ويبرزها كمدحه للنبي صلى الله عليه وسلم وتبيينه للمسائل الشرعية كأحكام الصلاة والصيام والح، وكذلك دعوته للجهاد واستنهاض الامة الاسلامية للقيام بدورها الجهادي والدفاع عن الخلافة والدعوة لها، كل ذلك جوانب متعددة يتيه بها العويس على اقرانه من الشعراء الذين عاصروه ولم يتفاعلوا مع القضية الاسلامية كما بدا واضحا من خلال شعر العويس.

ايها القارىء العزيز . . لا اعتقد انني وفيت الرجل حقه ولكن حسبي انني قد اشرت الى هذا الجانب في حياة شاعر اثر في النهضة الادبية لمنطقة الخليج العربي وعاش فترة مليئة بالاحداث الجسام، واعتقد ان اهل الاختصاص والادباء مطالبون بعرض هذا الجانب من حياة شاعرنا فهم اقدر واوفى في ذلك.

---

* نشرت في جريدة البيان ـ الخميس ـ ٢٨ يناير ١٩٨٨م.

اشارات

من خلال المراجعات لما ورد في هذا الكتاب، الذي ساهم فيه عدد من الكتاب والادباء الافاضل. والذي يعتبر الكتاب الاول الذي يجمع عدة دراسات عن سالم بن علي العويس. أجد ضرورة الاشارة الى بعض النقاط المهمة التي قد يجدها القارىء أو الباحث.

- أورد بعض الباحثين ان عدد القصائد المنشورة في ديوان الشاعر «نداء الخليج» «١٠٥» قصائد. واورد آخر انها بلغت «١٨٥» قصيدة بينما كتب ثالث انها «١١١» قصيدة وعند الرجوع الى ديوان «نداء الخليج» المطبوع عام ١٩٨٧ فقد تأكد لي انها «١٠٥» قصائد. ويؤكد اهل الراحل ان معظم القصائد قد فقدت وكما ورد في متن هذا الكتاب.
- اشار البعض الى ان للشاعر ديوانا بجزأين. بينما اعتمد آخرون على المجموعة الكاملة «نداء الخليج». ومجموعة الشاعر الكاملة هي التي حملت عنوان «نداء الخليج» وصدرت عام ١٩٨٧ وهي تضم كافة ما ورد في الجزأين السابقين.
- تتشابه القصيدة المعنونة « عليم الزمان صبور» المنشورة ضمن الديوان في الصفحات ١١٤، ١١٥، ١١٦. بأخرى جاءت بعنوان «الشعر نفحة الشعور» والمنشورة في نفس الديوان صفحة ٢٥١. وقد اختلفت القصيدتان بعدد الابيات وببعض مفردات الكلمات. وكمثال على ذلك، البيت التالي ورد في صفحة ٢٥١ على الشكل التالي.

ولكن لي منهم جناحي مكسر
يرف ولكن لا يطيق يطير

وجاء نفس البيت على صفحة ١١٦ بالشكل التالي.

ولكن لي منهم جناحاً مكسراً
يرف وما أن يستطيع يطير

وقد اعتمد الباحثون على هاتين القصيدتين فجاء تمثيل كل من اعتمدها يختلف عن الآخر في المفردة العامة وحسب اعتماد المصدر.

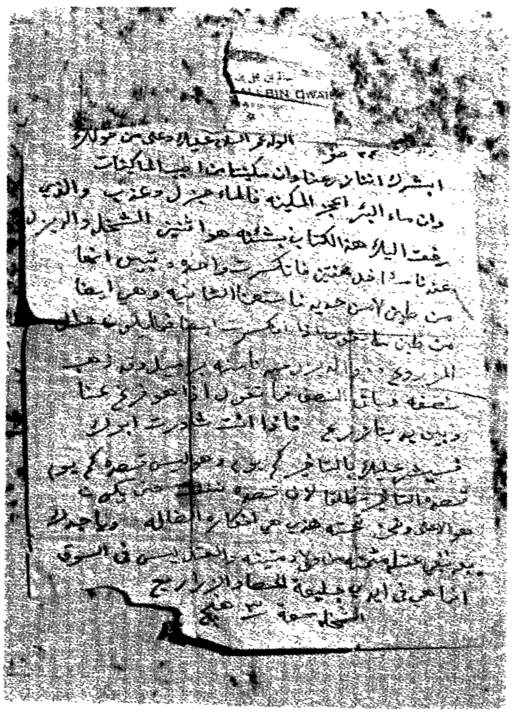
● جاء في بعض الدراسات ان «جدته ام والده» كانت شاعرة معروفة في المنطقة، بينما جاء في مكان آخر ان «جدته ام والدته» هي الشاعرة، وعند الرجوع الى المؤرخ الاستاذ عمران بن سالم بن عبدالله العويس، اكد أن الشاعرة كانت جدته «ام والده». ولهذا اقتضت الاشارة.

● اختلفت الدراسات في عدد السنوات التي عمل بها الشاعر في مهنة الزراعة بين سنة وسنتين.

● اختلفت الدراسات في تفاصيل وصيته. يمكن الرجوع الى الصورة الفوتوغرافية المنشورة في هذا الكتاب عن أصل الوصية.

● وأخيراً والكتاب ماثل للطبع وقع في يدي عن طريق الاستاذين الفاضلين عمران بن سالم بن عبدالله العويس، وعبدالغفار حسين، بحث تخرج قدمته الطالبة شيخة عبيد الديماس الى جامعة الامارات/ الانتساب الموجه/ مركز الشارقة. وقد أشرف على البحث الدكتور عباس محجوب محمود. للعام الجامعي ١٩٨٥/١٩٨٦. وقد قدمت الباحثة دراسة موضوعية عن حياة الشاعر وشعره، والبحث يقع في مدخل وخاتمة وثلاثة فصول. خصصت الفصل الاول عن سيرته الذاتية وحياته ونشأته، والفصل الثاني عن اغراضه الشعرية، وشاعريته. اما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة تحليلية لاربع قصائد مختارة من ديوان «نداء الخليج» للشاعر سالم بن علي العويس.

اما ما لفت نظري في البحث فهو ما ورد في الصفحة الرابعة منه حيث تقول الباحثة «وقد تزايد عدد الزعماء الذين زاروا المنطقة، منهم جمال الدين الافغاني، وعبدالعزيز الثعالبي...الخ» واذا كان من المؤكد ان الثعالبي قد زار المنطقة فلم



مذكرة معنونة بإسمه تبين اهتمام الشاعر بالزراعة.. وكان قد مارسها في بعض سنوات عمره في الذيد والباطنة وكلباء.



نماذج لبعض الصحف العربية التي كان الشاعر مشتركاً بها ولم تكن مجالسه تخلو منها.

يتحقق لنا زيارة جمال الدين الافغاني، وقد استعنت ببعض الباحثين والمؤرخين امثال السادة الدكتور فالح حنظل، عمران العويس، عبدالغفار حسين، وناصر حسين العبودي، الى جانب ذلك فالباحثة لم تعزز هذا الرأي بأية وثيقة او مرجع او مصدر تاريخي مما يضعف اهمية هذا الرأي.

ورغم اننا لا نريد ان نقيّم البحث نقدياً، الا ان الاشارة هنا مهمة جداً بالنسبة لشاعرنا. وان البحث بالتالي جدير بالقراءة للجهد المتميز الذي بذلته الباحثه. وكان بودي ان أضمه الى متن هذا الكتاب أسوة بالدراسات الاخرى الا ان الكتاب كان قد طبع عندما وصلني البحث المشار اليه. وانا اشير اليه لاهميته وللعودة اليه لاستكمال صورة شاعرنا سالم بن علي العويس.



القسم الثالث
قصائد مختارة قيلت عن سالم بن علي العويس احتفاء بمئويته



بين يدي سالم بن علي العويس :

عارف الخاجة

لك في العيون الساهمات مقيلُ
وبكل قلب بثنة وجميلُ
لك ما تضم الأرض في أعطافها
ولك الغناء العذب والترتيل
ولك الرياح الراجعات يشدها
طرب عتيق كالزلال يسيل
هن اللواتي قد فتكن بشاعر
قد هاجه فوق الغصون هديل
وأمضَّه أن اللواتي زرنه
قد لفهن مع الزمان رحيل
وتركن ذكراهنّ تعصف كلما
ملأ الليالي الظامئات صهيل
فعلى الأباطح جامحات حرة
لفتاتها حول الدجى قنديل
مذ حمحمت وبنات نعش حولنا
يهتز فيهن الهوى والطول
فبصهلة تأتي الجنان تزورنا
ليحنّ صب بالهوى مشغول
ولك اشتعال المرقسيّ اذا شكت
عبر البروق اللامعات طلول

وعُنيزةٌ تأوي لمخدعها كما
يأوي إلى عرس الخلود أصيل
النار تطرق دارةً من سندس
ورياح كندة كلها إزميل
ماذا ستحفر في فيافي شوقنا
ماذا ستكتب أو ترى ستقول؟
اللاهثات المسرعات لقتلنا
الطالعات كأنهن بتول
العندليبيات إن صمت الجوى
والكاملات ومالهن مثيل
تنساب منهن اللوافح فتنة
فيذوب قلب بالهوى مجدول
وتميل أغصان البلاد وإنه
من نسمةٍ غصنُ المحب يميل
لله هن ولي عليهن الرؤى
أنسام عُمْرٍ هدهُ التأميل
أوكلمّا أشعلت نار محبة
يشتط في إخمادها التعليل ؟
لك حسنهن ولي الرماد ألمّه
وجوى التنكر في الرؤى محمول
مئة مضت والساريات يزرنني
«ليموت واش بيننا وعذول»
ألقي عليك وما فتنت بنخلة
إلا ومريمها لها تأويل
ولقد أجنّ بليلتين وآنةٍ
فيها الزمان كما المحب عليل

ألقاك فيها شامخاً ومعانقاً
كل الجراح فينثر التقبيل
لكن أرضك لم تزل حيرانة
يرتادها التزمير والتطبيل
مذ سلّموها للعذاب وقلبها
يقتاته التزبيت والتنكيل
باعوا جدائلها ودسوا سرها
عن أعين فيها الدموع عويل
نُترى بها الأحزان شاهدة على
موت جديد تقتفيه ذيول
يطوي اشتعال المفعمين بعزمهم
والحالفين بأن يفيض النيل
يطوي الذي قد كان يألف كَفَّنَا
واليوم في كف العدى مسلول
والأخوة الأعداء ينتزهم سدى
إفك مرير طرفه مغلول
يستأسدون على الشعوب وإنهم
مثل النعامة إن أتاهم غول
يجرون خلف إمامِهِمْ وإمامُهُمْ
غَرْبٌ على تركيعهم مجبول
مسحوا حذاء غزاتهم وتفاخروا
أن المليك بكفه المنديل
لكنه - واويلتاه - كما أرى
بدم البكارة واللظى مبلول
تتنشقّ أسئلة ولا يرتادها
غير الجليلة حزنها مسدول

في خطوها هلع تفجّر صامتاً
مر حزين بالدماء كحيل
يدري بأن الوردَ أصبح مالحاً
وبأن قاتله فتى مشلول
وبأن آية خلقه في قتله
وبأن من نفخ الرماد ـ ذليل
وبأن همسة وجده أقصوصة
قد حاكها في مهدها قابيل
الأرض تمسح صدرها بعويلها
فيهب من نار السكوت همبل
في فيضه دهر تقدم ناشراً
شرف البلاد يعيث فيه الفيل
والحاكم الحبشيّ يكبر كلما
تنأى الطيور ويختفي سجيل
الأرض تقلب وجهها ويجرها
من شعرها التفريط والتكبيل
لغة هي الأوجاع يكتبها لنا
زمن عبوس ماكر وعميل
لغة تطاردها الكلاب فتختفي
فينا وينبشها الصدى المثلول
تذرو تململ كاتميها عندما
تجري وراء العاشقين فلول
وتحزّ منهم للخريف محطة
فيها ينام الهم والتضليل
وترى صبيات العشي مدينة
قد مسها قبل المساء أفول

فيها من الصبر العتيّ سفينة
تأتي وتذهب والضياع دليل
كل الموانىء أقفلت في وجهها
وأمامها شبر الضراوة ميل
وأمامها قاعان يسرح فيهما
حوت قديم جائع مهبول
فمن المحيط إلى الخليج شراكه
في كل فج صوته تهليل
حيث استدارت سال موج لعابه
وتحفزّ الأكّال والمأكول
أسفي على وطن تفتت عقده
وبه الفناء عن الحياة بديل
فرعونه مازال يعبر جُبةً
والفجر تحت خطى الهوان هزيل
وجنوده يتسيفون بِغِلةٍ
إن قال هيا فالذيول فحول
يتفرعنون بصوته فإذا مضى
فمع الخلافة عهدهم ليؤول
للقادم المحفوظ باسم ولائهم
وولاؤهم في جُلةٍ تمثيل
والشعب يمشي في الطريق مباركاً
فكأنه في الحالتين عجول
ختمت على أفخادها ولهم على
أقدامها وعلى الرقاب حجول
تهفو لهم وتنام باسم ظلامهم
والحمل فوق ظهورها لثقيل

تجري بهم أقدارهم لضياعهم
فإذا تنادوا فالزوال سبيل
لم يبق فيهم من محبتهم سوى
جسد به نبض الهدى مسحول
لم يبق شرع مسيرهم أيقونة
فيها من المس الأثير نخيل
لم يبق غير البوم ينعق حولهم
والوقت فيهم مثلهم مخذول
أتيك من لجج الخرافة ممسكا
وترأ بأحداق المساء يجول
ويجيء قرطبة ليصحو حوله
وعد على علاته مقفول
ويراك أجمل ما تكون بقربه
فلعل صوتك في الفلاة يصول
ويقيم مملكة يزين صدرها
من كل فجر حالم إكليل
ويمد نبضك في الوهاد قصيدة
عذراء فيها للخلود حلول
يا سيد الشعر العظيم أتيتني
من بعد ما فتل الزمان محول
ووجدتني أبكي علي وإنني
من فرط حزني كالبلاد نحيل
فمددت كفك كي تعين ممزقاً
وتزيل هماً ما حسبت يزول
مئة وأنت على الربوع موزع
صوتاً كريماً والكرام قليل

تثب المحبة من سمائك نورساً
يدعوه فينا خافق مأمول
يأتي إلى باب الأماجد ماثلا
وبباب عزك كم يطيب مثول
يجثو على قدم التألق والهوى
زمن بأعناقِ الندى موصول
يرنو إليك كما رنوت سنىً له
فيصيبه من ذا السناء ذهول
تقف الحروف على لسانه دهشة
وتهب من خلف الحروف خيول
مئة وأنت على المرافئ نجمة
وأنا المعنّى هائم متبول
أرتد مني نحو طيفك ماسحاً
ما قد رآه الحائر المجهول
أرتد من دمعي إليك وإنني
دمع على لغة الشموخ هطول
وصل الذرى، بالأمس، أنت أعنته
واليوم في كف الزمان شمول
وأعنته حتى تفيأ ظله
وبدا يشده للنشيد فضول
رفع الغناء لمقلة مشتاقة
لكن صوته في الغناء خجول
يا سيد النبض المضيء لي الدنى
ماذا يقول عن الغرام قتيل ؟
ماذا يحلق في فضاء شجونه
وبريق شعرك في الفضاء جليل

فارفع فؤادي قرب نجمك سالماً
واجمع شتاتي فالطريق طويل
لك في العيون الساهمات مقيل
وبكل قلب بثنة وجميل

* * * *

رسالة متأخرة جداً الى سالم بن علي العويس

ظاعن شاهين

ويجيء صوتك
يستشف هوى السلام
من الأنام
فتقشعر مخارج الكلمات
من فمك الذي
يهوى التفنن بالكلام
وأنت ياهذا تحدق
في عيون الجمع
تسأل عن قصاص من
حلال
تدعو الحناجر أن
تشق صدى عذابك
أن تدق على ترابك
أن ترف على زمانك
كاليمام
تدعو الخلائق أن تمد
حدود عشقك
نحو أشرعة الاله
وأنت تسرج في يديك

قوافل الشعراء
تنتخب الغرام
وتقرأ العشق الأخير
وترتمي في سحر صوتك
هائماً نحو الغناء

أجن وبعض الجنون نقاء
وأبكي لكي يستطيب الصفاء
واجعل نفسي تجوب الحدود
لتومض درب هواها ضياء
وأفرش صدري لكل البروق
لينبت حلم رؤاه السماء
أغني لأن العذاب اشتعال
ونصف الغناء لدينا بكاء

* * *

ويجيء صوتك
بين عشقك والمسير
وصوت ناصر في فؤادك
يصطفيك
أنظر أمامك
واستمد النور
لاتنظر وراءك
فالظلال تريد هذا اليوم
أن تغدو امامك
تشتريك
ولِهُ هواك وأنت نهر

واشتعالات الحروف
تمد قامتها عليك
لتعتليك
ولَهٌ هواك وصوت هذا الحلم
يأخذني لظلك
أتقي ولهي عليك
تعب أنا ومراحل الأيام
تلهو في يديك
تعب أنا وحروفك البيضاء
تربت
لا عليك

* * *

تعب أنا
وجواك يسأل عن وعود
الشعر في الزمن المسيء
هل تمتطي النار الخراب
وأنت فيها شعلة
لم تستطع إطفاءها
الأنواء والعمر البطيء
هل تسأل الايام عن
عهد يغني همسه
هذا البذيء
ولأنت تعلم أننا
كم جرنا من عمرنا
ولَهٌ الى أمجادنا

للوحدة الكبرى
وَضَيعْنَا الرديء
أواه من ذاك الرجاء
وأنت تأمر
غيمة الحلم البعيدة
أنزلي
عشقا يمر الى الخوافق خلسة
وخذي النجوم الساريات وهللي
وتوسدي حلمي شعاعاً هائماً
ثم انشريه على المدائن واسألي
هل كل هذا المدّ من زمني أنا
أم أن صوت الحق فيهم قد بلي
وخذي الخطى فوق المراحل وانثري
عبقاً من العمر القديم أو ارحلي

يا أيها الفجر المغطى
خلف بارقة تراك
عبس الزمان
وأنت وحدك تستعير
الشعر من بحر
وتجعله ضياك
ملك تحط على القوافي
ثم تذروها وتنتشر
مابداك
أنت الملاك
أنت الذي كرست عمرك

وانكفأت الى لسانك
ترتوي من نبع حرفك
والهلاك
ونقشت من سنن القبائل والطوائف
والعشائر طيبة الأرض التي
قد اسستها مقلتاك
أنظر ستلقى في أكف الرمل
نبعاً، واحة، حلماً
يسافر في عيون الناس
يبحث عن صباك
سترى على مرساة بحرك
فارساً كم مد عمراً
نحو مملكة تشيح بوجهها
تأبى . . فيحمله ثراك
ستراه نافذة تطل بصمتها
نحو النجوم
وظلها دربٍ يشكله
سواك
ياأيها الحلم الملاك
إرجع وعانق حبة الرمل
التي سكنت هواك
واعصر هواك على
مداك
إرجع فإن الفخر
للوطن الذي
يمشي عظيماً في خطاك.

ترنيمة حب

لسالم بن علي العويس

عبدالمنعم عواد يوسف

عانق الحلم فاعتلى الجوزاء
وتغنى ، فأطرب العلياء
لملم الضوء ألف ألف شعاع
ومضى ينسج الصباح رداء
ذاك صوت النقاء يقطر نوراً
سال غيثاً فأخصب الصحراء

ياضمير الخليج ، شف ضميراً
ولسان البلاد عز نداء
طبت حياً وميتاً وسلام
لك مني مودة ووفاء

عشت ياسالم العويس شعاعاً
يتخطى الحدود والأجواء
يمتطي الحلم فارساً عربياً
لاحتضان الربيع حيث أضاء
في حمى النيل والشآم تلاقى
أمل العُرْبِ وحدة غراء
المُعِزيَّةُ الأبية مدت
ساعديها تعانق الفيحاء

كيف لا تهرع القلوب إليها
والغد المُنْبَتُ الرجاء تراءى

كيف لا نبعث الشعور نشيداً
ونغني القصيدة العصماء

كنت صوت الوفاء يالبن خليج
يعربي صدحت فيه حُداء

تتغنى بفارس عربي
قد كسا الحلم عزة وإباء

كان رؤيا نتوق أن تتجلى
فنوالي رموزها استجلاء

وإذاها قد استحالت أفقاً
قد تبدى فعانق الأرجاء

أيقظ الحلم في النفوس جمال
ثم غذّى ربوعنا إحياء

فاندفعنا إليه ، بالشعاع
قد تجلى على المدى وضاء

فتهادى الغناء منك نشيداً
عربياً يشعشع الأصداء

يملأ الأنفس الظماء رحيقاً
وحدوياً يقطّر الأنداء

ويعيد الرجاء شمس وفاق
عربي تُرقرقُ الأضواء

إيه ياسالم العويس ويهوى
ذلك الحلم بعد حين هباء

قد أضعنا الذي بناه جمال
بعد أن عز في الحياة بناء
وكأن الربيع لم يك يوماً
في ربانا يعطّر الأفياء
غير أنا على الطريق سنمضي
ونغني ونستعيد الغناء
فلعل الغناء يوقظ حلمي
من جديد، ونعتلي الجوزاء

* * *

تحية للراحل الكبير

عباس احمد العصفور

طيب ثراك وذكرك المعطار
أوجاؤه عبقت بها الأزهار
واجتابت السحب الفضاء ندية
وتساقطت من شوقها الأمطار
وتجدلت خصل الربيع روابياً
وتمايدت واخضرت الاشجار
وتهافتت مهج القلوب محبة
وتسابقت باللهفة الاشعار
أنت الذي سلب الفؤاد بحبه
وترنمت بلحونه الأوتار
لله درك من عظيم لم تزل
اصداؤه ترقى بها الأفكار
ياشاعراً فخر الزمان بشعره
وتوسمت خيراً به الاحرار
عراف حق والاباء خصاله
شخصت له ولفكره الابصار
داع لمعرفة كريم شمائل
فذ نجيب ضيغم كرار

وصريح رأي، ذلة لا يرتضي
طلاب عز طبعه الاصرار

ياثائراً لكرامة وشهامة
ومناضلا كم هابك استعمار

يرنو الخليج لمخلصيه مكبراً
يا شاعراً هتفت له الأخبار

تزهو الديار بجودها واسودها
ولكم زهت بك ياعويس ديار

مئة تمر وذكرها متألق
يمضي الزمان فإنها تذكار

* * *

الكفف

كريم معتوق

الورد آثر ان يُجنى لمقتطف
فلا يلام محب حين يقتطف
فكن إليه ودوداً أو به شغفاً
كي لايردك عن آياته الأسف
الشعر في وطني من غير هادية
يسعى الينا كما للبيضة النطف
ياابن العويس حياك الله منزلة
من الثريا رداء منه تلتحف
لقد ملكت فطام الشعر منفرداً
كما عكفت على هم وما عكفوا
إنا اتينا اليك اليوم ألوية
نبايع الشعر عرفاناً وننصرف
اجل تعالوا بهذا اليوم أمسية
وقد اتيت بهذا العهر اعترف
ياسالم الشعر هل يرضيك ماعزفوا
من القريض وماصاغوا وماوصفوا
امط لثاماً امط للمدَّعى حجباً
اليه ستراً وتزوى حين تنكشف
ترى الغداف يغُنى دونما وتر
وبلبل الدوح من انغامه وجفوا

من الضياع ومن تيه ومن عثر
من شعر منتكس يجتاحه التلف
يقوضون جميل القول في جمل
تمضي هباء وفي اللاوصف تتصف
هم صدىً للغرب في كل منحدر
ونحن نحن الصدى لو أنهم هتفوا
أواه كم رفعت فينا حبائلهم
أواه كم رفعت من قدرهم صحف
إنا حيارى وبحر الشعر ملتطم
به تساوى هجين الغرب والسلف
ملجمون ومهر الشعر جامحة
مضيعون وقد تاهوا بما اختلفوا
غداً يسافر مخمور على حدس
كما يسافر في اركانه الطرف
غداً تلوك غثاء القول ألوية
لها التردي رواء والشقا علف
من الكلام ومن سقط المنى أمل
ستستعين به ان جاءها الكفف
ولا يحار مجيد بل لايحار فم
سيسمع القلب لو آذاننا صلف
يجاذب الشعر تستجديه مبتدعاً
من البديع وبدع البدع ماعرفوا
هو الأصيل يصم الصم في بدع
ولا يصول بصيص النقص والسجف
حييتُ فصحانا حييتُ ماصنعوا
من صنع فِكْرِهِمُو تضوّعَ الحرف

يابن العويس ألا حدث أفي غدنا
نزى الجبين وقد أعلى به الانف
فمن مقيل ومن أوى ومن حنث
وملتكنٍ ومن عن جرحنا انصرفوا
لقد اقاموا على هديٍ تخلفنا
بالعلم حتى بعمق الجهل قد وقفوا
وانزقونا ودمع الحر منسكب
اذا تمطى به في الذل منعطف
وقد سُلبنا على علمٍ كرامتنَا
وصيرونا تلملم شملنا الصدف
وقد نسينا بأنا أمة شرفت
حتى تناسى سنا أمجادنا الشرف
حيوا السيوف ففيها للعلا قبس
سيستنير على اعتابه الهدف
من لايسلُّ سيوف الحق يقصعه
سيف الجمود وسيف الوقت والترف
خلوا التخاذل فالانذال طبعهم
ان يستلذوا اذا كانوا هم الطرف

* * *

القسم الرابع
نماذج شعرية مختارة من ديوان نداء الخليج
للشاعر سالم بن علي العويس

من المفقود

الله أكبر ليس فيه مراء
فالكون حمد كله وثناء
الدين بين يديك اكبر رتبة
فالطف بعبدك انه خطاء
يا رب لم تظلم عبادك إنهم
قد خالفوا والواقعات قضاء
أحسنت للكون الكبير دليله
والمنتمون الى الدليل اساءوا
فاللوم كل اللوم فوق رؤوسهم
وكتابك المعصوم منه براء
إنّا نعارك في الحياة وبيننا
تتراوح الآلاء والارزاء
فكلاهما للمتقين هداية
وكلاهما للآخرين غناء
فتصيب ذاك من المصيبة رحمة
ويجيء ذاك من الرخاء شقاء
لا تغفلن كيف الحياة مسارها
ونظامها للمبصرين هداء
فانصت له اذ ربما تهدي به
وانظر الى من أحسنوا وأساءوا

واعلم على أن الكتاب منزل
وفق النظام وللسبيل ضياء
وبأنه ما حاد عن أسراره
وبأنه شرحٌ له وجلاء
يا من احاط بكل شيء علمه
وتطيعه الاشياء كيف يشاء
دلت عليك قواطع غلابة
أرض يهول ترابها. والماء
وسوابح أعيا الزمان خطارها
الليل منها والنهار سواء
بيض نواشط لا يثبط عزمها
قيظٌ ولا يلوي بهن شتاء
يسلو الحزين اذا تنفس في الدجى
وأثبت فوق فؤاده اللألاء.
ومجلبب وجه البسيطة موحش
فكأن منه الخيمة السوداء
ما أسلمت دون المغيب حبيبة
الا اعتلت كبد السما عذراء
فكأنما وجه النهار ضلالة
وكأنما سكنت به الاحياء
ومبشر وجه الصباح بوجهه
حسن عليه سماحة وصفاء
نشرت على القمر المنير ضياءه
ولنورها تتقلب الأفياء
ولك الجواري المنشآت إذا جرت
تحت السماء يقلهن الماء
يتباريان الى البلاد جوانحا
وبسرها يتفاخر العلماء

ما أنت راء كل شيء صالحا
الا عليه من الكتاب ضياء
إذ علّم الامم الغريبة رشدها
من بعد ان نشر الهدى الخلفاء
فله الفضائل في البسيطة كلها
ولغيره من بعده ما شاءوا
أواه قد جرف الغرور كرامة
من دونها العيوق والجوزاء
صعدت بنا أوج السماء وخيمت
فكأنما فوق البلاد سماء
بغداد تشهد بالجميل وجلق
ويولولون وتسهر الحمراء
وصديقنا وعدونا وسعورهم
والشمس والغبراء والخضراء
واحسرتاه على نفوس اخلدت
وعلى قبيل بات وهو غثاء
المسلمون الاولون كلامهم
وقلوبهم للعالمين سواء
والمسلمون الآخرون ظواهر
مكذوبة وضمائر لكعاء

*** ***

الامم المتحدة

نظمت بعد الحرب العالمية الثانية وقيام منظمة الامم المتحدة على المبادىء السامية.

أهل الحقوق وفودها بالباب
فاختر سبيلك ايها الارهابي
جاءوك بعد طوية مأمونة
خصماء لدٍّ في أدق حساب
هيهات ما خدع السياسة تنطوي
أبدا ومسلول المطامع نابي
من صاد يوما في المياه العكر لم
يذهب لها في الصفو بالكلاب
يبدو لك الزمن القويم فتلتوي
زورا الى مستقبل كذاب
تطوى السنين الغابرات وتنجلي
غدرا تبدل ماؤها بسراب
لك ما استطعت فما تلوك هو الحصى
والهدم ان مضغ الحصى في الناب
هلا علمت بأنها العرب التي
يخشى الفلاسف صولة الأعراب
والنوم يأخذ كل صاحب يقظة
والليث وهو يغط ذو المخلاب
أمن الاسود تروضون حلوبة
بعدا ألا شلت يد الحلاب

هبّوا لكم وطلابهم لا ينتهي
وليُكشَفَنَّ الدهر للمرتاب
من يحسبون السلم أنجع مسلكا
سلبوا الحروب عزيزة الأسباب
والحرب في الاحياء ويحك سنة
والحرب لا تجدي بغير حراب
فاسلك الى سبل السلام محاربا
ومتى وليت فأنت في الاسلاب
لك كل ما فوق الثرى مستعمر
فانظر خدينَ السلم في الاصحاب
والناس لا تولي المسالم لفتنة
الا التفاتة غضبة وعقاب
فاخلط فحبل السلم واه وحده
والحرب تسعى وحدها لخراب
واجعل عيونك في موازين الهدى
مفتوحة في كل فتحة باب
فإذا الحياة لقيتها بمحمد
جبت الحياة بقارح وثاب
وإذا اهتديت الى رشاد محمد
لا فضل في الايجاز والاطناب

*** ***

الاستعمار والاحلاف

نظمت في الوحدة بين مصر وسوريا والتحذير من الاستعمار ودعوته الى الاحلاف.

عراك لأخرى خطوة بالمخالب
واخواننا شم كرام المناقب
هي الوحدة الكبرى أباحت صراعهم
وأوحت لأمريكا قباح المغارب
فما بالها ترضى لها كل صالح
وتأبى لنا الا جسام المعاطب
تعين عصابات اليهود وتدعي
ولا قول للكذاب بعد التجارب
هي الارض ميدان الغواية والهدى
وحفرة مغلوب ومنبر غالب
وأسباب هاتين الحياتين سهلة
ولا عثرة فيها على كل طالب
ولكن سوء المنتهى او عزيزه
يميزها الاسلام لا كل حاسب
ولا تحسبن المسلمين اذا انتموا
هم النور في الاسلام بيض الجوانب
وجارتنا الدنيا طويل نسباقها
تدور على سكانها بالمتاعب
ووحدتنا الكبرى أثارت وساوسا
لدى الغرب ان الغرب أظلم غالب

رمى المغرب الاقصى بسهم مكيدة
إذا ما رمى زهر النجوم الثواقب
ولكن سنمضي في الصراع وعندنا
جمال سبيل الرشد إحدى العجائب
يناويه هذا الغرب قد بلع الحصى
وضاق بأشباح الليالي الشواحب
فلا تنخدع يا غرب واربأ فإنما
نصدك عنا بالقباح الرواسب
تقطعنا نصفين ساءت مشيئة
وتلك مشيئات الأماني الكواذب
فذكّر جنود الغرب كيف تفجرت
أوراس إذ نودي بها للمصاعب
فلا تنس من شردتهم ورددتهم
ولا تنس أكباد النساء النوادب
فما هي إلا وحدة عربية
تجابهكم بالجد فوق الحواجب
ترانا حيال المال عف كأنه
هو القتل إما جاءنا من محارب
يزور ضحايانا من الموت سيفه
إذا عركت إحدى سمان المعاطب
وأطفالنا في سعيهم ونساؤنا
غوالب في حشد القنا للغوالب
وان يك من مجد فإنا وراءه
إذا أحرقت فينا حبال الحواطب

*** ***

عروبة الخليج

يباديك من أهل الخليج ركود
وما هو منهم غفلة وجمود
منازع في أهل الخليج صحيحة
وما من مقيم في الخليج بليد
تميد بهم اعطافهم في دمائهم
ليوم تبدى للنفوس جديد
وقد كانت الاحلام قبل بعيدة
فدارت ولا في الظن ثم بعيد
ولا سدّ عبد الناصر الباب دونهم
وبالأمس باب النازحين وصيد
وكل شقي في حدود بلاده
يكاد ولا يهتم يوم يكيد
فبدل عبد الناصر الوضع فانجلت
معالم منها قائم... وحصيد
فلو قيل في ساعات يوم وليلة
هم العرب التقوا ولات حدود
لما كان من شيء غريب وإنما
هي القوم تبني بيتها وتشيد
فكم رسموا أهدافه وحدوده
وهم في حياة المالكين عبيد
وإذ طلعت شمس النهار فليس من
خلود ولا رسم عليه مزيد

قضى العرب عمرا ما قضاه مثابر
عنيد وعمر الأكرمين عنيد
فما كل ثوب حاضر يلبسونه
ولا كل رأي زوّروه سديد
فلابد من مس الغوارب بالضحى
ليحيا محبّ او يموت حسود

*** ***

الغوص واللؤلؤ

كان اهل ساحل عمان يجنون اللآلىء من الغوص في البحار مما حمل اصحاب السفن على ظلم البحارة والعمال فحذرهم صاحب الديوان بتلاشي ثروتهم القائمة على الظلم.

لمن السفين تلوح كالاطلال
بعد الزعامة والمقام العالي
تلك التي رفعت لواء رجالها
في المهمه القتّال عند الآل (١)
تلك التي بنيت لتجني لؤلؤاً
الله أكبر من حصاد... لآلي
رفعت لواء المسرفين وأنبتت
داء السلال بكل من ذي مال
عصفت رياح السوء في اعطافهم
فلووا رؤوسا في رقاب جمال
ما قوم هود أو شعيب وصالح
منهم بعيد والخراب الحالي.
الجود والتقوىٰ الكذوب تزعزعت
من فتنة في مخنق قتال
لا الشعب إن دان النزال مؤيدا
شيخا ولا للحق من اطلال

---

(١) المهمه : المتاهات.

والشعب إن عز النفير بأهله
باتِ المقاتل فيه غير مبال
والشعب ان قلّت مرافق يومه
دبّ الخراب بكل بيت عالي
وهناك تلتبس الامور وينطوي
ذاك البساط بزاجر الأمثال
هيهات أيتها السفين فإنما
وضح النهار ولات حين خيال
للخيزرانة فوق ظهرك لمعة
كالبرق تلمع في المريض البال
كي تدفعيهم الى البحر الذي
يقضون فيه لضعفهم في الحال
أين الشريعة من صنيعك فاذكري
يوميك عند زعيمك المختال
وسليه هل في فيه بعد بقية
من أنيُبِ الأيام والأمثال
أعيا الزمان غدوه ورواحه
وأقامه لِلبغي كالتمثال
وأثابه بالبخس عما قدمت
أعماله ورماه بالاسمال
وابتز من عينيه لفح شواظها
وأعادها فيه عيون كسال
عهدي بأرباب السفينة انهم
كرماء يوم الصد والاقبال
واليوم تلقى من لقيت كأنهم
صفحات رق من كتاب بالي
او أنهم بأنوفهم وعيونهم
وسكونهم اشلاء طيف خيال

أنذر بأصحاب السفينة كل من
خان السبيل لمطمع في مال
والدهر يكذب إن تبسم مرة
للمسرفين ومدهم بالنال (٢)
فاذا رأيت فإن ذاك تحفزٌ
للوثبة الكبرى بغير جدال
خذ في يديك الحق معتصماً به
والله أكبر في قتام قتال
واذا سهوت عن الليالي فادخر
أهل السفينة للزمان الخالي

*** ***

(٢) النال : المصيبة.

استقلال الهند

يا ضيعة العمال كيف تأول
يا ليت أن على الوزارة شرشل [1]
أيضيع هذا الهند وهو مبطح
والتُرْبُ أخضر والمُدافِعُ أعزل
أيضيع والسكسون ليس بلادهم

بلد غني بالحبوب فيأكل
يا ويح «أتلي»[2] كيف طابت نفسه
فجرى على الهند الضياع الاول
لو أن شرشل في السياسة لم يَدَعْ
بلدا أشم بسيفه يتزلزل
وأحل فوق الهند نصف إبادة
وهو الذي إن رام شيئا يفعل
وكرامة الاخلاق ليس مقامها
شرس يرى الحق المبين فيعدل
والحق تعتسف البلاد مقامة
فيظل لا شيء ينام ويغفل
وإذا تمادوا في إهانة حقه
هُدِمَ العزيز وساخ فيه الارذل

---

(١) شرشل : يقصد رئيس وزراء بريطانيا الاسبق وزعيم حزب المحافظين المعارض آنذاك.

(٢) اتلي : زعيم حزب العمال ورئيس الوزراء آنذاك.

واليوم هذا الحق خيم ظله
بسماء واشنطن لا يتأمل
والقوم تكذب والكذاب يزيدها
دركاً فتبتلع الكذاب فتنزل
خسرتْ عظيما من ضخامة مالها
كي في بلاد الغافلين توغل
تالله ما غفلت له عين ولا
برح الحميم عن العقاب المرجل
إخلاصةَ الاردن يثلم حدها
وينالها شرر اليهود المخجل
دع كل هذا واستمع لعجيبه
واصبر فأيام الزمان تبدل

*** ***

الاستعمار الجديد

بدأت امريكا بعد الحرب العالمية الثانية تسعى لاستعمار دول الشرق الاوسط ولكن على خلاف الصورة التي استعمر بها اسلافها هذه الدول.

لا تيأسن ففي دنياك أزمان
لم تحتسبها وفي دنياك سلطان
ترافق الناس من عبد الى ملك
فهل لعينيك إن أبصرت إمعان؟
ألم يكن قبل جيل نحن ندركه
على البسيطة عبدان... وتيجان
بأي حول تراضى كل ذي بطر
وأبصر النور وهو العبد (سيلان)
ان الولايات (١) في جد وفي لهف
تهوى على الشرق والسكان ما كانوا
تلكم سياسة أمريكا وساستها
أن يتبع الحرب إذلال وبهتان
تخشى وتبصر في طيات خطتها
أن يظهر الروس «يابان» و «ألمان»
والروس تضحك من خطب يحيط بها
وما يحيط بعلم الغيب إنسان

---

(١) الولايات المتحدة الامريكية.

والظن يجزم أن الظلم مرتكز
بين اليهود وأن الظلم خسران
لا بد من نكبة للعرب توقظهم
حتى اليهود لها من هولها لانوا
إن المهيضة في ميثاقها أمم
ما قدّروها وهم للسلم أركان
قد شوهته فرنسا واليهود ولم
يردعهما بعد طول القهر إنسان
متى تناثر هذا العقد وانفرطت
فما فلسطين للامجاد أوطان
ما في فلسطين إن لم تحمها دول
الا المقطم يحميها وثهلان [١]

*** ***

---

(١) احد جبال نجد بالسعودية.

حرية الرأي

حرية القول بعد البين زورينا
لعل نفحك بعد الموت يحيينا
باتت ضمائرنا في طيها ألم
نخشى عليها ـ إذا صُدّت ـ تناجينا
هل في الزمان زمان نستطيع به
قولا وألا يضل الدهر محزونا
جاءت الى عمر الفاروق سيدة
تقول أين من الاجداد والينا
فصاح يسمع لا كِبْرٌ ولا غضب
وراح يخطب منصورا وممنونا
لم تستلب منه يوم الرد منصبه
بل ظل بالحق والايمان مفتونا
ونحن نظهر أن الحق ننكره
وأن ما يوجب الافساد يرضينا
مستكملين شروط الذل قاطبة
على السوية هادينا وعاصينا
ألا اسمعونا ولاة الأمر سادتنا
ولا علينا جناح يوم تعصونا
المجد أصبح دون العلم مهزلة
والخسف أصبح بالجهال مفتونا

لا تمنحوهم مقيلا غير ظلمهم
وأين شئتم إذا شئتم فزجونا
لا تنبزونا بأنا لا نعاونكم
فإن كذبنا على الرحمن فاقصونا(١)
سلوا الجهالة هل في أرضنا ذهب
وأين نملك بترولا وبنزينا
وسائل العلم ليست في مدافعكم
ما أنبت الماء من صم الحصى طينا
والله يعلم ما تبني سياستنا
والله ينقذنا منها وينجينا
فقد تراخت صلات البر وانفصمت
من بيننا وانجلى فينا تَعادينا
فمكّن الله من نرضي سياسته
بين العباد وفوق الارض تمكينا

*** ***

(١) تنبزون : تعيرون.

مناجاة

نبكي سعادَ وليلى في مراثينا
ولا سعادُ ولا ليلى تعزينا
نبكي لعزة اطلالا مهدمة
كانت هوانا وكانت في روابينا
يا بينُ حسبك لم نفقد عزائمنا
ولا اقمنا حجابا عن مرامينا
في العيش ومض من الآمال نيرة
ويترك البيد شبرا من مسارينا
يا دار عزة جد الجد فانتظري
وطالعينا من الآفاق موفينا
وكيف ننسى وعين الله تكلؤنا
والغابرات بأمجاد تناجينا

*** ***

في رثاء سعد زغلول

لم تأت ظلما وما أحدثت تبديلا
فارزق عبادك تفويضا وتجميلا
ما فقد زغلول خطب يستهان به
فابعث بكل بلاد منك زغلولا
رعى المهيمن روحا رفرفت ومضت
وحاط نعشا على الاعناق محمولا
أين الذي في سكون الليل يكلؤهم
وكلكم في ثياب النوم مجدولا
حامت عليه ليالي الحرب كالحة
فقارع الشر إجمالا وتفصيلا
لاحت له مصر أحزابا مقطعة
فضمها قوة واستأصل القيلا
لا يوقظ الشعب إلا ماجد ثقة
فتى يُعدُّ قرين الظلم مسؤولا
أجرى السياسة شوطا غير منتظر
فهابه الغول حتى عَدَّه غولا
هيا اخلفوه وإلا فاعبدوا صنما
من المخاوف مملوءا تهاويلا
ليس الزمان وإن عاتبت معتذرا
فاجعل زمانك اعمالا وتأميلا
حياة سعد لاهل الشرق موعظة
ان كان فيهم لثوب الرق تبديلا

فسعد كان مثالا يستنار به
ويُحْرَم المجد من هاب الغرابيلا
من للكنانة بعد المستميت لها
وجيدها قطّع الأيام مغلولا
من جمّع الشرق ذودا عن قضيته
ما عُدّ بدعا فمصر الخطوة الاولى
فكم لمصر على البلدان من منن
أيام تقذف بالخصم الاساطيلا
الغرب ترتع في الشورى ممالكه
والشرق بالفرد ما جد الاحابيلا
كيف الحياة وما صحت كفايتنا
هيا على الفرد تدميرا وتقتيلا
أو فانسفوه بعلم لا يروم له
يوم التخاصم تزويرا وتضليلا

*** ***

الحق أبلج

سنة ١٣٦٧ هـ دافع العمانيون عن احتلال بلادهم فقال الشاعر :

«يا صور» نقضك عندي «نفخة(١) الصور»
فارقب «لمسقط» يوما غير منصور
لا تقسونّ «....» غير مكترث
فتقتلن كفيت القتل في النور
إن البلاد وإن ثامت (٢) مؤامرة
حمراء تحزم موتور(٣) بموتور
ان «الخلافة» لا ترضاه طاغية
والحق أبلج «والاسلام جمهوري»
والناس في النور يا من لا عيون له
وأنت صاحب منظور (٤) ومستور

*** ***

---

(١) نفخة الصور : نفخة البوق بوق يوم القيامة.
(٢) ثامت : فترت.
(٣) موتور : حاقد.
(٤) منظور ومستور : ظاهر وباطن.

الوحدة تراث الأكابر

١٢ رجب ١٣٧٧ هـ ـ الموافق ١٩٥٨م فبراير
ـ الوحدة بين مصر وسوريا ـ

هي «الوحدة الكبرى» «تراث الاكابر»
وقل لي هل آمنت أم غير قادر
ولولا (١) «زعيم» لا يجادل رأيه
حكمت على أحلامنا بالخسائر
ولكنني مما تبينت لا أرى
سوى النجح ان النجح حظ المصابر
ومما علمنا من سلوك «زعيمنا»
هـو الصبر حتى اليأس من كل صابر
وإن متى أرجو قريبا فان أبت
فتحفر للاحياء بعض المقابر
فشاه (٢) الاتانيون لا در درهـم
اولئك أمراض السنين الغوابر
فما ظلم استعمار قوم كظلمهم
وان وجدوا عذرا سقيما لعاذر
سوى رحمات الله بين جنانه
«لعبد العزيز» الراحم المتنامر

---

(١) ولولا زعيم : هو جمال عبد الناصر.
(٢) فشاه : فخاب.

«فآل سعود» آل بر ورحمة
وليسوا على سوء دفين مخامر
فان أيدوا قبل الملوك هداية
أتيحت فأذنٌ في رؤوس المنابر
وقل رَجَمَ الشيطانَ عن خلجــاته
سعودٌ وروّح سمعنا بالبشائر
لمن «بردى» بيض السطور السوافر
علمت ومن أملى بطون المحابر
«دمشق» طغى (١) منها الشعور فأسست
لأحلاف «اسرائيل» حز الحناجر
يكاد «باسرائيل» يقترب المدى
فتلفظ أنفاس الغرور الاواخر
ولا تحسبن «الغرب» يرحم حائرا
ضعيفا ولا يرنو عيون الدوائر
تكفل «رب الناس» بالحق والهدى
وضيع أرباب الحظوظ العواثر
اذا مكروا من مكر «ابليس» مكرهم
«وابليس» عند الحق اصغر صاغر
فسر «بردى» واسق الحقول فانها
لقومك لا غازٍ من الغرب خاسر
تسيل على حد الظباة (٢) نفوسها
إذا عصفت (٣) بالظلم اهل «الجزائر»
«فيا بردى» نابذ (٤) عداتــك جهــرة

---

(١) طغى : فاض.
(٢) الظباة : السيوف
(٣) عصفت : أطاحت
(٤) نابذ : بارز.

وسر تحت احلام الزمان السوائر
تربّص «باسرائيل» فالله عنده
لها لا عدانا الغيب إحدى المجازر
ولا تحزنن من رأي «دالاس» انه
له عن نوايا «الروس» الف مخابر
وقد نفذ «الشطرنج» واستَمَرّا الهوى
وقد كان لهوا في فروع الخواطر
كذلك ان الحرب قبل هبوبها
أمان على «بيض الظنون» العوابر
ولكنها إن ساقها المجد أسفرت
لمن لا يراها بالمنايا السوافر
واصبح لا واقٍ لها دون نشرها
كفاحا بأطراف السيوف البواتر
ولا بل بإزهاقٍ (١) من البرق خاطف
ورجمٍ بأثقال الخفاف الطوائر
وبعد ابتلاع الارض أكثر أهلها
تصرّف إلا المعتدي في المصائر

*** ***

(١) بازهاق من البرق خاطف : باشعاع الصواريخ والقذائف

الوحدة العربية

جثمت (١) بحيث يُذَلِّلُ استعمار
وإذا يحدّ المدعين إطار
نظروا الى جنباته فاذا به
عن كل نافذة يُسَدُّ جدار
ضحى لها الاحرار بالشرف الذي
فكأن من ضحوا هنالك طاروا
لا تعجل المتلكئين (٢) فليس في
أرواعهم (٣) شلل ولا استنكار
واذا استشاروا الحزم لا تقنط لهم
فالحزم لم يذمم عليه مدار
والقوم من جذم (٤) العروبة فانتئد
ومتى رأوا علم المحجة ساروا
«والوحدة الكبرى» : ومصر وسوريا
لأولي البصائر (٥) ليلهن نهار
واشهد بنا هذا السباق فانه
لسباق مجد ما عليه غبار

---

(١) جثمت : استقرت واستوت
(٢) المتلكئين : المتخاذلين
(٣) أرواعهم : أفئدتهم.
(٤) جذم : أصل
(٥) البصائر : العقول.

فكرة جمال عبد الناصر

إختلاف العرب في الرأي وميل بعضهم للغرب
وإعراضهم عن فكرة «جمال عبد الناصر» ودعوته الى
الحرية العربية والبعد عن الشرق والغرب :

هو الدهر لا نهي عليه ولا أمر
ولا طفرة تعزى (١) إليه ولا صبر
ترافقه الايام يبرق سرها
وليس ككل الناس من دونها ستر
أتاكم «نبي في السياسة» وحدها
ففي سرهم أمر وفي سرهم زجر
رمين به تلك الثلاث ولو رأت
معالم ما يدريه ما غرها الكثر
ووا أسفا أحلامنا أهل نجدة
ولكن «اسرائيل» مدبرها قبر
«جمال» يقول : الغرب يحفر هوة
ليسكنها حي وفي يده النشر
ونحن سكنا قبلهم كل حفرة
نسام (٢) بها خسفا وليس لنا أجر
تحداه «نوري» (٣) في السياسة مرة
وهان لدى بغداد في ظهره كسر

---

(١) تعزى : تنسب.

(٢) نسام خسفا : نذوق وبالا. (٣) نوري السعيد.

تخير نصر الترك عن نصر يعرب
ومن يعرب فيه العمومة والصهر
ولا جبر فيما كسر الدهر فلينح (١)
بعينين والمكسور موعده الحشر
«جمال» بمغناطيسه قيد الورى
وليس له رمح وليس له حبر
ينادي له فوق «العواصم» هاتف
وليس له صوت فيحجبه الوقر
ينادي على الاحرار وهي مسامع
فأوراقهم من بعد ما افترقوا خضر
«ولبنان» يخشى المسلمون ضلاله
وليس بأيدي المسلمين به ضر
فيتخذ «الاتراك» للضم عدة
ويسمع من «دالاس» ما كذب النبر (٢)
وهل غير «اسرائيل» ظل اذا ارتأى
خنادس (٣) من «دالاس» ليس لها فجر
يلي فجرهم طردٌ «ودالاس» باسمٌ
وفي يده سيف وفي فمه عذر
ولكن في «لبنان» من يسمع الندا
ويكْتنّ (٤) في أحراره وهم الكثر
فما نجح «الدولار» في صد فرقةٍ
ومن إثم «اسرائيل» لايبرح الخسر
وها ساعد الله البلاد فأصبحت
من السير قدما قط ليس لها عذر
وما كل مجد بابن يوم وليلة
ولكننا في الضيم ليس لنا صبر

(١) فلينح : فليبك بعينيه معا.
(٢) خنادس : ظلمات.
(٣) النبر : الخبر الصحيح.
(٤) يكتن : يلصق ويلتصق.

الى آيزنهور

قــل مــا تــشا «ايزنهور»
وَاذهب ذهابك في الهذر (١)
إن «اليهــود» وإن صــدد
ت هــم الضميــر المستتــر
«ومنــابع البتــرول» فيهــا
أنت وحـــدك مؤتمــر
«والروس» لا خطر بهــم
أبدا وأنت هو الخــطر

حيوا المعد إلى العلا وثباتها
قدما بكل جنان ليثٍ (٢) قشعم
المخلصين الناصعين مبرة
بالسابقين وبالشباب المقدم
حيوا «لجامعة العروبة» مجدها
وبريقها بين الزمان المظلم
برق يسوق إلى «مراكش» غيثه
ليشد من ذود (٣) الشقيق المرغم
فليحيي ما طمس (٤) العفا آثاره

---

(١) في الهذر : في الهزل : وفيما لا يفيد
(٢) جنان ليث قشعم : فؤاد كقلب الاسد والنسر.
(٣) ذود : عزم وحال.
(٤) طمس العفا : محا البين.

من «طارق حتى خليج ا قلزم»
ذكرٌ بنا «قبس العروبة» اننا
شعب نساس بكل فرد ملجم
قوم على طرق النحاة سبيلهم
يتكلمون وأنت قدِّر وافهم
نجتاز «آبار السياسة»(١) خيفة
ونعد كل صحيح قول ملغم (٢)
والهامد التمتام (٣) خيرٌ عيشةً
من ذي نبوغ بالنبوغ متمتم

*** ***

---

(١) آبار السياسة : مجاهل السياسة والتواءاتها ومتاهاتها.
(٢) ملغم : فيه لغم وخطر دفين.
(٣) الهامد التمتام : العاجز المتهالك الذي لا يفصح.

العلم والتعليم

البيت الاول والثاني قالهما الشاعر عند فتح المدرسة الاحمدية «بدبي» ووضعهما على باب المدرسة وأضاف اليهما الباقي من القصيدة عندما طلبت «الكويت» فتح مدارس لها في الامارات وكانت «امارة الشارقة» هي السباقة بالموافقة على ذلك :

يا نهضة الشرق قومي علمي قومي
عليك مني تحياتي وتسليمي
ليسوا سواء قضيب غير ذي عوج
ومهمل يابس من غير تقويم
فهل سمعت بشعب في جهالته
أمضى الحياة ولم يسلك بمظلوم
وهل عبيدٌ عبيدٌ عند سيدهم
وخاضعون لأمر غير مرسوم
لا بل تباركت الانعام (١) منزلة
من خابط(٢) في ظلام الليل موهوم
رحماك «يا فالق الاصباح» إن لنا
إن لم نغالطه دين في تصاميم
لا يدخل الذل في منهاج خطتها
إلا على كل جبار ومصدوم

---

(١) الانعام : الدواب.
(٢) سائر على غير هدى.

تبارك الله لم يجعل معاندها
إلا بما كسبت كفاه «مرجوم»
أفاض فيها على الانسان حاجته
فيضا على درجات العلم «مقسوم»
وخصها بصراط لا يحيد بها
ذي «مِرَّةٍ» (١) ليس في ضنْك بمرجوم
إليك مني شباب اليوم خالصة
إذا تعلمت فاسمع كيف تعليمي
كم في الرياض التي أرجاؤها نهل (٢)
للمعطشين ولا تعبأ بمزعوم
ولن تضل وكيف الله يضلل من
أمَّ «الكتاب» (٣) بصدر منه ملهوم (٤)
ان «الرسول» لنور يستضاء به
وما سواه الى هديٍ بمعصوم

*** ***

(١) ذي مرة : ذي قوة في عقله
(٢) نهل : مودة
(٣) الكتاب : القرآن العظيم.
(٤) ملهوم: منفتح الى الهدى.

العرب والاستعمار

لظلم ذوي القربى ارق وأرحم
إذا علم الانسان من هو أظلم

بلادي وإن لم تؤوني لكريمة
وقومي وإن هم طاردوني لاكرم

وما أخطأت فيهم عيون فراستي
ولكنهم ويح السياسة أرغموا

على ان حولي «يقظة عربية»
إذا صادروها شاغبت (١) تتقدم

وكل طريق سارها متعطش
يذللها منه الضمير المصمم

ذوو العزم لا يدرون ما صور الشقا
ويدركهن السالك المتعزم

فلا تصطحب في السير من ليس مؤمنا
ولا يصطحبك العاجز المتبرم

وها هي آفاق الاماني قريبة
وخمّس رأيي «القاعد (٢) المتقزم»

ومن لا يرى الا بعينيه «ربنا»
به يوم أعطاه التكلم فاعلموا

---

(١) شاغبت : عاندت وتمردت.
(٢) القاعد المتقزم : الجالس المتقوقع.

إذا أضجرتك «العاديات» (١) فانها
تميتك او تحييك والدفع أحزم
سلوني والا فاخبروني ما الذي
أتاح لنا «ظلم اليهود المظلم»
ألم نجتل صبحا عن الغرب انه
عدو لنا في الشمس لا يتكلم
كفانا ولم يضلل سوانا سبيله
من التصقت فيه الليالي تعلم
فلا يحسبن القوم ضل ضلالهم
يخالطنا بُعد اليقين التوهم
صحونا ومن صحت عقائدهم لهم
طغى الجهل فيهم ثم غاض (٢) التكلم
ولا يوم إلا وهو يبني بلادنا
يشيد ومن يبني الخرائب يهدم
فان سلم «النحاس» من رأس معول
إذاً : زوجه في معزل يوم تظلم
سلوا واجب «النحاس» عن أمر زوجه
فلا شطط إلا عليه ودرهم
وما جمدت عن شامخ العز دولة
سوى بالذي نادى «جمال» ويفهم
خذوا مصر عن ثوارها عمرية
ولا عمري بينكم من يغمغم (٣)
ولكن «اسماعيل صدقي» مسيّر
اذا جانب القوم الصريح (٤) وأوهموا
بأمثاله مرت سنين طويلة
وكل غراب (٥) فوق مصر يحوم

---

(١) العاديات : الاحداث. (٢) غاض : جف وجمد.
(٣) من يغمغم : الذي لا يفصح بيانا. (٤) الصريح : الحق والصواب.
(٥) غراب يحوم : طالع نحس.

الهم للوطن

قولوا لمية لا حب ولا شجن
أودى بحبك هم بثه الوطن
وللعوامر قل لسنا لكم غرضا
وهل يقاتل قرن درعه كفن
وللامارات قل ليس النفاق لكم
من السداد ولا نسيانكم حسن
فقر الرعية ركن في سياستكم
وعندكم شر من لاقاكم الفطن
فلو فرضتم حقوقا لا يقابلها
منكم جزاء وأمر القوم مؤتمن
أللفقير حقوق في جبايتكم
إذاً فما باله مستجمع ضغن
لا تحسبوا العز ان ذلت رعيتكم
فإنما العز إن ذل العدى الخشن
حرب السياسة في الاسلام ليس له
ند وليس له قوم ولا زمن
وليس تفهمه في الناس أفئدة
غلف تراكم من زلاتها الدرن
خذ ما يقول ولا تنظر لعاقبة
حسن العواقب عن تشريعه ثمن

هو القرين الذي يعلو متى انعقدت
عنك المخارج او همت بك الفتن
للكوخ منه نصيب من سياسته
يدعى بها الامن او يحسى بها اللبن
وللبيوت نصيب من سياسته
يُرفا بها الخرق او تطفى بها المحن
وللممالیك نور من سياسته
يعلى بها الحب او تستأصل الإحن
وللحروب نصيب من سياسته
تزجى بها الخيل او تحدى بها السفن

*** ***

على سيف الخليج

ديار على سيف الخليج طلول
وإن كان فيها ضجة ونزيل
بكيت لها وحدي ويضحك أهلها
ومني ومنهم للهوان زميل
سلوا السهرات الطول كيف تبيت بي
وعني قطين الدار كيف أقيل
تقلبني في الهم للشعب غاية
تطاولها الغايات وهي تطول
أحاولها بالناس للناس طفرة
وتوعدها الايام وهي مطول
يقولون أُمضينا الغداة وثيقة
بها الدور دار والقبيل قبيل
ولكنهم قالوا ونحن وراءهم
نقيس إذا ما غامطوا ونكيل
وما آب عزمي مذ نضوت حسامة
به من قراع الجامدين فلول
أناشدهم والصفح كل إجابتي
وأنشدهم والسامعون قليل

وربَّ مقام قمت فيه فصدني

جدال وان لم يأت فيه دليل

تراضخت لا اني رضخت وأهله

شكوك ورايات الفلاح تجول

وما ساءني إلا بأن عديدنا

كثير وَعَدُّ الظالمين قليل

وأن سهام العزم فيهم كثيرة

وفينا هبوط فاضح وجزيل

ولو تسألون الغيب أخبر انه

علينا عدانا بالبلاء تصول

ولو أنها التفت عليهم لأصبحت

جبال تعادي دوننا وسهول

*** ***

كن خيرا

دع منك إن شئت إخباري وتذكاري
أو قل هواك وزد رمضاي بالنار
قلب أريه فجاج الارض مشرقة
ويخرج الارض ليَ سوداء من قار
قلب أعلله يوما وأزجره
يوما وأرخي له الايام كالجار
قلب إذا قيل عن أمر تبينه
اذا تبلّه في ظلمائه الساري
لا يستكين لأمر فيه دندنة
الا اذا حيل بين الرمح والثار
أما الغيوب وان بانت معالمها
جهلاء تخلق طورا بعد اطوار
ثم الغيوب وان بانت معالمها
ليذهب المرء فيها غير مختار
هذا الذي لم أذق من طعمه ابدا
حتى اشنف من أخبار غرار
فخير ما حبت الايام من تعب
والسهل منها قريب الذم والعار
وخير ما حبت الايام من عقد
تترى عنادا فتتثني كل مسمار

تترى عنادا وتدمى بعد ما التأمت
وقد تُجبَّرُ ان ضمت بجبار
دعني فلا الدهر أولى منك تبصرة
ولن ترى الدهر في قيل بهذار
ألفيت ما عبر الدنيا إذا تليت
إلا فواصل ما يتلو لك القاري
صم من السود أو بيض تخال به الأ
رض السماء بابراج وأقمار
او تبصر الارض بالجنات يسكنها
قوم كرام وبعض القوم في النار
أو بعضهم من شياطين وبعضهم
من الملائك طهر دون أوزار
حتى اذا مزتهم لم تلقهم بدنا
أرباب فضل ولا أرباب أوضار
ما هم بربك والانعام سائمة
ان لم يكونوا بأسماع وأبصار
تلك الخلائق والاجسام تلبسها
فالبس ولا تتشبهن الكاسي العاري
كن انت في السر خيرا منك معلنة
حتى تكون من التدريب إجباري
وإن سمعت كتاب الله فاعط له
ما اسطعت منك بقلب بائع شاري
لا تحجبن فؤادا عن مراتعه
لقول زيد ولا أخبار عمار
واسكت وقل برقيب منك ذي بصر
وذي أناة شديد البطش جبار
فان سمعت أنامني اهتديت وإن
أنت استمعت فمن إكبارك الباري

آخرُ مثلُ أوَّل

«ألا أيها الليل الطويل ألا «أنجل»
عسى يستعيض العرب عنك بأمثل
ألم تر أن المجد ضعضع مجدنا
وكنا عرفنا بالقبيل المفضل
ولولا سياسات قصمن ظهورنا
لكنا هداة الناس في كل منزل
رجال جروا بالشعب خلف حظوظهم
مريد لهم سوءا ومن متأول
وحادوا عن الشورى فما غفرت لهم
ولكنها جاءت بغير المؤمل
مصائب تترى بعضها خلف بعضها
يُعلّون فيها بالشراب المحنظل
سراعا أبا يحيى الامام وفيصل
ويا صاحب البيت الحرام المفضل
وليس كثيرا أن تضموا شتاتكم
وكيف حياة للقبيل المعزل
فما فضلكم إن لم تكونوا عُصابة
وإخوان صدق آخر مثل اول

ولا تبعثوا قبل التمام ذميمة
فمعولها في هدمكم اي معول
فقد جزم التاريخ ان بلادكم
على لاحب بالمجد غير مضلل
فلا تحكموا إلا وفاقا كأنه
«بكل مغار الفتل شد بيذبل»

*** ***

اشهر من نار على علم

في محمد «صلى الله عليه وسلم»

يا سالف الدهر بين الحل والحرم
لأنت اشهر من نارٍ على علم
ما ظن والليل ساج في غياهبه
بفالق من ضياء الصبح مزدحم
حتى تكشف للابصار عن كثب
علم يحير رأس العرب والعجم
تلك الرسالة قد آن الأوان بها
من بعد ما ادخرت في اللوح والقلم
تنزلت بفصيح القول خارجة
على الكلام خروج الليث للغنم
يلوي لواها الى الاعداء ينشره
رب الجلاد ورب الصبر والهمم
محمد ابن قريش خير من بُعثوا
الى العباد فدكوا انفس الامم
لاحت بشهر رمضانٍ شمس مولده
فأصبح الكون في مستقبل الكرم

هل يعلم المهد من ضمت جوانبه
حييت يا مهد عن قلبي وعن ألمي
دعا الى الله فاستهدى بسيرته
قوم اتى قسمهم من أعظم القسم
وحاربته أناس وهي يخذلها
شك يمازجها في قدرة الصنم
إن النبوة لو لانت ملامسها
تعلو ويهبط من نادته للعلم
فرد ينازلهم في كل معركة
بالباترات من الآيات والحكم

تغيبوا من رسول الله عدته
الى الحروب وحمل السيف والعلم
يا ويحكم هل يسيغ المرء معتقدا
لا يرتضيه ويرضى حكم محتكم

وقد علمتم بأن الحرب واقية
والساكنون بلا حرب بلا حرم
نعم سلوا الحق هل خفت موازنه
أم قد تعادل رب الدار بالخدم

كذلك الخصم يبري عند سورته
قتلا ويغمر بعد الذل بالشيم
نَصّار دينك إحدى الحسنيين له
ما فات وقت على المدينّ السّلم

سننت في كل دور ما يقام به
وعمرك المثل الاعلى لمرتسم
الله اكبر هل دار الزمان بنا
مثل اليهود «فياطالوتنا» فقم

إني لأخشى إذا «طالوت» قام لنا
بان تكون كمن نادى ولم يقم
المستجيبون يا من لا يوازنه
عندي حبيب ولاشيء من النعم
لو اطلعت على ما يمسكون به
لبان غير الذي أمسكت من حكم
وينسبون اذا شاعت ضمائرهم
كذبا اليك أفين الرأي والكلم
فهم ولاد غثاء لا حصون لهم
ما بين مرتقب منهم ومقتسم
ولا لدى من يرى نصرا لدينك
غير المحابر والقرطاس والقلم
وفي سنين على علاتها شبه
من السنين التي قضيت في الحرم

حقا رجعنا اليك القهقرى فرقا
بلا رشاد ولا عزم لمعتزم
فمن يقوم مقاما أنت قمت به
ومن يطيق احتمال السب والشتم

حقا لتلك أمور لا يقوم لها
صبر الصبور وان لم يأل في العظم
فما يقدر أن يهوى بعزتهم
وما يقدر بنيان بمنهدم

حتى علا وإذا بالقوم ـ طائعة
لقوله وإذا المطرود بالحكم
لا يدرك الصدر إلا كل مصطبر
وأنت صدرك معصوم عن السأم

يا أيها السادر الباني قضيته
على تقاليد لم تذكر ولم تُرَمِ
سددت عنك سبيل الذكر فانفتحت
عيناك تقرأ عن قلب لديك عمي
وكيف يفهم من قالت عقيدته
سلت قضاياه أهل العلم في القدم
فللقلوب نماء بالكتاب إذا
صدت إليه نماء النبت بالديم
يحادث المرء عن مكنون سيرته
بالصدق .واللين والتبشير والحكم
فان أبى دكه دكا وزلزله
حتى يعود قطيع الاهل والرحم
هناك ينثر دمعا غير منتظم
ويجمع الأمر من نثر لمنتظم

وللنفوس طباع ليس يدركها
إلا الذي خلق الارواح في الكلم
وللرسول علينا منةٌ حجبت
ما شاء ربك من سوء ومن ألم

أتنكر الفضل والاحساس منطلق
شكرا بقدر ما أوليت من نعم
هذا اليتيم أمير لا نخاطبه
مما غضبت له او شِذْتَ من حرم

يكاد يمرح في سلطانِ عزته
لولاك نَكَّسَ من هون ومن سأم
وللنساء نصيب ما اكتسبن له
من بعد ما كن ميراثا لمقتسم

وللبنات وللأولاد منزلة
على الولي بقسطاط وللخدم
الاجتماعي ان ألقى بنظرته
على الشريعة لم يخرج على النظم
كم في الصلاة وكم في الصوم من عدد
عن الفساد وكم في الحج من حكم
من يهد ربك لم يبخس طريقتها
ومن يُضَلِّلْهُ الأهواء فهو عمي
كفاك للمرء بالتوحيد مرقبة
يظل منها بعين الناقد الفهم
هل يستوي مثل هذا في بصيرته
بالجاحد الرب أو بالحائر الوهم
والظالمون وان بان الصواب لهم
لايخرجون الى الداعي من الظلم
لم يبخسوك ولكن في ضمائرهم
هوى تكفل للآذان بالصمم
أكرم بأيامنا الاولى ومن ولدت
عصر النشاط وعصر العز والشمم
يا ليت أن أبا بكر خليفتنا
أو السياسي طاوي دولة العجم
بل طارد الروم والمُقْصي قياصرها
والناشر العدل والاحسان بالهرم
أو أن عثمان من سارت كتائبه
للشرق والغرب والانجاد والتهم
يا ليتهم أو أبا السبطين سيدنا
والراكب الخصم بالارماح واللجم
أولاء تعرضنا الايام بعدهم
والذل ألذع ما قاسيت من ألم

ركبت مدورا

عفا الرسم من دار قديما نزورها
ألا قل لها من أهلها من سميرها؟
ومن بعدنا فيها يقيم وهل لها
دموع كما فينا دموع تثيرها؟
وسلم عليها لي ولا تقر أهلها
سلاما فإن القوم آذت قدورها
وقل لهم زيدوا من الخبث واطبخوا
كثيرا فها نفسي منيخ بعيرها
إلى نحو أصحابي الذين همو سروا
بظهر (دورا) والديار يَدورها
وإني سأقفوهم على ظهر (دمرة)
كبيرِ سفينِ البحرِ فهو أميرُها
قصدْنا له في وقتَ خيرٍ مبارك
صباحا قبيلَ الشمس يشرق نورها
فستفز محظوظا وغاب بلجة
بعيدة ما بين الجنوب يزورها
ويمم من مرساه بارة مسقط
وما إن دنا حتى استبانت قصورها

تخير في الميناء أطراف جانب
ونيرانه تعلو ويُحمى سعيرها
وأدبر فوق الماء ينسف جلده
يمر بسفن الناس لا يستثيرها
ركبت مدورا أصحابي وطاب حديثنا
وعاد إلى نفسي هناك سرورها

*** ***

● القسم الاول

● القسم الثاني

● القسم الثالث

● القسم الرابع

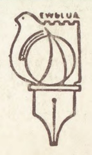
صدر عن اتحاد كتاب وأدباء الامارات

● كلنا . . كلنا . . كلنا نحب البحر	قصص قصيرة	لعدد من كتاب القصة في الامارات
● قصائد من الامارات	مختارات شعرية	لعدد من شعراء الامارات
● السمكة الصغيرة السوداء	قصتان	تأليف : صمد بهرنجي ترجمة : علي عبدالعزيز الشرهان وعمر عدس
● صلاة العيد والتعب	شعر	عارف الخاجة
● معجم القوافي والالحان في الخليج العربي		فالح حنظل
● أطفال آخر الزمان	رواية	تأليف : عزيز نيسين ترجمة : عمر عدس
● الرجل العاشر	رواية	تأليف : غراهام غرين ترجمة : مصطفى كمال
● الأرواح تسكن المدينة	قصة	أنور الخطيب
● شدو الزمن	شعر	سلطان خليفة
● سالم بن علي العويس دراسات ومقالات	لعدد من الكتاب	جمع واعداد عبدالاله عبدالقادر

في هذا الكتاب

دراسات وأبحاث وقصائد لعدد من الكتاب

- ابراهيم سعفان
- عبدالله عبد الرحمن
- بلال البدور
- عبد اللطيف الزبيدي
- عبد الغفار حسين
- رأفت السويركي
- عبد المنعم عواد يوسف
- د. عادل جميل أحمد
- محمد العبدالله
- د. نجيب الكيلاني
- سعيد حارب
- عارف الخاجه
- ظاعن شاهين
- عباس أحمد العصفور
- كريم معتوق



منشورات إتحاد كتاب وأدباء الامارات
ص.ب ٤٣٢١ . هاتف ٣٥٠٧٦٩ الشارقة

السعر ٢٠ درهم